مذكرات سعد زغلول

تحقيق

د. عبد العظيم رمضان

الجزء التاسع



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

مذكرات سعد زغلول
الجزء التاسع

الإخراج الفنى:
صبرى عبدالواحد

٣١٩١

قام بقراءة هذه المذكرات قراءَة أولى
سامى عزيز
محمد حجازى
مصطفى الغاياتى
استيرا غالى

" ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات "

سعد زغلول

كراس [٢٨] صفحة ١٥٨١

تقديم

يسرني أن أقدم للقاريء العزيز هذا الجزء التاسع من مذكرات سعد زغلول، وهو يبدأ من ٧ ديسمبر ١٩١٨ إلي ١٤ فبراير ١٩٢٠، ويحتوي علي الكراسة الثالثة والثلاثين، والجزء الأول من الكراسة الخمسين، والكراسة الخامسة والثلاثين.

ويعتبر هذا الجزء من أهم الأجزاء التي صدرت من هذه المذكرات، فقد تناول فيها سعد زغلول أحداث اعتقاله ونفيه إلي مالطة، ثم حياته في مالطة، وأخيرا نضاله في باريس من أجل القضية المصرية.

ومن ثم، فهذا الجزء يلقي الضوء علي صفحات مهمة من علاقات سعد زغلول برفاقه أعضاء الوفد في مالطة، وعلاقات أعضاء الوفد بأسري الحرب في مالطة من المصريين والأتراك والألمان وغيرهم. كما يلقي الضوء علي نشاط الوفد بقيادته في أوروبا وأمريكا، ويتعرض بالتفصيل للخلافات التي قامت بين أعضاء الوفد في

باريس، بما يكشف عن جذور الصراع الحزبي الذي نشب بعد ذلك، والمعارك الدستورية التي دارت بين الوفد وأحزاب الأقلية.

ومن هذه المذكرات تظهر هذه الحقيقة، وهي أن الزعامات الوطنية الأصيلة لا تظهر بمحض الصدفة، وإنما هي تتكون علي بطء، ومن خلال مواقف صعبة تكشف عن معدن الرجال، وتفرز الغث من الثمين، وتميز الوطني الصلب من الوطني الضعيف.

وعلي الرغم من أن سعد زغلول توقف عن كتابة يومياته في الفترة التي أعقبت مغادرته مالطة في ١٣ أبريل ١٩١٩ حتي ٢٠ سبتمبر ١٩١٩، فإني أعتقد أن ما كشفه من أسرار العلاقات المتردية بينه وبين زملائه أعضاء الوفد في باريس، كان صفحة غائبة من تاريخ الحركة الوطنية، وهي تستكمل بنشر هذه المذكرات.

لقد كانت قراءة هذه الكراسات، خصوصا الكراسة الخامسة والثلاثين، من أشق ما يمكن، وقد أمكن فك رموزها بجهد كبير، ولم أيأس بالنسبة لما صعب عليّ فك رموزه من كلمات أو عبارات بعد دفع الجزء إلي المطبعة! ففي أثناء مراجعة البروفات أمكن فك الكثير مما صعبت قراءته.

وقد سبق أن بينت أن قراءة مثل هذه المذكرات لا تتطلب فقط قدرة فائقة علي فك رموز الكلمات، بل تتطلب خلفية تاريخية واسعة لمن يتصدي لقراءتها. وقد كان من حسن حظي وحظ هذه المذكرات أن رسالتي للماجستير كانت عن الحركة الوطنية من ١٩١٨ - ١٩٣٦، وكنت قد حرثت من قبل تربة الفترة التاريخية التي تناولتها المذكرات، وهو ما مكنني من قراءة ما قد يغمض علي غيري.

كذلك فإن فك رموز مثل هذه المذكرات يتطلب ثقافة معينة يستحيل بدونها فك هذه الرموز، وعلي سبيل المثال، فقد ورد في ثنايا القراءة الأولي للمذكرات من جانب الباحثين عبارة: «بحثها عن ضعتها فيطلقها»، وهي عبارة لا معني لها، ولكن قراءتي لها كشفت أن العبارة هي: «بحثها عن حتفها بظلفها» - فهذه العبارة قد لا تكون قد وردت في ثقافة أحد الباحثين الذين قرأوا الكراسات القراءة الأولي!

وكذلك عبارة وردت في المذكرات قرأها الباحثون: «أين البلبولي» ؟، ولكني قرأتها: «أين الباليولي» ؟ ومعناها: أين الذي تخرج من مدرسة باليول، وهي إحدي كليات جامعة أكسفورد. فثقافة الباحثين الذين قرأوا

الكراسات القراءة الأولي لا تصل إلي معرفة وجود مدرسة في انجلترا باسم «مدرسة باليول» تتبع جامعة أكسفورد، ولكن ثقافة المحقق تتسع لذلك.

كذلك كلمة «الثقلين»، أي الإنس والجن، فقد قرأها الباحثون «السفلين» لأنها لم ترد في ثقافة أي منهما!

والأمر كثير من هذا النوع، ولكنه رد علي البعض الذي يتصور أنه في الإمكان الإنتهاء من قراءة هذه المذكرات عن طريق تجنيد عدد ضخم من الباحثين يتوافرون علي قراءتها، فتصدر علي الفور!

ذلك أنه إذا أمكن بالفعل توفير مثل هذا العدد من الباحثين، فإن الحاجة إلي محقق متخصص في العصر، متعدد الثقافات، تبقي قائمة، وبدونه يكون مايصدر من المذكرات مجرد مسخ لها أقرب إلي التزوير!

وعلي كل حال فقد اتبعت في تحقيق هذا الجزء من المذكرات، نفس ما اتبعته في تحقيق الأجزاء السابقة، وهي أن تكون المذكرات صورة طبق الأصل لما كتبه سعد زغلول، بدون تزويق أو تصحيح، وبما تحويه من أخطاء نحوية، اللهم إلا فيما قد يخل السياق، فعندئذ نتولي تصحيحه مع الإشارة في الحواشي إلي أصل الكلمة كما وردت في الكراسات. ومن هنا فلا يتصور القارئ أن ما قد يصادف في المذكرات من

أخطاء نحوية، هي نتيجة إهمال فى التصحيح، وإنما هي أخطاء وردت في المذكرات.

وقد حافظنا علي الشكل الذي تعود سعد زغلول أن يكتب به الكلمات أو الأسماء، مثل: فرانسا بدلاً من فرنسا، والدوكتور بدلاً من الدكتور، وأكطوبر بدلاً من أكتوبر، إلي غير ذلك، حرصاً علي روح العصر وروح المذكرات.

كذلك حرصت علي وضع أرقام صفحات الكراسات داخل برواز ببنط أسود كبير داخل السطور، عندما تتطلب الحاجة ذلك، حتي لا ينقطع السياق عند وضع أرقام الصفحات في أول السطر رغم عدم إنتهاء الكلام!

وقد واجهتنى صعوبة كبيرة فى قراءة الأسماء الافرنجية الكثيرة التى تعامل معها سعد زغلول فى باريس، والتى كتبها بطريقته الخاصة التى لا تميز الحروف. وقد لجأت إلى كتابىّ محمود أبو الفتح: «مع الوفد المصرى» و«المسألة المصرية والوفد» اللذين صدرا عام ١٩٢٠، وقمت بعمل قائمة بما ورد فيهما من أسماء فرنسية وانجليزية وأمريكية وإيطالية تعامل معها سعد وتعاملت مع المسألة المصرية، للإسترشاد بها. وأما الأسماء التى لم ترد فيهما فقد آثرت ترك مكانها شاغرا،

مع الإشارة فى الحواشى إلى اجتهاداتى فيها، حتى لا تؤخذ هذه الأسماء على علاتها مع بعدها عن الواقع.

وقد حرصت أيضاً علي استخدام علامات الترقيم، التي تخلو منها المذكرات تماماً، لتوضيح العبارات، وتقسيم الأحداث.

وكما فعلت في الأجزاء السابقة، فقد صدّرت كل كراسة بأهم محتوياتها، واختتمت الكتاب بكشاف تفصيلي للأعلام والهيئات والبلاد والأماكن والحوادث والدوريات، فضلاً عن فهرس تفصيلي بكل ما احتواه الجزء، تيسيراً للباحث للوصول إلي غرضه.

وفي النهاية لا أملك إلا أن أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلي حيز النور، وخصوصاً الدكتور سمير سرحان، والباحثين الذين قرأوا الكراسات القراءة الأولي، والله الموفق،،

الهرم فى ٤ إبريل ١٩٩٨

أ. د. عبد العظيم رمضان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بكلية الآداب ـ جامعة المنوفية

٥٠

الكراسة الثالثة والثلاثون *

* بغير خط سعد زغلول

الكراسة الثالثة والثلاثون

من ص ١٨٨٨ إلى ١٨٦١ ترقيما عكسياً
من ٧ ديسمبر ١٩١٨ إلى ٨ مارس ١٩١٩

المحتـــويات :

ـــ نشاط الوفد في مصر ابتداء من ٧ ديسمبر ١٩١٨ حتى إلقـاء السلطات الإنجليـزية القـبض على سـعـد زغلول وإسماعيل صدقي وحمد الباسل ومحمد محمود.

[ص ١٨٨٨]

٧ ديسمبر ١٩١٨[(١)]:

حضر مصطفى أفندى الشيبى وعبدالغنى أفندى سليم عبده، وأراد كل منهما أن يتبرع بمائة جنيه. نمرة تلفون عبدالغنى أفندى ١٧٠ مصر

قابلا معالى الرئيس الساعة ٦,٣٠ مساء.

٦ ديسمبر: أرسلنا مذكرات قناصل الدول.

٧ ديسمبر: أرسلنا مذكرات قناصل الدول، بما فيها واحدة أرسلت فى المساء إلى نائب الملك.

٨ ديسمبر: أرسلنا مذكرة إلى دولة رئيس الوزراء.

١٣ ديسمبر: رتبنا جرائد الغازيت، والتان، والتيمس، يرسلوا من ١٥ الجارى.[(٢)]

١٤ ديسمبر مساء: أرسلنا تلغراف مطول[(٣)] ٦٤٨ كلمة، إلى الرئيس ولسون بباريز.

---

(١) غير موجودة فى الأصل.
(٢) المقصود من كلمة: «رتبنا»، ترتيب وصول هذه الصحف بصفة منتظمة إلى الوفد.
(٣) هكذا فى الأصل، وصحتها: تلغرافا مطولاً.

٣٢٠٤

١٥ ديسمبر: حضر عبدالخالق مدكور مع عبد الرحمن فهمي بك الساعة ١١ صباحاً.

١٥ ديسمبر: الساعة ٦ أرسلنا صورة تلغراف ولسن إلى معتمد أمريكا.

١٦ ديسمبر: حضر نجيب بطرس غالي باشا مع شعراوى باشا.

١٧ ديسمبر: حضر جورج بك ويصا مع سينوت حنابك.

١٨ ديسمبر: أرسل جواب صدقي باشا إلى G. S. G سفواى يطلب الترخيص له بالسفر الساعة ٥,١٥ .

١٩ ديسمبر: حضر حسن فؤاد طوير[١] صقال للشغل معنا.

٢٢ ديسمبر: أرسلنا جواب استفهام عما إذا كان تلغراف الرئيس ولسن وصله أم لا.

٢٦ ديسمبر: أرسلنا تلغراف[٢] آخر إلى الرئيس ولسون بمبلغ ٧٣٩ قرشاً إلى لوندرة. وأرسلنا صورته الساعة ١٠ صباحاً إلى معتمد أمريكا.

٢٦ ديسمبر: تم طبع مذكرة صدقي باشا.

٣١ ديسمبر الدكتور حافظ عفيفي أخذ نسخة من مذكرة صدقي باشا

---

(١) قراءة تقريبية.

(٢) هكذا في الأصل، وصحتها: «تلغرافاً»

[ص ١٨٨٧]

٣ يناير سنة ١٩١٩

الساعة ١٠,٣٠ أرسلنا تلغرافا إلى الرئيس ولسون عدد كلماته ١٤٢ والأجرة ٦٨١,٥ قرش

[ص ١٨٨٦]

٤ يناير سنة ١٩١٩

سينوت بك أخذ تقرير صدقى باشا

[ص ١٨٨٥]

٥ يناير سنة ١٩١٩

ثروت باشا أخذ مذكرة صدقى باشا

عبدالخالق مدكور حضر الصباح، وقابل محمد محمود باشا، وحضر فى المساء الساعة ٦,٣٠ وقابل معالى الرئيس.

عقدت أول جلسة رسمية اليوم، وحضرها[١] جميع الأعضاء، ماعدا حسين واصف باشا، وخياط بك، والنحاس بك، وحمد باشا لوجوده فى الفيوم.

---

(١) أضفنا كلمة: «وحضرها»

[ص ١٨٨٤]

٩ يناير سنة ١٩١٩

أرسلنا جوابات الدعوة لحفلة الشاى عند سعادة حمد الباسل باشا.

أمين أفندى العبادى حضر البارحة.

١٠ يناير سنة ١٩١٩

أعطيت المذكرة الثانية ليوسف موصيرى من صدقى باشا.

واصف بك بطرس غالى Wasif bey Boutros ghaly

٢ شارع بارى 2 Rue Bary 17me arrondissement

باريس Paris

[ص ١٨٨٣]

١١ يناير سنة ١٩١٩

أرسلنا تلغراف[١] إلى المسيو كليمانصو بباريز، وأرسلنا صورته إلى معتمد فرنسا ومعها جواب ـ

أخذت من حمد باشا خمسين جنيه لحساب الوفد.

---

(١) هكذا فى الأصل، وصحتها: «تلغرافاً»

[١٨٨٢]

١٢ يناير سنة ١٩١٩

أحضرت جواب لويد جورج من الكولونيل البرفسور فلوت[١]

حضر المسيو ناصف من محل بحرى بك، واشتغل معنا.

كذلك حضر بدير أفندى من مصلحة المجارى، وعلى أفندى راجح من القسم الميكانيكى، واشتغلا معنا.

كنا نريد إرسال address[٢] إلى معتمد الأمريكان، ولكن سيُرسل تلغرافيا.

أخذت جواباً إلى نائب الملك[٣] حوالى الساعة ٦ مساء.

١٣ يناير سنة ١٩١٩

أرسلت جواب إلى رئيس وزراء بريطانيا[٤] مسجل بوصل مرتجع، وتلغراف لوزير خارجية الولايات المتحدة بباريس[٥]، وآخر لرئيس وزراء إيتاليا[٦] بباريس.

---

(١) قراءة تقريبية.
(٢) أى: خطبة أو مذكرة رسمية.
(٣) يقصد المعتمد البريطانى.
(٤) المستر لويد جورج.
(٥) المستر روبرت لنسنج.
(٦) السنيور أورلاندو، رئيس وفد إيطاليا فى مؤتمر الصلح

أرسلنا صور التلغرافين المرسلين اليوم إلى وزير أمريكا، ووزير ايطاليا فى مصر.

أرسلنا تلغرافا للرئيس ولسون، بعد انفضاض الاجتماع عند حمد باشا وسماع خطبة الرئيس.

[ص ١٨٨١]

١٤ يناير سنة ١٩١٩

أرسلت صورة التلغراف الذى أرسل البارحة بعد الاجتماع، مع جواب، لمعتمد أمريكا الساعة ١١,٣٠ صباحاً.

١٥ يناير سنة ١٩١٩

أرسلنا جواباً إلى رئيس مجلس النواب the speaker

دفعت ٢٥ جنيهاً من ثمن الورق.

[ص ١٨٨٠]

١٦ يناير سنة ١٩١٩

علمنا بمسألة فك الأزمة وسفرنا .

أعطيت جواب لويد جورج إلى الكولونيل فلوت، كذلك أغلب مطبوعاتنا.

ابتدأنا فى فتح دفاتر قسائم الاكتتاب.

وزعت كالآتى:

حامد بك عبدالغفار ١ ـ ١٠٠ ـ

علوى بك الجزار ١٠١ ـ ٢٠٠

السعد بك سليمان ٢٠١ ـ ٣٠٠

أحمد أفندى عبدالغفار ٣٠١ ـ ٤٠٠

معالى اسماعيل صدقى باشا ٤٠١ ـ ٥٠٠[١]

حامد الماوردى بك ٥٠١ ـ ٦٠٠

حافظ عفيفى بك ٦٠١ ـ ٧٠٠

حمد الباسل باشا ٧٠١ ـ ٨٠٠

محمد محفوظ باشا ٨٠١ ـ ٩٠٠

عبدالستار الباسل بك ٩٠١ ـ ١٣٠٠[٢]

١٧ يناير سنة ١٩١٩

عبدالستار الباسل بك ٤ دفاتر قسائم اكتتاب، من ٩٠١ ـ ١٣٠٠ طبعنا خطبة الرئيس بالفرنساوى.

(حضر) مستر بيمان وأخذ نسخة من الخطبة بالعربى.

---

(١) هذا السطر مشطوب بخط سعد زغلول.
(٢) هذا السطر مشطوب بخط سعد زغلول.

[ص ۱۸۷۹]

۱۸ يناير سنة ۱۹۱۹

أوصلنا نسخة من الخطبة إلى سفواى، ليد المستر بيمان بالفرنساوى.

عملنا بروفة دعوى الشاى ليوم ۲۷ يناير سنة ۹۱۹

طبعنا فى مطبعة المعارف دفاتر قسائم الاكتتاب، وأرسل لنا جاهر

۷٥ دفتراً، كل منها بعشرة وبعشرين وصل.

[ص ۱۸۷۸]

۲۰ يناير سنة ۱۹۱۹

سافر اليوم الساعة ۱۰ مساء بقطر مخصوص المعتمد البريطانى.

[ص ۱۸۷۷]

۲۲ يناير سنة ۱۹۱۹

أرسلنا جوابات الأرياف مع طلبة من الجامعة والحقوق وجوابات (...)[۱]

[ص ۱۸۷٦]

۲۳ يناير سنة ۱۹۱۹

أخذ شعراوى باشا دفاتر (...)[۲]

---

(۱) كلمة غير واضحة لنفاد الحبر.

(۲) عبارة غير واضحة لنفاد الحبر

٢٤ يناير سنة ١٩١٩

مشى الوفد فى جنازة المرحوم صادق بيك رفعت ــ

[ص ١٨٧٥]

٢٥ يناير سنة ١٩١٩

سلمت على شعراوى باشا الدفاتر التى رُدت إلىّ من زكى بك عبدالرازق.

توجهت المحافظة قلم الرخص، وطلبت جوازات.

[ص ١٨٧٤]

٢٦ يناير سنة ١٩١٩

حضر لنا شفيق أفندى جرجس، وفؤاد أفندى حبيب قصبجى، ٣مجلدات من محاضر مجلس الشورى عبدالقوى بك الباشمهندس.

٢٧ يناير سنة ١٩١٩

طُلب الرئيس[١] لمقابلة الجنرال وطسن[٢] فى سفواى، وقابله ومعه محمد محمود باشا الساعة ٦,١٥ فى سفواى، وكلمه بأن يفض اجتماع حفلة الشاى.

---

(١) يقصد: سعد زغلول.

(٢) Watson القائد العام فى مصر.

[ص ١٨٧٣]

٢٨ يناير سنة ١٩١٩

وصلنا جواب من سفواى يطلب أن يفض الرئيس اجتماع حفلة الشاى المزمع عملها فى ٣١ الجارى.

أرسلنا رد الجواب إلى الجنرال وطسن.

جواب الجنرال وطسن أخذه محمد محمود باشا.

[ص ١٨٧٢]

٣٠ يناير سنة ١٩١٩

تركت المكتب الساعة ١١ صباحاً، وتوجهت المنزل (...)[١]

أوصلت مذكرتنا، عدد ٢ لكل وزير، إلى وزراء الدول الآتية أسماؤهم: أمريكا ـ بلجيكا ـ أسبانيا ـ فرنسا ـ الروسيا ـ اليونان ـ إيطاليا ـ هولانده ـ العجم[٢].

٣١ يناير سنة ١٩١٩

ميعاد حفلة الشاى ـ التى ألغيت.

وصلنا جواب من قنصل إيطاليا يخبرنا أنه سيوصل مذكرتنا إلى دولته.

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) يقصد: إيران.

أرسلت فى المساء دعوة الغداء يوم الاثنين ٣ فبراير القادم عند معالى الرئيس.

[ص ١٨٧١]

١ فبراير ١٩١٩

أرسلنا تلغرافا لرئيس وزراء بريطانيا للسفارة الانجليزية فى باريز الساعة٨ مساء.

أرسلنا تلغرافا للرئيس ويلسون الساعة ١٠,٢٠ مساء بعنوانه فى باريز.

حبيب أفندى قصبجى، من اليوم تعيين بمرتب ٦جم شهرياً.

٢ فبراير سنة ١٩١٩

[ص ١٨٧٠]

أرسلنا تلغراف إلى كليمنسو بباريز الساعة ١,٣٠ بعد الظهر.

أعطينا ظروف داخلها مذكرات الوفد إلى المسيو جورج (...)[١] لتوصيلها إلى باريز ـ أعطيت إلى معالى صدقى باشا.

٣ فبرايز سنة ١٩١٩

الدكتور حامد اسماعيل سيشتغل معنا من ٩ صباحاً للساعة ١ بعد الظهر، ومن ٤ مساء لغاية ٨ مساء. وتعهد بذلك.

---

(١) كلمة غير مقروءة ، وقد تكون «فسيه»

٣٢١٤

[١٨٦٩]

١٠ فبراير سنة ١٩١٩

أرسلت جواب للمسيو الأفوكاتو بلاتشى - وآخر للأفوكاتو Catzeflis بالاسكندرية.

[ص ١٨٦٨]

١٥ فبراير سنة ١٩١٩

تلغراف إلى كليمنسو بباريس

[ص ١٨٦٧]

١٦ فبراير سنة ١٩١٩

أرسلنا تلغراف إلى رئيس مندوبى الولايات المتحدة فى مؤتمر الصلح.

أرسلنا صورة تلغراف كليمنسو إلى معتمدى الدول فى مصر.

[ص ١٨٦٦]

٢٦ فبراير سنة ١٩١٩

أرسل جواب إلى المسيو دبكوش مدير جريدة تلغرافوش

[ص ١٨٦٥]

١ مارس ١٩١٩

أخبرنى إسماعيل صدقى باشا أنه لا أمل فى السفر -

مـرعى وصل بيـروت. وصلنا إلى بهـجت الشـوربجى كـارت اليـوم نخبره بذلك، وأن الطقس جيد جداً ـ

[ص ١٨٦٤]

٢ مارس سنة ١٩١٩

المفاوضات مع سرى باشا لرياسة الوزراء[١].

٣ مارس سنة ١٩١٩

المفاوضات اليوم مع عبدالخالق ثروت باشا[٢]

توجه الوفد مع الرئيس إلى عابدين لتقديم جواب الاحتجاج[٣]

توجهت عابدين فى الساعة ٦، وقدمت ترجمة الاحتجاج إلى كبير الأمناء.

[ص ١٨٦٣]

٤ مارس سنة ١٩١٩

اليوم أيضاً المفاوضات مع ثروت باشا.

توجه الرئيس ومعه الوفد إلى مقابلة رشدى باشا وعدلى باشا.

---

(١) يقصد مفاوضات السلطان فؤاد مع اسماعيل سرى باشا لتولى رياسة الوزارة بدلاً من حسين رشدى باشا.

(٢) يقصد مفاوضات السلطان فؤاد مع عبدالخالق ثروت باشا لتولى رياسة الوزارة بدلاً من حسين رشدى.

(٣) يقصد الاحتجاج على محاولات السلطان تأليف وزارة جديدة برياسة عبدالخالق ثروت باشا. وقد ألحقنا نص جواب الاحتجاج فى آخر الكتاب

٣٢١٦

[ص ١٨٦٢]

٦ مارس سنة ١٩١٩

مقابلة بينى وبقية الأعضاء مع الجنرال وطسن..[١]

[ص ١٨٦١]

٨ مارس سنة ١٩١٩

القبض على رئيس الوفد المصرى واسماعيل صدقى باشا وحمد الباسل باشا ومحمد محمود باشا[٢]

---

(١) الخط غير ظاهر أصلاً لنفاذ الحبر. وهذا ما أمكن قراءته بفضل الخلفية التاريخية.
(٢) الخط غير ظاهر لنفاد الحبر. وواضح العجلة فى الكتابة لخطورة الأحداث.



* بغير خط سعد زغلول

الكراسة الخمسون
الجزء الأول

من ص ٢٨٥٣ إلى ص ٢٨٥٨

من يوم ٦ مارس ١٩١٩

من يوم ٢٦ مارس ١٩١٩

محتويات الكراسة :

ـــ وصف سعد زغلول لاعتقاله.

ـــ رحلة المعتقلين من محطة مصر إلى بورسعيد.

ـــ نقل المعتقلين إلى الباخرة كاليدونيا.

ـــ وصف سعد زغلول لرحلته وزملائه من بورسعيد إلى مالطة.

[ص ٢٨٥٣]

يوم ٢٦ مارس ١٩١٩ بقلعة بولفارستا بمالطة.

فى يوم ٦ مارس لم أكتب شيئاً فى المذكرات. وفيه حدث أن دعانا الجنرال واطسون قائد القوات البريطانية فى مصر عنده بسافواى أوتيل، أنا وأصحابى أعضاء الوفد. وعندما اجتمعنا فى غرفة، خرج علينا من باب بداخلها، وحوله بعض العساكر.

وبعد أن سلم، قال عابساً: إنه نظراً لأنه علم أنكم تناقشون الحماية، وتعرقلون سير الحكومة بتعطيل تشكيل الوزارة، فأنذركم بأنكم إذا أتيتم ما يعطل سير الحكومة، تقعون تحت العقاب الشديد.

فهممت بالجواب، فانصرف قائلاً: لا مناقشة no discussion

فطلبنا أن نستلم نص البلاغ من بعض[1] الضباط الذى كان يترجم قوله، فسلمنا إياه

بعد استئذانه. وعقب ذلك، قلت لأصحابى: إن الأمر ليس مجرد تهديد، بل هو جدى!

ثم كتبنا إلى مستر لويد جورج تلغرافا بالاحتجاج على هذا التصرف، قلنا فيه: إن تعطيل تشكيل الوزارة ليس من عملنا، بل هو ناتج من منع الوفد من السفر، ولكن السلطة العسكرية أرادت أن تلقى علينا مسئولية هذا التعطيل.

---

(١) هكذا فى الأصل، وصحتها: من أحد.

ثم كتبت للجنرال المشار إليه جواب عتاب على المقابلة التى قابلنا بها.

فى يوم الجمعة ٧ مارس، تحدث البعض بأن ٢٠ محلاً أعدت فى طره[1] لعشرين شخصاً!

وفى صبيحة يوم ٨ منه، أخبرنى بعض الأصدقاء بأنه تقرر سجننا ولو لم يصدر منا شىء مما نهينا عنه! فلم أعبأ بهذا النبأ.

ولكن فى نحو الساعة الخامسة بعد الظهر، حضر أحد الضباط الانجليز، ومعه وطنى أسمر اللون كمترجم، وقال لى: إنك مدعو لأوتيل سافواى.

فخرجت معه، حيث وجدت محمد باشا محمود واقفاً أمام المنزل المجاور لنا، بجانب أوتومبيل وبعض العساكر. فأُركبنا معاً فى الأوتوموبيل إلى قصر النيل. وكان من خلفنا فى أتومبيل آخر إسماعيل صدقى باشا.

وأصعدنا إلى الطبقة العليا، ووضع كل منا فى أودة! وبعد قليل حضر بعض الضباط والعساكر، [ص ٢٨٥٤] وفتشونا جيداً. ولم يجدوا معى شيئاً إلا بعض أوراق، ردوها صباحاً بعد أن قرأوها وعرفوا عدم أهميتها.

وكانت أودتى أوفر متاعاً، وأوسع من بقية الأود.

وبعد قليل، أُحضر حمد باشا الباسل. وجلس كل منا منعزلاً عن الآخر إلى أن سمح لنا ـ بناء على طلبى ـ بالاجتماع معاً.

---

(١) أى فى سجن طرة.

وطلبت من المنزل أكلاً، فلم يأتوا به إلا بعد الساعة ١١. وكنت قد رقدت فوق السرير، وماذاقت النوم عيناى طول الليل، لأن الحراس كانوا يروحون ويغدون أمام الأودة، فيحدثون حركة مقلقة، ولأن أفكاراً كثيرة كانت تتوارد علىّ. وكان يزعجنى منها ما توحيه حالة زوجتى، التى لم تكن فى البيت وقت القبض علىّ.

ولم يخطر ببالى نفسى، ولكن سجن إلى زمن ما.

وقد قيل لنا: تهيأوا لمقابلة بعض الناس غداً الساعة ٩,٣٠ ففهمنا أن الجنرال اللنبى يريد رؤيتنا، أو واطسون أو غيرهما من الضباط. وخطر ببالنا ـ فيما خطر ـ إجراء تحقيق معنا.

ثم قيل لنا: أحضروا ملابس تكفى لشهر من الزمان! فما فهمنا أن ذلك للإبعاد! وتوهمنا أنه سوء فهم من مبلغينا.

وفى الصباح قيل لنا: إستعدوا للسفر ـ من غير بيان الجهة! وطُلب منا أن نبدى رغبتنا فيما إذا كان يلزم أن يصحبنا تبع؟[١] فأرشدت فى[٢] اسم محمد أحمد.

وعلمنا بعد ذلك أنهم طافوا على منازلنا، لإحضار لوازم السفر منها فى مسافة وجيزة جداً.

وفى الساعة ١٠,٣٠ أنزلونا إلى الطبقة السفلى، حيث كانت أوتومبيلات معدة لنقلنا. ووجدنا أتباعنا مع أمتعتنا فى عربة نقل.

---

(١) أى: تابع

(٢) هكذا فى الأصل، وصحتها: إلى

وسارت بنا الأوتومبيلات مقفلة! إلى المحطة، فدخلنا فى رصيف الصعيد، وانتهينا إلى محاذاة العربة التى أنزلنا فيها. وكنا محاطين بجند فى مناطقهم غدارات.

وأجلسوا كل اثنين منا فى عين فى العربة ومعهما حارس متمنطق بغدارة. ثم ـ بناء على طلبنا ـ اجتمعنا معاً فى عين واحدة. وكان على الباب جنديان، ومعنا جندى. وكلما ذهبنا إلى جهة سار جندى خلفنا. [ص ٢٨٥٥] ويقود الحرس الموضوع علينا ضابط أكتع. وتغدينا على كحسابنا فى محل الأكل. ولم يقولوا لنا عن الجهة التى توجه إليها.

وكانت العربة التى نزلنا فيها، محاطة بكثير من الضباط والجند. ولم نر أمامها من المصريين إلا محمود باشا صدقى، ومحمد باشا صدقى ـ رأيتهما من بعد والدموع تتناثر فى عيونهما!

وخاطبنى محمود باشا فى شأن توكيله، فأجبته أنى سأرسل التوكيل إليه. ودفع إلىّ كلٌ واحد منهما ما كان معه من النقود، ولا يبلغ مجموعها أكثر من عشرين جنيه تقريبا!

وكان يحول بينى وبينهما فى الكلام ضباط وجنود ومترجم قُذعة[1] ، كان يقول: لا تتكلموا فى غير موضوع التوكيل!

ولقد تقبلنا كل هذه المعاملات بالصبر والجلد.

وكنا نضحك أحياناً عندما يقوم هناك سبب يقتضيه! ولطريقه حمد باشا الباسا فى حسن التوكل، وجميل التحمل، يرجع الفضل فى تلطيف الأمر علينا.

---

(١) أى: قصير القامة

.١٩١٥

ولما وصل بنا القطار إلى بورسعيد، وجدنا مستر« إلجود» فى انتظارنا (وهو كومندان العساكر الإنجليزية ببورسعيد) فقابلنا بهشاشة وبشاشة، وسارينا إلى أوتومبيلات الصليب الأحمر، معتذراً بأن غيرها كان مشغولاً!

وقادنا إلى باخرة ضخمة من بواخر النقل، تدعى «كاليدونيا» وكانت مشحونة جنداً! وقدمنا إلى قوامندانها . وتناولنا الشاى معه.

وكتبنا جوابات لمنازلنا، وطلبنا منه أن يتوسط فى إحضار نقود لنا بواسطة تحويلات سحبناها على المصارف التى لنا معاملة معها. فردها علينا بأن هذه المحلات أبت أن تدفع إلا بعد مراجعة محلاتها بمصر.

ومكثنا فى الباخرة ببورسعيد إلى يوم الاثنين، حيث أقلعت بنا وقت الظهر. وأبى كل من سألناه ممن فيها أن يبوح باسم الجهة التى تقصدها، حتى اليوم التالى حيث قيل لنا إنها تقصد بنا مالطة!

وقد كنا أثناء ذلك ثابتين، غير جزعين، ولا مضطربين، ولا قلقين إلا على أهلنا، الذين يتوهمون أننا متعبون متألمون لما يتوهمون من ألمنا، [ص ٢٨٥٦] بحيث لو كنا متأكدين من اطمئنانهم علينا لكنا فى راحة بال وسكون حال.

وكانت السفينة ـ كما قلنا ـ مملوءة جنداً من الإنجليز، ولم يكن فيها من غيرهم إلا بعض الهنود والخدم، ورجل وامرأته يظهر عليه أنه من يهود الإسكندرية، وله علاقة بالسلطة العسكرية. كان هذا الرجل يحدق فينا كثيراً كلما تقابلنا معه!

ولقد رأينا، قبل تحرك السفينة، وطنياً بطربوش أراد الوقوف معنا بعد أن سلم بالإشارة علينا، فلم نرد أن يستمر، وصرفناه عنا.

ومالحنا فى القطار وطنياً إلا رجلاً من بورسعيد مر سريعاً بنا، واسمه ـ فيما أذكر ـ عبد الحليم.

وعلمت بعد وصولنا إلى مالطة أنه حدث لمحمد أحمد، تابعى، ماكدرنى، وهو أن الجندى الذى كان معنا أهانه، فلم يقبل هذه الإهانة، واحتج عليها، فما كان من الضابط المرافق لنا إلا أنه لطمه على وجه لطمة أحدثت له ألما شديداً! ثم أحاط به فى الحال نفر من الجند شاهرين غداراتهم. وكان هذا الضابط يلاطفنا فى الطريق ولكنه كان يتبع خطواتنا أينما سرنا.

وكان أتباعنا مراقَبين أشد مراقبة، خصوصاً والباخرة فى بورسعيد. ولم يكن يسمح للواحد منهم أن يقضى حاجته إلا فى وقت معين ومع الآخرين!

وينام الحرس على أبواب العنبر الذى كانوا ينامون فيه. وكانت الجنود تنام فوق سطح الباخرة رغم البرد الفارس، والمطر المتساقط.

وكان كل الركاب ـ على اختلافهم ـ يتمرنون على حمل مناطق النجاة كل يوم فى الساعة ٩,٣٠، ويقفون صفوفاً صفوفاً، إذ تمر الضباط بهم لتفقد أحوالهم، وتُعلّم من يجهل التمنطق بهذه المناطق كيف يحملها. وكان كل منهم ملزماً بحملها متى كان جندياً أو ضابطاً

فى جميع الأوقات. وقد أحدث التمرين عليها أول الأمر فى نفوسنا تأثيراً سيئاً، لتوهم الخطر، ولكنه لم يلبث حتى زال.

ومع امتلاء السفينة بالركاب لم نكن نسمع منهم جلبة ولا صخباً! بل كان السكون سائداً عليهم فى أغلب الأوقات! وما كان يواجهوننا بشىء [ص ٢٨٥٧] من الاشمئزاز أو النفور أو الانتقاد أو النظرات الجارحة، ولا يتصادمون بنا، وفى الغالب كانوا يوسعون الطريق لمرورنا.

وكانت محلاتنا من المحلات المعدة للضباط فوق ظهر الباخرة. لكل واحد قمرة، فيها ما يلزم من فراش وغطاء ولوازم الوضوء.

وكان الأكل مناسباً، وأغلبه من الرز مع الكرى. ولم يكن لأحد أن يأكل غير المعين فى ورقة الأكل، إلا أنا، فقد كان من المباح لى أن أطلب ما أريد نظراً لمرضى. وكانت الخدمة طيبة. والنظافة مستوفاة.

وكانت الرياح[١] فى اليوم الأول ساكنة والبحر هادئا. ولكنها عصفت فى اليوم الثالث، وتحركت،[٢] ونزلت بعض الأمطار، ثم هدأت الحال بعد ذلك. ولم يأخذنى دوار ولم يشتد بى التعب اشتداده المعتاد.

وكنا نقضى أوقاتنا فى تناشد الأشعار، وبعضها فى لعب الورق، وبعضها فى الحديث والسمر، ونستعين على طرد الهموم بمبادئ الدين والفلسفة، وقد نجح تذكرها نجاحاً عظيماً، وأفادنا فى تحمل مشاق الغربة، والسفر، والبعد عن الأهل والوطن.

---

(١) فى الأصل: والرياح

(٢) فى الأصل: «وتحرك».

ولم تكن السفينة قاصدة مالطة إلا لإنزالنا بها، فوصلتها صبيحة يوم الخميس ١٣ مارس، إذ وقفت بعيداً عن المرسي، ولمحنا من بعد زورقاً بخارياً قادما علينا، فألفتنا الضابط المرافق لنا إلى أنه هو المركب المخصص لنقلنا.

ثم دعينا لإمضاء ورقة تختص بقسيمة أكلنا ونفقاتنا، وأجلسنا فى الصالون، حتى قدم الضابط الذى تخصص فى مالطة لاستلامنا، وهو رجل ربعة مليء غليظ.

وبعد أن جلس يتحادث مع الضابط المرافق لنا وربان الباخرة، أقبل علينا يقول: لا تؤاخذونى، إنه لا يمكنكم أن تأخذوا من أمتعتكم إلا ما خف حمله باليد، وأما الباقى فيجب أن يعود مع السفينة! هيا ننزل!

فاعترتنا دهشة كبيرة لهذا النبأ الصادع، لأن ما خف من المتاع لايغنى شيئاً، ولم يكن فى الوقت سعة لأن نختار النافع! فكان هذا أشد وقعاً فى [**ص ٢٨٥٨**] أنفسنا من وقع القبض علينا! إلا أن قومندان الباخرة همس فى أذن ذلك الضابط بأن هناك وصية بأن نعامل أحسن معاملة وأكرمها، فلما سمع ذلك، أذن بنقل جميع المتاع.

وكان الزورق الذى قدم عليه صغيراً جداً، لا يسع سوى نفرين مع النوتى، أو ثلاثة فقط. فنقلنا اثنين اثنين. وكان العساكر عند نزولنا ينظرون إلينا، ويضحكون إذا زلت بالواحد منا قدم، أو مال به الزورق، الذى كان ـ على صغره ـ وسخا، والمياه تملأ جوفه!

أما الزورق البخارى فكان ـ فيما يظهر ـ من زوارق خفر السواحل
دائم الحركة والاهتزاز والتقلب ذات اليمين وذات الشمال، واعترانى [illegible]
هزاته واضطراباته أكثر مما بى من تعب السفر!

ولما تكامل نقل متاعنا، وحضر خدمنا، سار بنا حتى المرسى. [illegible]
بعد نصف ساعة. ولم يكن أحد بانتظارنا.

وتكلم الضابط فى التليفون الذى بالميناء الذى رسينا عليه، لاحضار
عربات لنقلنا. فحضر اثنتان، وهى عربات صغيرة جدا، عليها مظلة [illegible].
فصعدنا إلى قلعة تسمى قلعة بولفارستا، وأدخلنا إلى قسم منها.

٥٢

الكراسة الخامسة والثلاثون*

* بغير خط سعد زغلول

الكراسة الخامسة والثلاثون

من ص ١٩٢٠ ـ ١٩٨٧

من ٢٦ مارس ١٩١٩ إلى ١٤ فبراير ١٩٢٠

المحتـــويات:

- رحلة سعد زغلول ورفاقه إلى قلعة بولفاريستا بمالطة.
- وصف سعد زغلول لقلعة بولفاريستا وحياته فيها.
- حياة سعد زغلول فى قلعة بولفاريستا.
- تعلم سعد الإنجليزية فى مالطة على يد مدرس ألمانى!.
- متابعة سعد ورفاقه فى المنفى مناقشات مجلس العموم البريطانى.
- استبشار سعد بنبأ إرسال الحكومة الإنجليزية الجنرال ألنبى إلى مصر.
- وصول إحسان باشا الفريق، قائد الجيوش التركية فى العراق، إلى مالطة أسيرا، وزيارة سعد ورفاقه له.

- تخرج سعد ورفاقه من مقابلة الأسرى الألمان والنمسويين فى مالطة، بسبب ما أشيع من أصبع الألمان فى أحداث ثورة مارس.
- صدى ثورة مارس فى نفس سعد زغلول بسبب إبعاده ورفاقه، سعد يكتب قائلا: «كادت تحبب السجن إلينا»!
- إستياء سعد لما أسماه بتدخل الأشرار فى أحداث الثورة.
- سعد يصف الثورة بأنها «جاءت قارعة شديدة فوق ما كان يقدر المقدرون»!
- تشكك سعد فى استعمال الحكومة الإنجليزية لحسين رشدى باشا وعدلى باشا!
- دهشة سعد زغلول لما نشرته التيمس من إعلان الجمهورية فى الزقازيق.
- نشوب النزاع بين محمد محمود باشا وإسماعيل صدقى باشا فى المعتقل.
- إستياء سعد زغلول لتصرفات محمد محمود باشا فى المعتقل، ويكتب كشفا مطولا بسيئاته وحسناته!
- سعد يحلل أسباب الثورة، ويقول: «الفضل فى ذلك لا يرجع إلى مهارتنا، ولكنه يرجع فى الحقيقة لسوء السياسة الإنجليزية فى مصر».
- سعد يرجع سقوط الدولة العثمانية إلى فسادها، ويقول إنه لقى الكثير من الأتراك بين الأسرى، «ولم يكن لديهم من متانة الأخلاق والمعارف ما يكفى لحفظ الدولة، بل ضرب فيهم الفساد»!.
- تزاور سعد مع إبراهيم باشا متصرف جدة.

ـ شك سعد زغلول فى أن ثورة مارس سوف تحمل مؤتمر الصلح على إعلان استقلال مصر.

ـ قلق سعد من الأنباء التى وردت من مصر بقتل المتظاهرين باشمهندس إنجليزى فى السكة الحديد ووزير اليونان المقيم.

ـ سماح الجنرال ألنبى بسفر كل المصريين إلى الخارج، وسعد يعلق على ذلك قائلا: «هذا أول انتصار للحق فوق القوة».

ـ اعتقاد سعد أن سفر الوفد سوف يكون إلى انجلترا، ويطلب من رفاقه عدم قطع النظر عن انجلترا «فإن لنا فيها نصراء من ذوى الحرية والنفوذ».

ـ تشكك سعد فى فائدة السفر إلى مؤتمر الصلح، وقلقه من أن يكون الاذن بالسفر قد حدث بعد الاتفاق على مستقبل مصر!.

ـ ثابت الجرجاوى، المعتقل بكامب فيرواله فى مالطة، يدبج قصيدة فى مدح سعد زغلول، وسعد يرسل إليه ورقة مالية بخمسة جنيهات!.

ـ سعد زغلول يوزع على المصريين الفقراء فى مالطة خمسين جنيها!.

ـ سفير انجلترا فى ايطاليا يوصى حاكم مالطة على محمد محمود باشا، لزمالته له فى مدرسة باليول!.

ـ زيارة وداع يقوم بها سعد ورفاقه للمصريين والألمان والنمسويين والأتراك الأسرى فى معسكرات مالطة.

ـ حفلة شاى يقيمها المصريون المعتقلون فى مالطة لسعد ورفاقه، بمناسبة الافراج عنهم، يخطب فيها كل من على حلمى والصباحى والعطار والجرجاوى.

ـ سعد زغلول يكتب تحليلا لشخصية محمد محمود باشا.

- إمتناع سعد عن كتابة مذكراته حتى يوم ٢٠ سبتمبر ١٩١٩ خشية إطلاع الغير عليها، ويندم على ذلك.
- نشوب الخلاف بين أعضاء الوفد فى باريس حول سفر سعد زغلول إلى أمريكا.
- اختلاف أعضاء الوفد حول استدعاء مكرم عبيد إلى باريس للقيام بأعمال الترجمة من الإنجليزية، واعتراض كل من محمد محمود ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى على ذلك، اعتقاداً بأن الغرض من الاستدعاء مكايدة محمد محمود باشا!
- سعد يصف محمد محمود باشا بأنه: «غيور، ومتكبر، ومعجب بنفسه، وأحمق».
- قرار الوفد سفر سعد وعبد اللطيف المكباتى إلى أمريكا.
- تشكك محمد محمود باشا فى صلة سعد زغلول بالتفجيرات التى كانت تحدث فى مصر وبالتنظيم السرى الذى كان يقوده عبدالرحمن فهمى لمنع تشكيل الوزارة، وإنكار سعد زغلول هذه الصلة.
- زيارة رشدى باشا لباريس واعرابه عن اعتقاده بأن الوفد كان وراء إضراب الموظفين ضد وزارته.
- اقتراح لطفى السيد عودة سعد وبعض أعضاء الوفد إلى مصر لاتخاذ مايلزم من الاحتياط للجنة ملنر، وارسال جماعة أخرى إلى أمريكا، وإلى انجلترا للقضية المصرية.
- تكليف الوفد قرياقوس ميخائيل المقيم فى لندن بعمل نشرة تشتمل على أهم ماتنشره الجرائد الأمريكية عن مصر.

ـ حضور سعد بعض جلسات مجلس النواب فى فرنسا، واستماعه لخطبة كليمنصو.

ـ «التيمس» تنسب خروج صدقى وأبو النصر من الوفد إلى خطته المتطرفة، وتقول إن ستين من أعضاء اللجنة المركزية فى طريقهم إلى الإنفصال عنه.

ـ ألبير توما يبدى استعداده للتوسط بين الوفد والانجليز على أساس الاستقلال التام.

ـ مرافعة مستر فولك أمام لجنة السناتو الأمريكى.

ـ سعد يصرح لعبد اللطيف المكباتى بأنه إذا سافر أمريكا للدعوة للقضية فسيكون ذلك على حسابه!.

ـ سعد يزور رشدى باشا فى باريس.

ـ نشوب معركة بين عبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود باشا يتبادلان فيها الشتائم.

ـ سعد زغلول يعين عبد اللطيف المكباتى أمينا للصندوق.

ـ محمد محمود باشا يطلب ١٢ ألف جنيه على ذمة المصاريف فى أمريكا، ويسانده لطفى السيد وعبد اللطيف فهمى وحمد الباسل.

ـ سفر محمد محمود باشا إلى أمريكا.

ـ وصول رشدى باشا إلى باريس من فيشى ومعه بن وكعك لصفية زغلول أرسلتها شقيقتها فى مصر!.

ـ لقاء سعد بحسين رشدى باشا فى باريس، وتصريح رشدى باشا بأنه عديم الرجاء فى الاستقلال التام، وأنه لايريد أن يظهر بكونه ضد الحماية. وسعد يكلفه باستطلاع رأى الانجليز فيما ينوون عمله لمصر.

- قصة وساطة فنزيلوس رئيس وزراء اليونان بين الوفد والانجليز.
- لقاء سعد ومعه المكباتي ولطفي السيد برئيس لجنة معاهدة الصلح في مجلس الشيوخ الفرنسي.
- استنكار أعضاء الوفد حديثا لعلي شعراوي باشا في جريدة مصر ينسب فيه إلى الوفد إعجابه بمحمد فريد، نظرا لصلة محمد فريد بالألمان أثناء الحرب وبالخديو عباس حلمي.
- اعتقاد سعد زغلول بأن مجيء حكومة عمالية في انجلترا قد تستفيد منه الأمم المغلوبة.
- إنقطاع سعد زغلول عن كتابة مذكراته من ٥ أكتوبر إلى ١٧ ديسمبر ١٩١٩ بسبب مرضه.
- سعد زغلول يفصل بين العضو الأصلي في الوفد والعضو المضموم.
- حدوث مشادة بين سعد زغلول وعبد اللطيف المكباتي بسبب حمد الباسل باشا.
- انقطاع عبد اللطيف المكباتي عن اجتماعات الوفد، وتحويله أموال الوفد في بنك روما باسمه الشخصي، دون علم أو إذن الوفد!
- الوفد يقرر سلفة مستديمة في يد محمد علي علوبة، وعدم صرف شيء من مال الوفد إلا بقرار منه أو بإذن سعد زغلول.
- عبد اللطيف المكباتي يصر على بقائه أمينا للصندوق بدون قيد أو شرط!
- سعد زغلول يحل الأزمة المالية عن طريق جلب خمسة آلاف جنيه من حسابه في مصر للانفاق منها على مصاريف الوفد!.

ـ إنقسام أعضاء الوفد حول إقالة عبد اللطيف المكباتى.

ـ الخلاف حول استرداد سعد زغلول مبلغ الخمسة آلاف جنيه التى دفعها من جيبه للوفد.

ـ طعن سعد زغلول فى فتوى المستر باركلى.

ـ سعد يصف أحمد لطفى السيد قائلاً: «هذا الرجل لا يمكن أن يعتمد على صدقه أصلاً» !

ـ تعنيف سعد لمصطفى النحاس لموافقته للمكباتى.

ـ سفر مصطفى النحاس إلى مصر.

ـ المراسلات بين سعد وعدلى حول إعلان لجنة ملنر يوم ٢٩ ديسمبر ١٩١٩.

ـ إنقطاع حمد الباسل عن اجتماعات الوفد وانضمامه للجمعية المصرية.

ـ مجد الدين ناصف يرسل رسالة إلى سعد زغلول يصفها سعد بأنها «خالية من الأدب» !

ـ سعد زغلول يفكر فى التخلى عن رياسة الوفد للأمير طوسون! ويلقى ترحيب صفية زغلول وعبد العزيز فهمى، واستنكار واصف غالى ومحمد على علوبة.

ـ انضمام الأمراء إلى الحركة الوطنية.

ـ سعد يلوم نفسه لثقته فى عبد اللطيف المكباتى، ويقول إنه كان يحسن الظن بأخلاقه، وان كان يرى فيه «غباوة وعناد» !.

ـ سعد بين العودة إلى مصر والبقاء فى باريس، ويقول: إن العودة إلى مصر ستر للفشل والانقسام، وفى البقاء كل الفشل وظهور الانقسام» !

٣٢٤٠

ـ تقديم عبد العزيز فهمى استعفاءه من الوفد.

ـ بداية انحياز لطفى السيد وعبد العزيز فهمى للوزراء الثلاثة.

ـ إنهاء مسألة عبد اللطيف المكباتى بواسطة على ماهر.

ـ مقابلة سعد زغلول لكليمنصو، وحديث طويل بينهما.

ـ عودة عبد العزيز فهمى إلى الوفد.

ـ سعد يرسل إلى لجنة الوفد المركزية فى مصر بأن تحسن استقبال كليمنصو حرصا على العلاقة بالشعب الفرنسى.

ـ شروط الوفد للتفاوض مع لجنة ملنر.

ـ مفاجأة أعضاء الوفد باذاعة الوزراء الثلاثة امتداح سعد زغلول لخطتهم الوطنية، رغم أن الخبر لم يكن معدا للنشر، وإبداء سعد استياءه لهذه الاذاعة.

ـ اقتراح سعد ورفاقه تأليف وزارة ثقة للمفاوضة مع لجنة ملنر.

ـ بسبب تفاقم الخلافات بين أعضاء الوفد فى باريس سعد يكتب تحليلا مؤثرا للموقف، يبين فيه عواقب تفجر هذا الخلاف على الروح المعنوية للأمة المصرية ويقول: إن استمرار الوفد ممثلا للأمة وهو على هذا الحال من التنافر، يعتبر غشالا يغتفر! ولكن انحلاله فيه انهزام كبير للأمة وهذه جناية لا تغتفر!.

ـ سعد يشكو قائلاً: «كل عضو فى الوفد أصبح يظن نفسه قائداً، وأهلاً لأن يرشدها إلى سواء السبيل»!.

[ص ١٩٢٠][1]

فى يوم ٢٦ مارث ٩١٩ بقلعة بولڤاريستا بمالطة

من يوم ٦ مارث لم أكتب شيئاً من المذكرات. وفيه حدث أن دعانا الجنرال وطسن، قائد القوات البريطانية فى مصر، عنده بسفواى أوتيل، أنا وأصحابى أعضاء الوفد.

وعندما اجتمعنا فى غرفة، خرج علينا من باب بداخلها، وحوله بعض العساكر . وبعد أن سلم قال عابساً: إنه نظراً لأنه علم أنكم تناقشون الحماية، وتعرقلون سير الحكومة بتعطيل تشكيل الوزارة، فأنذركم بأنكم إذا أتيتم ما يعطل سير الحكومة، تقعون تحت العقاب الشديد..

فهممت بالجواب، فانصرف قائلاً: لا مناقشة.

فطلبنا أن نستلم نص البلاغ كتابةً من بعض الضباط الذى كان يترجم قوله، فسلمنا إياه بعد استئذانه.

وعقب ذلك قلت لأصحابى: إن الأمر ليس مجرد تهديد، بل هو جدى.

ثم كتبنا إلى مستر لويد جورج تلغرافا بالاحتجاج على هذا التصرف، قلنا فيه: إن تعطيل تشكيل الوزارة ليس من عملنا، بل هو ناتج من منع الوفد من السفر، ولكن السلطة العسكرية أرادت أن تلقى علينا مسئولية هذا التعطيل.

---

(١) هذا الجزء من ص١٩٢٠ إلى منتصف ص ١٩٢٤ هو نفسه الذى ورد فى الكراسة ٥٠ بعد تبييضه، مع تعديلات طفيفة.

ثم كتبت للجنرال المشار إليه جواب عتاب على المقابلة التى قابلنا بها.

فى يوم الجمعة ٧ مارث، تحدث البعض بأن غشرين محلاً أعدت فى طرة[1] لعشرين شخصاً.

وفى صبيحة يوم ٨ منه، أخبرنى بعض الأصدقاء بأنه تقرر شيء، ولو لم يصدر منا شيء مما نهينا عنه! فلم أعبأ بهذا الشيء!

ولكن فى نحو الساعة ٥ بعد الظهر، حضر أحد الضباط الإنكليز، ومعه وطنى أسمر اللون كمترجم، وقال لى: إنك مدعو لأوتيل سافواى. فخرجت معه، حيث وجدت محمد باشا محمود واقفا أمام المنزل المجاور لنا، بجانب أتومبيله، وبعض العساكر. فأُركبنا معاً فى أوتومبيل إلى قصر النيل. وكان من خلفنا فى أوتومبيل آخر اسماعيل باشا صدقى.

وصعدنا إلى الطبقة العليا، ووضع كل منا فى أودة. وبعد قليل حضر بعض الضباط والعساكر، وفتشونا جيدا، ولم يجدوا معى شيئاً إلا بعض أوراق استردوها[2] صباحاً بعد أن قرأوها وعرفوا عدم أهميتها.

وكانت أودتى أوفر متاعاً، وأوسع من بقية الأود.

وبعد قليل، أحضر حمد باشا الباسل، وجلس كل منا منعزلاً عن الآخر، إلى أن سمح لنا بناء على طلبى بالاجتماع معا.

---

(١) أى: سجن طرة

(٢) هكذا فى الأصل، وصحتها: «ردوها».

وطلبت من المنزل أكلا، فلم يأتوا به إلا بعد الساعة الحادية عشرة.

وكنت قد رقدت فوق السرير، وماذاقت النوم عيناى طول الليل، لأن الحراس كانوا يروحون ويغدون أمام الأودة، فيحدثون حركة مقلقة، ولأن أفكارا [ص ١٩٢١] كثيرة كانت تتوارد علىّ. وكان يزعجنى منها ما توحيه حالة زوجتى، التى لم تكن فى البيت وقت القبض علىّ.

ولم يخطر ببالى نفى، ولكن سجن إلى زمن ما.

وقد قيل لنا تهيأوا لمقابلة بعض الناس غدا الساعة ٩، ففهمنا أن الجنرال أللنبى يريد رؤيتنا أو وطسون، أو غيرهما من الضباط. وخطر ببالنا - فيما خطر - إجراء تحقيق معنا.

ثم قيل لنا: احضروا ملابس تكفى لشهر من الزمان! فما فهمنا أن ذلك للإبعاد، وتوهمنا أنه سوء فهم من مبلغينا!

وفى الصباح، قيل لنا: استعدوا للسفر - من غير بيان الجهة! وطلبوا منا أن نبدى رغبتنا فيما إذا كان يلزم أن يصحبنا تبع؟[١] فأرشدت عن اسم محمد أحمد.

وعلمنا، بعد ذلك، أنهم طافوا على منازلنا، لإحضار لوازم السفر منها فى مسافة وجيزة جداً!

وفى الساعة عشرة ونصف أنزلونا إلى الطبقة السفلى، حيث كانت أوتومبيلات معدة لنقلنا. ووجدنا أتباعنا مع أمتعتنا فى عربة نقل.

---

(١) أى: تابع

٣٢٤٤

وسارت بنا الأوتومبيلات مقفلة! إلى المحطة، فدخلت من رصيف الصعيد، وانتهت إلى محازاة العربة التى أنزلنا فيها. وكنا محاطين بجند فى مناطقهم غدّارات[١].

وأجلسوا كل اثنين منا فى عين من العربة، ومعهما حارس متمنطق بغدارة. ثم، بناء على طلبنا، اجتمعنا معاً فى عين واحدة. وكان على الباب جنديان، ومعنا جندى. وكلما ذهبنا إلى جهة سار جندى خلفنا. ويقود الحرس الموضوع علينا ضابط أكتع.

وتغذينا على حسابنا فى محل الأكل. ولم يقولوا لنا على الجهة التى نوجه إليها.

وكانت العربة التى نزلنا فيها محاطة بكثير من الضباط والجند. ولم نر أمامها[٢] من المصريين إلا محمود باشا صدقى، ومحمد باشا صدقى.. رأيتهما من بعد، والدموع تتناثر من عيونهما.

وخاطبنى محمود فى شأن توكيله، فأجبته أنى سأرسل التوكيل إليه. ودفع إلىّ كل واحد منهما ما كان معه من النقود، ولا يبلغ مجموعها أكثر من عشرين جنيه تقريباً.

وكان يحول بينى وبينهما فى الكلام ضباط وجنود ومترجم، فرأيته كان يقول: لا تتكلموا فى غير موضوع التوكيل.

---

(١) غدارات، أى مسدسات.

(٢) فى الأصل: فيها، وصحتها: أمامها، وهو ما ورد فى الكراسة ٥٠

ولقد تقبلنا كل هذه المعاملات بالصبر والجلد، وكنا نضحك أحياناً عندما يكون هناك سبب يقتضيه. ولطريقة حمد باشا الباسل فى حسن التوكل، وجميل التحمل، يرجع الفضل فى تلطيف الأمر علينا.

ولما وصل بنا القطار إلى بورسعيد، وجدنا مستر إلجوت[1] فى انتظارنا، فقابلنا بهشاشه وبشاشة، وسار بنا إلى أوتومبيلات الصليب الأحمر، معتذراً بأن غيرها كان مشغولاً!

[ص ١٩٢٢]

وقادنا إلى باخرة ضخمة من بواخر النقل حيث كانت مشحونة جنداً. فقدمنا إلى قومندان الباخرة، وتناولنا الشاى معه.

وكتبنا جوابات لمنازلنا، وطلبنا منه أن يتوسط فى إحضار نقود لنا، بواسطة تحويلات كتبناها على البنوك التى لنا معها معاملة، فردها إلينا معتذراً بأن وكلاء هذه البنوك رفضوا الدفع إلا بعد المخابرة مع عملائهم فى مصر.

مكثنا فى الباخرة ببورسعيد إلى يوم الاثنين، حيث أقلعت بنا وقت الظهر. وأبى كل من شاهدناه ممن فيها أن يبوح باسم الجهة التى هى مسافرة لها، حتى اليوم التالى حيث قيل لنا إنها تقصد بنا مالطة.

وقد كنا أثناء ذلك ثابتين، غير فزعين، ولا مضطربين، ولا قلقين إلا على أهلنا الذين يتوهمون أننا متعبون فيألمون لما يتوهمون من

---

(١) إلجود

ألمنا، بحيث لو كنا متأكدين من إطمئنـــانهم علينا لكنا فى راحة بال وسكون حال.

وكانت السفينة ـ كما قلنا ـ مملوءة جنداً من الإنجليز، ولم يكن فيها من غيرهم إلا بعض الهنود، والخدم، ورجل وامرأته يظهر عليه أنه من يهود اسكندرية وله علاقة بالسلطة العسكرية. هذا الرجل كان يحدق بنا كثيراً كلما تقابلنا معه!

ولقد مر بنا، والسفينة واقفة، وطنى بطربوش، وأراد الوقوف معنا بعد أن ُسلم بالإشارة علينا، فلم نرد أن يستمر وصرفناه عنا.

وما لمحنا وطنياً فى القطار إلا رجلاً من بور سعيد، مر أمامنا سريعاً، واسمه ـ فيما أظن ـ عبدالحليم.

وعلمت، بعد وصولنا إلى مالطة، أنه حدث لمحمد أحمد ـ تابعى ـ ماكدرنا، وهو أن الجندى الذى كان معنا أهانه، فلم يقبل هذه الإهانة، فجاء الضابط المرافق لنا، وضربه بالكف على وجهه ضربة أحدثت له ألماً شديداً، وفى الحال أحاط به نفر من الجند شاهرين غداراتهم.

ولكن هذا الضابط كان يلاطفنا فى الطريق، رغم كونه كان يتتبع خطواتنا أينما سرنا! وكان الأتباع مراقَبين مراقبة شديدة، خصوصاً والباخرة واقفة ببورسعيد، ولايسمح للواحد منهم أن يقضى حاجته إلا مع الآخرين فى وقت معين! وينام الحرس على أبواب العنبر الذى كانوا ينامون فيه.

وكانت الجنود تنام فوق سطح الباخرة، رغم البرد القارس، والمطر المتساقط. وكان كل الركاب ـ على اختلافهم ـ يتمرنون على حمل مناطق النجاة، يحملونها كل يوم فى الساعة ٩، ويقفون صفوفاً صفوفاً صفوفاً، فيمر بهم الضباط، ويتفقدونهم، [**ص ١٩٢٣**] ويعلمون من يجهل كيف يحملها. وكان كل منهم ملزما بحملها فى جميع الأوقات مادام جندياً أو ضابطاً.

وقد أحدث التمرين عليها أول الأمر فى نفوسنا تأثيراً سيئاً، لتوهم الخطر، ولكن لم يلبث حتى زال.

ومع امتلاء السفينة بالركاب لم نكن نسمع منهم جلبة ولا صخب، بل كان السكون سائداً فيهم أغلب الأوقات. وما كانوا يواجهوننا بشئ من الاشمئزاز، أو النفور، أو الانتقاد، أو النظرات الجارحة، ولا يتصادمون بنا، وفى الغالب يوسعون الطريق لنا.

وكانت محلاتنا فوق ظهر الباخرة من المحلات المعدة للضباط، لكل واحد قمرة فيها ما يلزم من غطاء وفراش ولوازم التواليت[١].

وكان الأكل مناسباً، وأغلبه رز مع الكرى. ولم يكن يسمح لأحد أن يأكل خارج المنيو[٢]، إلا لى وحدى لكونى مريضاً. وكانت الخدمة راضية، والنظافة عالية.

---

(١) فى الأصل: «التوليت» بدون ألف مد.

(٢) يقصد: قائمة الطعام le menu وقد كتبها سعد: «منو».

وكان البحر فى اليوم الأول هادئاً، والرياح ساكنة، ولكنه تحرك فى اليوم الثالث، وهبت الرياح، ونزلت بعض الأمطار، ثم هدأت بعد ذلك. ولكن لم يأخذنى دوار، ولم يشتد بى التعب اشتداده المعتاد.

وكنا نمضى بعض أوقاتنا فى تناشد الأشعار، وبعضها فى لعب الورق، وبعضها فى الحديث والسمر، ونستعين على طرد الهموم بمبادئ الدين والفلسفة. وقد نجح تذكرها نجاحاً عظيماً، وأفادنا فى تحمل مشاق الغربة والسفر والبعد عن الأهل والوطن.

ولم تكن السفينة قاصدة مالطة، ولكنها عرجت عليها لانزالنا بها. فوصلناها فى صبيحة يوم الخميس ١٣ مارث، ووقفت بنا السفينة بعيداً عن المرسى.

ولمحنا من بعد زورقاً بخارياً قادماً علينا، ونبهنا الضابط المرافق لنا إلى أنه هو الذى خصص لنقلنا. ثم دعينا لإمضاء ورق يختص بقيمة أكلنا ونفقاتنا. وأجلسنا فى الصالون حتى قدم الضابط الذى قصد من مالطة لاستلامنا.

وهو رجل ربعة، ممتلئ غليظ. وبعد أن جلس يتحادث مع الضابط المرافق لنا وقومندان الباخرة قليلاً، أقبل علينا يقول: لاتؤاخذونى! إنه لايمكنكم أن تأخذوا من أمتعتكم إلا ما خف على اليد حمله! وأما الباقى، فيجب أن يعود مع السفينة! هيا ننزل!

فاعترتنا دهشة كبيرة لهذا النبأ الصادع، لأن ما خف حمله من المتاع لا يغنى شيئاً، ولم يكن فى الوقت سعة لأن نختار النافع! وكان ذلك أشد وقعاً فى أنفسنا من وقع القبض علينا.

إلا أن قومندان الباخرة همس إلى ذلك الغليظ بأن هناك وصية بمعاملة هؤلاء أحسن معاملة وأكرمها، فلما سمع ذلك أذن بأن ينقل جميع المتاع.

[ص ١٩٢٤]

وكان الزورق الذى قدم عليه مع الزورق البخارى صغيراً جداً ، لايسع سوى نفرين مع النوتى، أو ثلاثة فقط. فنقلنا اثنين اثنين.

وكان العساكر عند نزولنا ينظرون إلينا، ويضحكون إذا زلت بالواحد منا قدمه، أو مال به الزورق، الذى كان على صغره وسخاً والمياه تملأ جوفه.

أما الزورق البخارى، فكان جسما[١] متحركاً، ويظهر أنه من زوارق خفر السواحل، وكان وهو واقف يتقلب بنا ذات اليمين وذات الشمال، واعترانى من هزاته أكثر مما ألم بى من تعب السفر.

ولما تكامل نقل متاعنا، وحضور خدمنا، سار بنا قاصداً المرسى. فوصلناه بعد نصف ساعة تقريباً.

---

(١) قراءة تقريبية

٣٢٥٠.

ولم يكن أحد بانتظارنا. وقد تكلم الضابط بالتلفون الذى كان فى الميناء الذى رسينا عليه، لإحضار عربات لنقلنا. فحضر اثنان، وهى عربات صغيرة جداً، عليها مظلة ثابتة.

فصعدنا إلى قلعة تسمى (......)[١]، وأدخلنا إلى قسم منها، مؤلف من ثلاث طبقات على هيئة قشلاق، وتخصص لنا فيه مسكنان، يتألف كل واحد منهما من ثلاث غرف مبلطة، ولا سجاد، ولاحصير فيها، ولا أمتعة سوى بعض كراسى وترابيزات! فطلبنا أن تفرش، وأن توضع فيها بعض ما ينقصنا من اللوازم. فوعدنا بذلك.

وقد أحضر بعضها دون الباقى. ولكن أمكننا أن نشترى من عند أنفسنا الضرورى لنا.

وكان البرد قارساً، والهواء عاصفاً.

وقد رأينا ـ عند دخولنا ـ أحد المصريين، وعلى رأسه تعميمة، فاستقبلنا بالهشاشة والبشاشة، كأنه كان يعرفنا من قبل! وتبين ـ بعد ذلك ـ أنه يدعى محمد ابراهيم، من موظفى معية الخديوى عباس، وذوى الحظوة لديه.

وقد ارتبت فى شأنه فى أول الأمر، فلم أرغ لبشاشة لقائه، لأنى تخيلت أنه جاسوس! ولكن لم يتأيد ذلك، وهو الآن فى خدمتنا، ويسارع إلى قضاء لوازمنا كلما مست الحاجة.

---

(١) بياض فى الأصل، وهى قلعة بولفارستا، كما ورد فى الكراسة ٥٠ التى بيضت الصفحات السابقة مع تصرف يسير.

ثم وجدت عطابيك حسنى، صهر العائلة الخديوية، وله سكن مثل أحد السكنين المذكورين، وقد رتبه على قدر الإمكان ترتيباً مناسباً.

والمساكن ـ على العموم ـ نظيفة، ويتعهدون[1] نظافتها فريق من الأسرى الأتراك.

ويوجد فى هذا البناء مطابخ، لكل جماعة مطبخ على الحكومة نفقاته بقدر معين من جميع اللوازم لكل أسير. وفى هذا البناء محل تباع فيه أكثر لوازم المعيشة، يسمى «كانتين» وأثمان الأشياء فيه محددة، وله متعهد مخصوص من العساكر.

والمكان على مرتفع، يشرف على البحر، والمنظر فيه حسن وجميل.

[ص ١٩٢٥]

وقد كنت فى اليوم الأول تعباً من البحر، ومن عدم النوم أثناء السفرية، فلم أرد أن أقابل بعض الأتراك الذين رغبوا فى مقابلتى.

وقابلتهم مع إخوانى فى اليوم التالى، فى سكن عطابيك حسنى، الذى احتفى بنا احتفالاً عظيماً، وأكلنا معه ثلاث ليال[2] ثم اتخذنا لنا طباخاً خاصاً.

وقد تواردت علينا الكتب من «الكامبات» الأخرى التى فيها أسرى من المصريين، وكلها تبدى الأسف من نفينا، والترحاب بنا، والاستعداد للقيام بخدمتنا فى كل مايلزم لنا.

---

(١) هكذا فى الأصل: وصحتها: «ويتعهد».

(٢) فى الأصل: «ليالى».

وقد كان من المسموح لكل من في المكان الذي أنزلت به، أن يزور ـ في أوقات معينة من الأسبوع ـ أسرى الأماكن الأخرى. ولكن ضرب عليها الحجر الصحي، بسبب ماظهر فيها من مرض الحمى الأسبانيولية.

وفي اليوم الثالث، زار الأسرى الحاكم العام، وحضر لدينا، وتكلم مع محمد باشا محمود، ووجدناه عارفاً بأنه من متخرجي أكسفورد! وقال لنا: إنه لابد أن نبقى هنا بعض الزمن.

وقلت له، عندما وجه الخطاب إليّ: إننا غير مرتاحين هنا بسبب عدم توفر اللوازم! فقال: سوف تتوفر، ولكن المكان غاص بالأسرى. وانصرف، وكان حوله بعض الضباط والعساكر. وهو رجل طاعن في السن، أسمر اللون، واسمه لورد مثون[١] ثم انصرف[٢].

ويتمم علينا في اليوم مرتين: في الساعة ٩ صباحاً، وفي الساعة ٥ مساء، بواسطة نفر من العساكر يقال له «سرجان»[٣]، ويمر كل يوم بنا في نحو الساعة ١ ضابط مالطي يدعى «جاو»[٤]. ليتلقى طلباتنا، وينفذ

---

(١) الاسم الذي كتبه سعد زغلول في مذكراته غير مقروء على هذا النحو: «لومثوان»، ويقصد بـ «لو» «لورد» ولكن سقط حرف الدال، وكثيراً مايحدث ذلك أثناء كتابة سعد زغلول، ولكن السياق يسد الثغرات . وقد عرفنا إسم «لورد مثون» من كتاب عبدالحميد سالم: الزعيم الخالد، من حديث لحمد الباسل باشا.

(٢) عبارة: «ثم انصرف» لا محل لها هنا، لأن سعد زغلول سبق أن أخبر بانصراف حاكم مالطة في نفس العبارة.

(٣) يقصد سعد زغلول: Sergeant أي رقيب.

(٤) هكذا تقرأ.

ما يمكن تنفيذه منها. وهو لطيف هش بش وديع، يتكلم الفرنساوية قليلاً.

ولقد أوحشنا المكان أول نزولنا به، وكانت تخنقنى العبرات[1] كلما فكرت فى حالة زوجتى، ولكنى كنت أستعين على قطعها بأنها ـ مع ذلك ـ أحسن حالاً منى، لأنها حرة.

ولا شئ فى العالم يعادل الحرية فى شئ، ولا يشعر بقيمتها إلا من حرم منها كلها أو بعضها: لا يمكن لأحد من الخارج أن يكلمنا أو نكلمه! لا نكتب ما نشاء، ولا يصل إلينا من الكتابة إلا ما يشاء غيرنا! ولا نقرأ من الجرائد إلا بعضها دون البعض الآخر! فلا نقرأ الفرنساوية منها، ولا الانجليزية إلا «التيمس»، ولا الإيتالية الامالطة، ولا المصرية إلا المقطم. ولكن حضر لى معه الأهرام.

وقد أباحوا لنا الفسحة كلما طلبنا ساعتين فى اليوم، بشرط أن يصحبنا فيها أحد الضباط. ورفقاؤنا[2] فى السجن مثلنا، ويعاملون كمعاملتنا سواء بسواء، حتى فى المرتبات.

وعند الخروج لكل نزهة، يؤخذ علينا تعهد بالكتابة بأننا لا نحاول الهرب، ولا ندبره، ولا نخالط أحداً، ولا نشترى شيئاً، ولا نقرب [ص ١٩٢٦] من أحد من أعداء جلالته وحلفائه.

---

(١) فى الأصل: العبارات، وهى سقطة قلم.

(٢) قراءة تقريبية.

والضباط الذين صحبونا ـ لغاية الآن ـ وديعو الأخلاق، وعلى الأخص الأخير منهم، وهو يدعى ادورد مينود[1] قريب الأفوكاتو مينود فى القاهرة.

وقد أخذت فى تعلم الانجليزية، والاستمرار على تعلم الألمانية مع واحد ألمانى، كان فى مصر، يعرفه حمد باشا الباسل، لأنه كان يتردد عليه فى الفيوم. ولكنه فى فن التعليم ضعيف! وأمضى معه فى كل درس ساعة فى اليوم.

ومكثنا عدة أيام لا نعلم من حوادث مصر شيئاً، ولكن أتت أخبارها شيئاً فشيئاً من التلغرافات التى تنشر هنا، ومن جريدة التيمس، وأخيراً من جريدة المقطم.

واندهشت جداً من هذه الحوادث، لأننا لم نكن نتصور حدوثها، خصوصاً بالكيفية التى حدثت بها!

فى يوم ٢٧ منه

وقد ورد تلغراف عن لوندرة بتاريخ ٢٤ مارث، يفيد أنه حصلت مناقشة حادة فى مجلس العموم بخصوص مصر، انتقدت فيها الإدارة الإنجليزية انتقاداً شديداً بلا رحمة، وأعطى الجنرال ألنبى تعليمات بأنه يسعى فى سياسة جديدة مع المعتدلين من الوطنيين عندما يستقر النظام فيها، وأنه من المقرر أن ونجت لا يتغير، وأنه حاضر إلى مصر.

---

(١) قراءة تقريبية.

ولكننا لم نر أثراً لذلك فى جريدة التيمس! فهل هذا الخبر مكذوب، أو أن السياسة منعت نشر تلك المناقشة؟ شئ تظهره الأيام!

وحالتنا تتقلب بين اليأس والرجاء تبعاً لتقلب الأخبار.

وقد رأينا فى جريدة التيمس ما يفيد أن الجنرال ألنبى حضر مؤتمر السلام[١]، وتلقى منه تعليمات بشأن مصر. وقد انتقدت ذلك هذه الجريدة.

فاستبشرت بهذا النبأ، وأخذنا منه أن مسئلة مصر لم تعد منحصرة بينها وبين انجلترا ـ كما كان رجال منهم يزعمون ـ بل انتقلت إلى المؤتمر، ولابد أن يبحثها، وأن يترتب على بحثه ولو بعض الخير لمصر[٢].

وقد ذاع اليوم ـ ١٢ افريل ـ أن محلات عديدةتعد لايواء عدد عظيم من المصريين الذين يصلون إلى هنا غداً أو بعد غد. فوقع منا هذا الخبر موضع الاستياء! ونرجو أن يكون مكذوباً.

---

(١) يقصد: مؤتمر الصلح فى باريس، وقد عقد رسمياً يوم ١٨ يناير١٩١٩ وحضره ٧٠وفداً يمثلون ٢٧ دولة منتصرة. وقد استبعدت ألمانيا من الحضور إلا عند الانتهاء من وضع شروط المعاهدة للتوقيع عليها. وقد تم التوقيع على معاهدة فرساى فى قاعة المرايا الكثيرة فى قصر فرساى يوم ٢٨يونيه ١٩١٩ (لمزيد من الاطلاع على هذه المعاهدة وما أحدثته من تغييرات عالمية يمكن الاطلاع على كتابنا: «تاريخ أوربا والعالم فى العصر الحديث، الجزء الثاني».

ويعرف مؤتمر الصلح فى المراجع الأجنبية باسم «مؤتمر السلام»

The Peace Conference

(٢) كان هذا خطأ فى الفهم من جانب سعد زغلول ورفاقه فى مالطة، مبعثه ذهاب الجنرال ألنبى إلى مؤتمر الصلح فى باريس يوم ١٩ مارس بناء على استدعاء الوفد البريطانى هناك، مع أن التعليمات التى تلقاها الجنرال ألنبى كانت تقوم على ضمان استمرار الحماية البريطانية.

وقدم إلينا، مقبوضاً عليه من الآستانة، إحسان باشا الفريق، الذى كان قائد الجيوش التركية فى العراق، وقال: إن السلطة الإنجليزية قبضت عليه فى هذه المدنية، وأودعته سجنها، ثم نفته إلى هنا رغم أنف الحكومة التركية!

[ص ١٩٢٧]

وهو فى مقتبل العمر، لا يتجاوز سنه الأربعين على مايظهر، يتكلم الفرنساوية بشئ من الصعوبة والألمانية، ولكن لا يتكلم العربية. وقد زرناه أمس، ورد الزيارة اليوم، وتناول الشاى معنا. وهو وإن لم يكن طويل القامة ولا ضخماً، له وجه جاذب، وحديث حلو، وملامح مقبولة.

٢ أفريل

وقد أهدانى خليل بيك حمدى بكتاب ألمانى، وكذلك أهدانى علايلى بيك بثلاث مجاميع من الجرائد المصورة الانجليزية، والشيخ عبدالحميد النحاس ببعض الكتب المصرية.

ويقع الحجر الصحى فى كامب فيروالا، وأذن للساكنين معنا فى زيارته يوماً بعد يوم، ساعتين، ومنعنا نحن من زيارته! ولعل ذلك ترتب على أن المصريين هناك كانوا استعدوا لمقابلتنا، والتظاهر لقدومنا، مع أصدقائهم من الألمان والنمسويين، الذين فى كامبهم.

وقد وافق ذلك رغبتنا ، لأننا لانود التظاهر لنا فى هذه الظروف، ولا التعرف بالألمان وغيرهم، لأن ذلك ربما كان فيه ضرر بقضية مصر،

خصوصاً أنه شاع أن للألمان إصبعاً فى حركة مصر الحاضرة! والله يعلم أنها إشاعة كاذبة، وأن هذه الحركة منبعثة من نفس مصر، وماكنا نحن نظن أن نبلغ ما بلغته لحد الآن.

وقد بعث إلينا عند قدومنا، البرنس (...)[١]، ابن عم ملك رومانيا، الأسير فى فيروالا، خطابا رقيق الحاشية، فرددنا عليه عملاً بقواعد حسن المجاملة، ولكنا لانريد أن تتصل المعرفة بنا. وبلغنا أنه خطب أمس فى قومه الذين معه خطاباً، جاء فيه ذكرنا ومن معنا[٢]، فوددت أن لم يكن فعل ذلك!

وأيضاً ورد علينا اليوم كتاب من أحد الألمان المقيمين فى مصر، (...)[٣]، يبدى فيه من حسن الشعور ما أملته عليه الظروف، ولم يكن لنا به سابقة. ونريد أن نقف عندحد اللباقة لهذه المناسبة، ولا نسترسل فيها.

لم يرضنا الطباخ الأول، فاستبدلناه بآخر[٤] ألمانى، ومرتبه خمسة جنيه فى الشهر، وطهيه مناسب، لكن الألوان التى يصنعها محدودة

[ص ١٩٢٨]

وللعب الورق والدرس فضل كبير فى تلهينا.

---

(١) اسم غير مقروء، وقد يكون: «هو هنس منزلر».
(٢) قراءة تقريبية.
(٣) عبارة غير مقروءة.
(٤) هكذا فى الأصل، والصحيح لغويا أن يقول: فاستبدلنا آخر به.

أخبار ما حصل من المظاهرات عقب قيامنا ومن أجل ابعادنا، ملأت قلوبنا سروراً وابتهاجاً، حتى كادت تحبب السجن إلينا! وأفعمنا شكراً لأمتنا، وهانت علينا نفوسنا نفدى بها هذه البلاد. نعم مازج هذا السرور كثير من الأسف على النفوس التى أزهقت، والدماء التى أهرقت.

ولكن أى مجد قام بغير هذه الضحايا؟ وأى أمة بلغت مناها بغير أن يخاطر أبناؤها بأعز مالديهم؟

ولقد ساءنا أن تداخل بعض الأشرار فى الحركة وارتكبوا جرائم فظيعة. ولكن المسئول عن هذا الاختلال هم الذين أساءوا السياسة من قبل. وزعم بعض رجال السياسة فى مجلس العموم أننا هددنا السلطان، وعطلنا تشكيل الوزارة! ولكن سياستهم الخرقاء هى التى ترتب عليها هذا التعطيل، لأنهم منعونا عن السفر لإبداء مطالب قومنا، واستعفت الوزارة الرشدية بسبب هذه المسئلة.

فلم يكن مصرى، بعد هذا الاستعفاء لهذا السبب، أن يجرؤ على قبول الوزارة، لا خوفاً منّا، بل خشية أن تحتقره أمته التى صودرت فى إرادتها. والسبب الذى حمل رشدى باشا على الاستعفاء، هو نفسه الذى سيمنع غيره من أن يحلوا محله. والكتاب الذى أرسلناه للسلطان ماشىء فيه من التهديد، بل هو مملوء من الأدب له، والاحترام لشخصه، والحرص على مقامه، وإيقافه على ما فى نفوس أمته ما ربما لم يجرؤ أحد غيرنا على عرضه عليه.

فإن كان يعد رفع رغبات الأمة إلى سلطانها تهديداً له، فنعم هذا التهديد! ومن الفخر الكبير أن نتحمل مسئوليته أمام أية سلطة شرعية.

ولقد توهم حزب الاستعمار أنه سيبتلع مصر بمجرد أن يبعد بعض أبنائها من بلادهم، ولكن ساء ما توهم! فإن البلاد من أقصاها إلى أقصاها تطلب الاستقلال، ولا تحمل للطامعين فيها إلا كل حقد وضغينة.

[ص ١٩٢٩]

ومهما كان من طبيعة الحوادث التى حصلت فى مصر بعد قيامنا، فإنها جاءت قارعة شديدة فوق ماكان يقدر المقدرون، وعكست القصد على حزب الاستعمار، فألفتت العالم كله إلى أن هناك أمة مظلومة تطلب الانصاف.

ولقد قرأنا اليوم ٢ أفريل، مقالة فى جريدة التيمس لمستر (...)(١) يلوم فيها الحكومة الإنجليزية على منعها الوفد من السفر لإبداء مطالبه، ويقول، كما يقول العارفون، إنه لو حصل ذلك لما حدثت فى مصر حوادث محزنة.

ويتبين مما قاله اللورد موردن فى مجلس العموم يوم ٢٤ مارث عن هذه الحوادث، أن السبب فى ذلك المنع خوف مما يحدث فى مصر من خلل النظام إذا سافر الوفد، ولكن الحوادث الأخيرة كذبت ذلك. وفى

(١) اسم غير واضح وقد يكون كوكس باشا !

هذه المقالة ثناء طيب على رشدى وعدلى، وإعلان أن الحكومة الانجليزية كانت ستقابلهما بالاحترام، ولا زالت مستعدة لذلك! وسياق الكلام يمكن أن يفهم منه أن الحكومة الإنجليزية تريد استمالة هذين الوزيرين إليها، وتستعملهما لتنفيذ سياستها!

ومما يدهش القارئ له، ما روته تلك الجريدة من أنه نودى فى الزقازيق[1] بأنها جمهورية! فهل تبدلت الأمة المصرية فى هذه البرهة الوجيزة التى مضت من وقت سفرنا من البلاد؟ أو أن القوم[2] يكبّرون فى الحوادث، ويبالغون فى شأنها، بغية الوصول إلى غرض يرمون إليه!

ومن هذا القبيل، ما كتبته هذه الجريدة عن أصحابنا فى مصر، من أنهم أبدوا لوطسن، قائد القوات البريطانية فى مصر، أنهم أصبحوا غير آمنين على أنفسهم، ويخشون عليها إذا هم ذهبوا إلى بلادهم! لأنهم، وإن لم يكن لهم يد فى حركات الذين قاموا بالتخريب وتعطيل المواصلات، فلا يمكن أن يبلغ الخوف من نفوسهم أن لا يقدموا على الذهاب إلى بلادهم!

[ص ١٩٣٠]

تدل أخبار التيمس أن المؤتمر المنعقد فى باريس[3] تحادث مع الجنرال ألنبى، قبل ذهابه إلى مصر، فى شئونها. «والتيمس» تظهر الغيظ

---

(١) ما ورد فى التيمس كان عن زفتى وليس عن الزقازيق، وربما خلط سعد بين الاسمين!

(٢) يقصد «بالقوم» هنا جريدة «التيمس».

(٣) يقصد: مؤتمر الصلح.

من ذلك، وتنقد عليه تباطؤه فى العمل، واشتغاله بمسألة مصر قبل غيرها مما أهم منها.

ويؤخذ من ذلك، أن مسئلة مصر أصبحت من موضوعات بحث المؤتمر، أرجو أن تحمل نتيجة بحثه[١] خيرا لها.

شاع أمس هنا صدور الأمر بإعداد محلات لكثير من المبعدين من مصر، وقد ساء وقع هذا الخبر لدينا، لأنه يناقض - نوعاً - مقتضى الأخبار السالف ذكرها.

يؤسفنى جدا ما يقع ـ من وقت لآخر ـ بين محمد محمود واسماعيل صدقى من سوء تفاهم! ولقد حاولت كثيراً منعه، فلم تساعدنى حالة محمد محمود باشا على الوصول إلى غاية مرضية، لأنه كثير الانفعال، ويتأثر لأقل شيء! ويكفى أن يخالف فكره فى أمر من الأمور، حتى يغضب، ويرمى الغضب من لسانه بعض العبارات الجارحة. وهو سيئ الظن بى كلما رأى، أو لاحظ، أو توهم أنى أميل إلى إسماعيل صدقى.

وهذا أظهر سعة صدر، وسعة حلم، فى كثير من الظروف، فلم يكن يمكن لى أن أغض من كرامته، ولا أن أتخلى عن نصرة حقه، رغم كون الصحبة بيننا لم تكن كبيرة، ورغم كونى صديق لمحمد صداقة قديمة. ولكن وساوس هذا جعلته يشك فى صداقتى، ويحمل عملى وقولى ـ فى أكثر الأوقات ـ على غير محمله الحقيقى.

(١) قراءة ترجيحية.

۳۲٦۲

وقد ابتدأت أن أتضايق من هذه الحالة مضايقة شديدة، خصوصاً وأن صديقى هذا أصبح يتأثر من كل شىء، حتى الشىء الذى لا يمكن أن يحدث عنه منه تأثير فى النفس أبدا

[ص ۱۹۳۱]

ولا أدرى ما الذى ستؤدى إليه هذه الحالة! ولكنى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يغيرها بما هو أحسن منها، لأن هذا التنافر لا يتولد عنه ـ فى حالتنا ـ سوى مضاعفة الهموم والأكدار. فاللهم الطف بنا، وبصرنا بأمورنا واهدنا إلى سواء السبيل!

وبعد كتابة هذا، حضر عندى حمد باشا الباسل، وأظهر لى كدره من حالة محمد باشا، ومن كونه يسىء الظن كثيراً باسماعيل، ويشك فى أمرى. وهو متحير حيرتى فى هذا الصديق!

وفهمت منه أنه أفرغ جميع ما عنده من الوسائل لتهذيب أفكاره، وإزالة أوهامه ووساوسه، ولكنه يأسف على أنه لم ينجح تمام النجاح.

ولو كنا نعرف ما يرضىِ هذا الصاحب، وما يغضبه، لالتزمنا مايرضى، واجتنبنا ما يغضب، ولكننا عاجزون عن التمييز بين الأمرين! ثم إننا نتساهل معه فى أمور ليسايرنا فى مثلها أو أقل منها.

ولقد أراه يميل إلى الغلو والترؤس! ولا شئ عندى أسهل من أن يكون هو المقدم فى كل شىء، لأننا لسنا فى مقام التسابق إلى المعالى، ولا التفاخر بالألقاب والامتيازات، فكلنا هنا فى المصاب سواء، لا فضلٌ

لأحدنا إلا بالتجلد على المكروه، والصبر على مضايقات الغربة والسجن. ولقد يكون من المفيد أن نقيد ما يصدر منه حسنا أو غير حسن، حتى نتمكن من معالجته بما يجعلنا فى أمن من غضبه!

[ص ١٩٣٢]

حسناته:

تنازل فى زمن البرد القارس عن غرفته الدافئة لى ، وأخذ لنفسه الغرفة الباردة التى لا تنفذ إليها حرارة الشمس.

سيئاته:

(١) يكلم ضابط السجن أمامنا كلما حضر، من غير أن يكلف نفسه عناء ترجمة ما يدور بينهما من الحديث، الذى يختص فى الأغلب بحاجتنا وطلباتنا. ويلوح لى أنه يفعل ذلك حتى يظهر أمام الضابط بأنه لم يكن مترجماً بل رئيساً! ووجه النقد فى هذه المسئلة أنه ربما غفل عن حاجة، أو أبدى رغبة لاتوافق الجميع. وليته كان يسألنا عن رغبتنا قبل حضور الضابط حتى يبلغها، ولكنه لا يفعل ذلك!

(٢) اتفقنا على أن نحسن على فقراء الأسرى المصريين بمبلغ خمسين جنيها[١] . فكتب هو الأمر، وأمضاه، وأرسله إلىّ بعد ذلك مع حمد باشا من قبيل الإحاطة! مع أننا لم نتفق سابقا على أن تكون الإمضاء منه!

---

(١) فى الأصل جنيه.

(٣) حضر فريق يدعى احسان باشا أسيرا، فزرناه، وأراد أن يرد لنا الزيارة، فأرسل الباشا إليه يدعوه إلى تناول العشاء معنا فى ساعة عينها، من غير أن يرى مغبات ذلك!

(٤) إذا جلسنا لقراءة الجرائد، خصوصا العربية منها، وتولى أحد غيره القراءة للباقى، فيتشاغل عنه بالقراءة وحده! ويغضب إذا دعى للاستماع كالباقى، وحتى ترك المجلس وأخذ يقرأ وحده! وما يراد بالاشتراك[1] فى الاصغاء إلا الاشتراك فى الشعور الذى يتولد عن الأخبار، خصوصاً الخاصة بنا وبحركتنا.

[ص ١٩٣٣]

(٥)[2] إذا تناول جريدة إنجليزية ليترجمها، يغضب إذا غمت على السامعين ترجمته! ويغضب إذا شاركه اسماعيل[3] فيها، أو وجد شيئاً بها لم يعثر عليه هو! وفى الغالب أنه لا يتتبع كل ما فيها من الأخبار الهامة لنا، ولكن اسماعيل يعثر فى الغالب عليها، وكثيراً ما تكون ترجمته ـ على ضعفه فى الانجليزية ـ أوضح وأقرب إلى الفهم!

[ص ١٩٣٤]

فى يوم ٤ أفريل ٩١٩ بقلعة بولفاريستا بمالطة

---

(١) قراءة تقريبية.

(٢) رقم (٥) غير موجود فى الأصل، وقد أضفناه لاستكمال السياق.

(٣) يقصد: اسماعيل صدقى باشا.

أصبحنا والشمس زاهية، والسماء صافية، والجو هادئ. وقد نمت الليلة أحسن من كل ليلة سابقة، والأفكار المحزنة أخذت تزول وتتبدل بالأفكار المسلية.

والسبب فى ذلك ـ على ما أشعر ـ أن المظاهرات البريئة[١] التى حدثت عقب قيامنا غضباً لابعادنا، وطلباً لإرجاعنا، قد وجدنا فيها شيئاً كبيراً من المكافئة والترضية. وما كنا نوده من سفرنا ـ وهو تبليغ مطالب قومنا، سواء كان لأحرار الأمة الانجليزية، أو لأعضاء المؤتمر ـ قد حصل بأبلغ بيان، وأفصح عبارة، وأقطع برهان. وأصبحت قضيتنا فى نقطة أعلى وأسمى من النقطة التى كنا نتعشم وضعها فيها بعد سفرنا.

والحق يقال إننا وقت قيامنا بهذه الحركة، بل وبعده لغاية إبعادنا، لم نكن نتصور أن مسئلة مصر تبلغ من الأهمية ما بلغته الآن!

والفضل فى ذلك لا يرجع إلى مهارتنا، ولكنه يرجع فى الحقيقة إلى سوء السياسة الانجليزية فى مصر، إذ لو أنها تركتنا نسافر، لما حصل شئ مما حصل. ولكن الله أضلهم، فأحبط أعمالهم، وعكس القضية عليهم! فما استعملوه لخنق أصواتنا قد أطلقها تُسمع الثقلين[٢] وتدوى فى الخافقين، وترن حتى فى آذان الذين فى آذانهم وقر.

فالآن نعتبر مأموريتنا قد انتهت، ونستقبل كل قضاء على أنفسنا بغاية الرضى. وسواء أتيحت لنا العودة إلى وطننا العزيز أو لم تتح، فقد

---

(١) قراءة ترجيحية.

(٢) الثقلان، أى: الإنس والجن.

أعززناه، وأعزنا، وخدمناه فجزانا أحسن الجزاء، ولم يعد الظالمون يستسهلون اهتضامه، ولا الطامعون يستبيحون التهامه.

ولقد قيل لنا إن جريدة «الديبا»[1] أوردت أن مسألة مصر أصبحت في المؤتمر، وحلها أصبح في يد أعضائه لا في يد الإنجليز وحدهم. وهذا ماكنا نبتغيه، والله نسأل أن يوفقنا إلى حلها بما يرضى العدل والحق، ويحقق آمال المصريين

ليس غريباً أن سقطت تركيا، وأخذت الدول تتقاسم أملاكها، لأن أفرادها ـ وقد لقيت الكثير منهم هنا بين الأسرى ـ لم يكن لديهم من متانة الأخلاق والمعارف مايكفي لحفظ الدولة، بل ضرب فيهم الفساد حتى فرق كلمتهم، وأودع في صدورهم [ص ١٩٣٥] البغضاء والحقد، وتولاهم الكبر. وروى لنا معاشروهم في الأسر أموراً تدل على جهلهم، وتكبرهم، واشتغالهم بالصغائر، وخصام بعضهم لبعض، مالا يتسع المقام لإثباته.

وقد تزاورنا مع الكثير منهم، ولكن الكلفة لم ترتفع بيننا وبينهم. وأظن أن ذلك أسلم وأجدر بنا.

ومنذ بضعة أيام، أتى بجوارنا واحد من أعظم قوادهم، يدعى على احسان باشا، كان قائد الجيش السادس في العراق. وهو فتى في مقتبل العمر، لا يتجاوز سنه أربعين سنه، متوسط القامة، وملامحه جاذبة، وعليه

---

(١) جريدة «الديبا» جريدة فرنسية.

محيا القوة والنشاط، ويتكلم الفرنساوية بشئ من الصعوبة، ولا يعرف شيئاً من العربية، ويقول إنه يتكلم الألمانية.

وقد حدث بينه وبين بعض رجال الإنجليز بعد الهدنة خلاف، أفضى بالجنرال ألنبى أن يطلب تسريح جيشه، وعزله، وتسليم ما كان معه من الذخائر والأسلحة والمهمات. فتم ذلك، وعاد هو إلى الآستانة، فقبض عليه الإنجليز، وأودعوه بسجنهم عدة أيام، وبعد ذلك أتوا به إلى هنا، حيث أقام بقلعة سلفاتورا عدة أيام، ثم تشكى من مسكنه، فنقلوه إلى هنا.

وقد زرناه وزارنا، ودعينا أمس إلى العشاء معه عند متصرف جدة[1]، وروى لنا كثيراً من الخلاف الذى حدث بينه وبين الحامية الانجليزية. وحادثته تدل على سقوط الدولة سقوطاً هائلاً، وتمكن الإنجليز منها. ويظهر، من رواياته عن ذلك الخلاف، أنه لم يكن خالياً من الخطأ، لأنه تشبث بأمور لا يصح للضعيف أن يتشبث بها أمام القوى.

يوم ٧ أفريل

أصبحنا اليوم والهواء عاصف، ولكنه غير بارد. وفى نيتنا أن نخرج إلى الفسحة. ويقال إن الضابط الذى قادنا إلى هنا من السفينة هو الذى سيكون معنا فيها.

من يومين أخلى لنا مسكن ثالث، فأخذه محمد باشا محمود. واستقليت بما كان لنا عن [ص ١٩٣٦] الاثنين، وأصبح لكل منا

(١) متصرف جدة هو ابراهيم باشا.

مسكن قائم بذاته، مؤلف ـ كما قلت فيما سبق ـ من ثلاث غرف، إلا إسماعيل باشا صدقى فانه يسكن غرفة فى مسكن فيظى حسنى[١] فأنام فى غرفة، وأجلس فى أخرى، واستعمل الثالثة كحمام، وينام محمد فيها[٢].

وقد خفف عنا هذا ما كنا نجده من المضايقة أول الأمر، فأصبحنا ولنا أودة للأكل، وصالون نجتمع فيه أغلب اليوم وبعض الليل، ونلعب الورق فيه، ونستقبل الزائرين. ولكلٍّ أودة للنوم، وأخرى للشغل. ولكن لايزال المتاع دون الكفاية، والمنظور أن نبلغ المرام منه قريبا إنشاء الله.

أحمد الله أن من على بالصبر الجميل، وراحة الفكر، وحسن التوكل. فصرت أنام عميقاً، وآكل مع الشهية، وأشعر بصحة نامية. ولا أرجو شيئاً سوى أن يمن الله على أمتى بنعمة الاستقلال، ويحسن لها المآل، فإذا عدت إليها عدت إلى خدمتها بما تسعه الطاقة، وإن كانت الأخرى، فلست بأول من ذهب ضحية واجبه، ولا بآخر من وقع عليه ظلم الأقوياء.

فى ٨ أفريل

نتم اليوم الشهر من تاريخ القبض علينا. وقد حضر بناء على إلحاحنا أمس «مزين»، يصحبه أحد العساكر، ليحضر أثناء الحلاقة، ويمنع الكلام بيننا.

---

(١) قراءة تقريبية.

(٢) يقصد «محمد»: محمد ابراهيم وليس محمد محمود باشا. وقد أشار إليه سعد زغلول فى صفحة ١٩٤٠ القادمة، وهو تابع سعد زغلول كما يفهم مما كتبه عنه.

والمزين أسير ألمانى أتى به من كامب آخر، فقص لى شعرى، الذى كان طويلاً ويؤلمنى طوله، بحضور ذلك العسكرى. ثم قص شعر إسماعيل صدقى.

وكان أمس موعد خروجنا للنزهة. فلما أتت الساعة ٣ لم يحضر الضابط المعين لمرافقتنا، وحضرت العربات. ونزلنا ننتظره ربع ساعة، فغضبنا وصرفنا النظر عن النزهة. واليوم اعتذر لنا الضابط الذى يزورنا يومياً، بأن ذلك الضابط مرض ولم يكن يعلم بمرضه أحد من زملائه، ثم إنه هو حضر ليزاملنا فوجد العربات قد عادت من حيث أتت.

وكان علايلى بك قد حضر معزوماً من كامبه إلى الكامب المقابل لنا، الذى يقيم فيه جماعة من الألمان، فأخذ يشير إلينا بالمنديل، وتناقش معه اسماعيل صدقى باشا وحمد باشا بأصوات مرتفعة، فترتب على ذلك أن الحارس [**ص١٩٣٧**] ذهب إليه، ولام عليه، وقيل إنه تقرر حرمانه من أن يأتى إلى ذلك الكامب مرة أخرى!

أمس مساء، ونحن حول مائدة اللعب فى الساعة ٨ تقريباً، حضر فيظى بيك[١] حسنى متهللاً وهو يقول: أتدرون لماذا تأخر الضابط عن الحضور لمرافقتكم؟ قلنا: لا! قال: لأنه كان ينتظر قدوم مصريين مبعدين من مصر. فقيل له: إن هذا الضابط، بعد قليل من موعد الفسحة، قال إنه إن لم يكن قد انتظر قدوم المصريين اليوم فإنهم سيقدمون بعد يوم أو يومين. وإن هذا الخبر صادق، ولا شك فيه.

---

(١) قراءة تقريبية.

٣٢٧٠

فاعترتنا الدهشة من تهلله لهذا الخبر، ومن مسارعته لابلاغنا إياه. ثم تبين أنه تلقاه من أحد الأفاقين التليان المأسورين. وحقق الضابط اليوم أن هذا الخبر لا حقيقة له البتة. ولا ندرى كيف أن هذا الفتى سولت له نفسه أن يفعل ما فعل! ولله فى خلقه شؤون!

قرأت أمس فى جريدة التيمس الصادرة بتاريخ ٢٧ مارث الفائت، رسالة لـ(...)[١]، الذى كان موظفاً فى مصلحة الصحة، يوافق فيها (...)[٢] على ما كتبه فى هذه الجريدة فى اليوم السابق، ويزيد عليه بأن سياسة وزارة الخارجية فى مصر مضطربة متناقضة، حتى إن الانجليزى يعجز أمام المصرى عن التصريح بها، ويجد نفسه فى حيرة شديدة! وكذلك المصرى أصبح لا يثق بالسياسة الإنجليزية. وعدم تشجيع الأكفاء منهم على خدمة بلادهم جعلتهم ينحازون للحزب الوطنى[٣]. وهكذا صعب على الانجليز أن يكون لهم من بينهم أصدقاء. وإنه إذا نفذت الحكومة ما صدر من نظارة الخارجية من سنة، الوعد بإجراء تحقيق عن حالة مصر، وإعطاء أبنائها حق الاشتراك فى حكم بلادهم بمقدار عظيم، كان ذلك خير سياسة وأرشد تدبير.

وقرأت اليوم فى جريدة «التيمس» خطبة ألقاها رئيس الجمعية الأفريقية فى بعض النوادى، يقول فيها: إن السبب فى كراهة المصريين للإنجليز، هو أنهم يعينون فيها الذين لا كفاءة عندهم فى وظائف

---

(١) اسم غير مقروء.

(١) اسم غير مقروء.

(١) لا يقصد بالحزب الوطنى حزب محمد فريد، وإنما حزب الوطنيين.

الحكومة، وإن مصر لابد أن تترقى [ص ١٩٣٨] ثم تستقل عن كل ما مراقبة ـ ولكن السودان ليس مثلها!

من البلية أني اشتهى تعلم اللغة الإنجليزية! وأخذت فى تعلمها فعلا! ولا أجد فيمن يدرس لى الكفاءة اللازمة لتعليمها، خصوصاً وتلفظه بها غير قويم[1]، والعارفون بهذه اللغة يخطئونه فى كثير من نطقه! ولكن لغة مخلوطة خير من عدمها!

أرض الله واسعة، فلا تحصر سعادتك فى بقعة منها! وفى أى محل حللت اجعله وطناً لك، وافرض أنك بقيت فيه إذا لم تستطع أن تعد إلى وطنك الأصلى.

إن الذين يتعرضون للأمور بعامة، ليس لهم أن يتفكروا فى أمورهم الخاصة! ولو أصابتهم مصيبة فى أموالهم أو أنفسهم فليس لهم أن يفزعوا منها، بل عليهم أن يقبلوا القضاء بها بالرضا، وإلا كانوا مخادعين لأنفسهم.

ولأجل بلادهم، فكما أنهم لو تولوا الأحكام استهانوا بمصالح البعض فى سبيل مصلحة الكل، كذلك لا ينبغى لهم أن يهتموا إذا كانت مصالحهم الشخصية هى التى كانت موضوع التضحية.

يلوح لى أن الحوادث التى حدثت فى مصر، وإن كان من شأنها أن تلفت أنظار المؤتمر، لكنها لا تدعو إلى حمله على إعلان استقلالها كما

---

(١) قراءة ترجيحية.

نود نحن! لأن انجلترا لا تسلم أنها تخسر ـ بعد انتصارها ـ ما كسبته قبل الحرب ـ وهى ـ قبل الحرب كانت تعتبر مصر لها من غير معارض، خصوصاً بعد اتفاقية سنة ١٩٠٤ مع فرانسا.

[ص ١٩٣٩]

ولكن حالة مصر لابد أن تتغير إلى ما هو أحسن من الآن، خصوصاً بسعى الأحرار من الإنجليز أنفسهم.

ويحملنى على هذا الظن ما للدول التى لها أعضاء فى المؤتمر، من المستعمرات، التى تحافظ كل منهن على نصيبها منها، وتسعى فى زيادته! فلا يمكن لواحدة منهن أن تحمل الأخرى على أن تفلت من يدها ما قبضت عليه واعتبرته داخلاً فى حوزة نفوذها أو فى ملك يمينها.

ولقد ضعف صوت ويلسون، الذى كنا نعتمد على أقواله، ونعده نبى فى أزمانه، بل اتهمه قومه بأنه يمالئ الانجليز ويحابيهم! والله أعلم بمصير الأحوال!

فى ١١ أفريل سنة ٩١٩ الساعة ٦,٤٥ صباحاً

خرجنا للنزهة أمس فى عربات، ولكن مناظر الجهة التى كنا نتنزه فيها ظهرت لنا بمظهر موحش! وخيلت لنا، كثرة ما بها من الأحجار المسورة بها الغيطان، ومايشتملها من المبانى، أنها كالغابة! وعزمنا أن لانعود إليها مرة أخرى، وفضلنا البقاء فى مساكننا على التنزه فيها مرة أخرى.

وبعد عودتنا، ورد تلغراف من روتر يفيد أن فى ٣ أفريل، حصل هيجان فى القاهرة، قتل فى أثنائه من المتجمهرين باشمهندس من السكة الحديد، ووزير اليونان المقيم!

فلم نرتح لهذا الخبر، وترددنا فى تصديقه، وأولناه ـ إن كان صحيحاً ـ بأن هذا الوزير ربما يكون أصيب فى أثناء الهيجان، لا أنه أصيب هو عمداً.

وتذكرنا أن أول أمس، ورد تلغراف يفيد أن الحالة فى مصر هدأت، وأن الجنرال ألنبى أعلن بأنه مسرور من انطفاء الفتنة، ودعا أعيان البلاد لإبداء ما يشكون منه، وإرشاده عن الطريقة لإقرار الراحة، ونسيت أن أشير إليه هنا!

[ص ١٩٤٠]

وهو ـ أى التلغراف ـ صادر من لوندرة فى ٧ أفريل، ويقول فيه كاتبه إن هذا الاعلان حصل أمس ـ يعنى فى ٦ منه!

فخففت عنا مراجعة هذا التلغراف وقع خبر ذلك الهيجان، وما وقع فى أثنائه من قتل ذلك القنصل.

أمس بعد العشاء، فى نحو الساعة ٨، ونحن حول مائدة اللعب، إذا بمحمد إبراهيم دخل علينا، وفى يده تلغراف من روتر، يقول فيه إن الجنرال ألنبى أعلن بأن السفر إلى خارج القطر صار مباحاً لكل المصريين!

فكدنا نطير من الفرح لهذا النبأ السار، الشارح للصدور، المنعش للآمال.

قلت: إن هذا أول انتصار للحق على القوة، وأول ثمرة من ثمرات اتحاد الأمة على إباء الضيم، والأنفة من ذل الاستعمار، وأثر من آثار الحركة المباركة التى قامت بها مصر فى هذه الأيام.

فحيى الله الأمم إذا عرفت واجبها، وحياها إذا اتحدت على المطالبة، وحياها إذا هى أبناؤها خاطروا بأنفسهم فى سبيل استقلالها.

وقلت: إن هذا الإعلان لابد أن يكون إجابة لما طلبه أصحابنا ومن والاهم من أبناء البلاد. وإن هذا جاء مطابقا لما قدرناه عندما قرأنا دعوته الأعيان لابداء رغباتهم. ودار بنا الحديث على هذا المنوال بعض الزمن.

ثم حضر فيظى حسنى بيك، ولم يظهر عليه، بعد علمه بالخبر، شىء من الشعور، بل بالعكس سمعناه يقول: إنهم لابد أن يكونوا انتهوا من أمر مصر!

قلنا: إن هذا شىء لا نبحث فيه! وأردنا بذلك أن نقطع الحديث معه، لأننا رأينا فيه شعوراً مغايراً. وكان حضر معه متصرف جدة ابراهيم باشا. وبعد برهة انصرف. ولم يبد من هذا الأخير شئ من الفرح كذلك!

وبعد ذلك عدنا إلى اللعب، حتى جاءت الساعة ١٠ ـ موعد نومنا ـ فذهبت إلى قضاء حاجة، وسمعت صوت محمد محمود باشا عاليا جداً!

وعقب ذلك حضر الثلاثة الاخوان يعدون، وهم لا يملكون أنفسهم من الفرح! وكان صوت محمد محمود تغلبه رنة[١] الباكى فرحاً، فقالوا: إنا لم نقرأ بقية التلغراف! إنه يشمل على خبر أهم، وهو الإذن بسفرنا أيضاً! فتعانقنا، وقبل بعضنا بعضاً أمام بيت الأدب!

وأعادوا قراءة التلغراف مرة أخرى، وإذا فيه:

[ص ١٩٤١]

إن وكيل الخارجية صرح فى ٨ منه ـ جواباً على سؤال الحكومة ـ بأن إعلان الجنرال ألنبى باباحة السفر للمصريين، المفهوم منه أنه يشمل الإذن أيضاً للمصريين الذين كانوا منعوا من السفر لانجلترا ابتداء.

فصفقنا لهذا النبأ تصفيقاً دوى فى المكان!

وجلسنا نتحدث فيما يكون من أمرنا، فخطر لنا أنه عما قريب يأتى لنا خبر بالفرج والإذن لنا بالسفر إلى انجلترا. وفى الغالب أن العودة لاتتيسر الآن خشية مظاهرة الشعب لنا! على أننا نحن نفضل أن نسافر توا إلى أوروبا، لنقضى واجب الوطن العزيز قبل كل شىء.

وجاء فى كلامى مع إخوانى: إننا يلزمنا أن لانقطع النظر عن انجليز انجلترا، فإن لنا فيهم نصراء من ذوى الحرية والنفوذ، من مثل الذين ثاروا وسألوا عن أمرنا، وشددوا على قومهم بوجوب العدل بيننا، وكان لكلامهم تأثير فى الاسراع بما أعلنه ألنبى.

---

(١) كلمة غير مقروءة، وهى اجتهادية من واقع السياق، وقد تكون العبارة: صوت تتخلله حمى الباكى فرحاً.

٣٢٧٦

وقلت: إن هذه ضربة أصابت قلوب انجليز مصر[١] الذين لايزالون يتمسكون[٢] بلزوم استعمال الشدة، كأنهم لا يعلمون أن فى الوجود قوماً يعرفون أن حركة مصر لم تتولد إلا من الشدة، ووضع البلاد تحت الأحكام العرفية زماناً طويلاً، وعدم المبالاة بحياة المصريين، واستعمال السيف والنار فيهم لأوهن الأسباب! ألا قاتل الله هؤلاء الأئمة، قساة القلوب، غلاظ الأكباد، الذين أولى بهم النار وبئس القرار!

وما انبعث فى قلبى من الفرح لم يلبث أن مازجه الشعور بالواجب نحو الأمة، وتحمل عناءه، بعد أن حط الاعتقال عن كواهلنا حمله. وصرت أفكر فيما يجب فعله!

وقلت لإخوانى: لا يأخذكم ما أنتم فيه من الفرح عن واجب التحفظ، والظهور بمظهر الرزانة والسكون. ونرجو الله جميعاً أن يرزقنا الصبر على استقبال نعمته، فإن النعمة أحوج من النقمة للصبر عليها.

ومازلنا هائصين إلى انطفاء النور، فدخل كل مسكنه، وكانت الساعة ١١، فنمت[٣]، إلى الساعة ١ بعد منتصف الليل[٤]، ولم أنم إلا بعد الساعة٢

[ص ١٩٤٢]

وكان النوم غير عميق. ثم تيقظت فى الساعة ٤ ونصف، ولم أنم لغاية الآن!

---

(١) أى السلطات الانجليزية فى مصر.

(٢) قراءة تقريبية، وقد تكون: يستحسنون

(٣) قراءة اجتهادية ، والكلمة مطحونة بالحبر.

(٤) قراءة اجتهادية من السياق، فالعبارة مطموسة بالحبر.

وقد حضر الشاعة عندى حمد باشا الباسل، وفهمت منه أنه لم ينم، لا هو ولا صدقى. وأخذ يشرح مايخامر فؤاده من السرور، ويقول:

«اليوم اندرجت حياتنا فى حياة المجموع، واندمجت شخصياتنا فى الأمة، فلا نفكر فى أنفسنا ولكن فى بلادنا، وقد كان الطريق غير واضح من قبل أمامنا، وقد أصبح الآن جلياً. فما علينا إلا أن نستمر فى سلوكه إلى النهاية التى نرومها، ولا ينقصنا الإقدام، فإنى ما رأيت رجلاً مثلك فى الإقدام، عندما يعقد العزم على الشىء يأتيه».

«نعم، إنك قبل الإقدام تدقق فى الشئ تدقيقاً شديداً، ولكن بعد أن تعطيه حقه من التدقيق والإمعان، فلا يصدك عنه شئ مهما كان خطيراً».

ثم انصرف، وحضر محمد إبراهيم مهنئا، مقبلاً يدى، داعيا لمصر بالإعزاز، وللجميع بالفرج الأقرب.

وقال: إن فيظى حسنى ليس مصرياً فى الشعور، ولا حتى فى الاعتقاد! وما أُبعد إلا لأنه ثبت عليه أنه كان نصيراً لفيلييدوس[1]، يقدم له التقارير ضد المصريين، ويشترك معه فى إيذائهم. وإن له علاقة بالانجليز، ويقول إن مصر خلصت لهم، ولابد من بقائهم فيها. وهو يختم

(١) فيلييدوس، هو جورج فيلييدوس، كان مأمور ضبط محافظة القاهرة، ورئيس المكتب السياسى الذى أنشأه رونالدجراهام مستشار وزارة الداخلية. وقد استغل فرصة الحرب العظمى للإثراء عن طريق الحصول على الرشاوى والاتاوات من المعتقلين السياسيين وتجار الرقيق الأبيض، وتلفيق التهم للوطنيين. وقد حكم عليه بالسجن خمس سنوات، وعلى زوجته بالحبس سنة، فى نظير ما ثبت على كل منهما من الرشوة والتوسط فيها.

لفرحهم[١] ويفرح لغمهم[٢]! وأخاف ـ على ذلك ـ بأنه سيكون له شأن مُهم[٣] عند العودة!

فاتنى أن أذكر أنه ورد فى التلغراف، أنه مشروع فى تشكيل الوزارة، وأن وفداً منها سيسافر إلى لوندرة إجابة لدعوته[٤] مرتين.

فحملنا ذلك[٥] على رشدى وعدلى، لأنهما هما اللذان[٦] دعيا إلى هذا السفر، وأيدنا ذلك بالاعترافات[٧] حولهما أمام مجلس اللوردات بواسطة مستر كورزون.

ويفتكر البعض منا أنه لا يبعد أن إخواننا الذين يسافرون إلى أوروبا، يعرضون علينا لنزاملهم! ولكنى لا أسمح لنفسى بالتكهن، لأنه لا يعلم إلا الله بما يكون، فهو وحده مدبر كونه، والعالِم بما يكون.

[ص ١٩٤٣]

ورد اليوم تلغراف من لوندرة يفيد أن الدوكتور ويلسون يسافر إلى أمريكا، وأن الباخرة «واشنطون» التى خصصت لاقلاله قدّمت يوم قيامها،

---

(١) أى للمصريين.
(٢) أى للمصريين.
(٣) قراءة تقريبية.
(٤) أى لدعوة حسين رشدى باشا.
(٥) أى : الكلام عن الوفد الذى سيسافر إلى لندن.
(٦) فى الأصل: الذان ـــ أى بلام واحد، وهى سقطة قلم.
(٧) قراءة تقريبية، ويقصد بها التصريحات.

٣٢٧٩

فبعد أن كان ١٤ أبريل صار ١١ منه! فهل يذهب على أن يعود ثانية أو لا؟

يقال إن الاتفاق على مبادئ الصلح يعد للأسف، وسيبحث قبل قيامه! فهو يكتفي بالاتفاق على هذه المبادئ ولا يحضر المناقشة في التفاصيل؟ مسئلة يكشفها المستقبل!

إذا لم يكن في نيته أن يعود، فهل يكون سفر المصريين إلى هذا المؤتمر مفيدا أولا؟ وهل مسئلة مصر دخلت في هذه المبادئ، أو الباقية للتفصيل؟ إن كانت دخلت، فما فائدة سفر المصريين؟ وإن لم تكن دخلت، فكيف يصير النظر فيها؟ ألا يخشى أن يكون الإذن للمصريين بالسفر حصل بعد الاتفاق على مستقبل مصر؟ لا أظن ذلك! لأنه لو كان شئ من ذلك تم، لأبرقت به التلغرافات في كل الأنحاء، ولسمع له دوي في كل الأرض!

قد أثر التلغراف المنبئ عن الإذن بالسفر إلى المصريين، تأثيراً جميلاً في أسرى المصريين! فتقبلوه بالبشر والترحاب، وأخذ بعضهم يهنئ بعضا. وبلغهم أن فيظي حسني تقبله بفتور، فأوسعوه لوما وتعنيفاً، وكتبوا إليه يوبخونه شديداً، ونوى كل منهم على مقاطعته.

وهو يستحق ذلك، لأنه أظهر أنه مجرد عن العواطف الوطنية، بل إنه ضد هذه العواطف!

٣٢٨٠

إنى لا أكاد أصدق أن يترتب[1] من أثر ذلك الاعـلان عن الإذن بالسفر الإذن لنا بمبارحة مالطة، بغير الافراج عنا! ولكن الله على كل شئ قدير **God can do all**

تغيرت حالته [2] تغيراً محمودا فالحمد لله الذى أصلح شيئاً منه.

فى يوم ١٢ أفريل

ورد تلغراف أمس من لوندرة، يفيد أنه تم تشكيل وزارة مصر تحت رئاسه رشدى باشا. فجاء ذلك مصداقا لما استنتجناه أمس، وتقرر فى ذهننا أن عودتنا أصبحت فى حكم المقرر، وأن تأخير ورود خبر رسمى بها، إنما هو ناتج عن المسافة التى يستغرقها الخبر، والله أعلم!

[ص ١٩٤٤]

ولم أنم أمس كالسابق، لأن الأفكار تحركت بعد أن كانت ساكنة.

وورد كذلك تلغراف من لوندرة، يفيد أن المكاتبين الأمريكان يقولون إن عودة مستر ولسون إلى أميركا، إنما هى ناتجة عن الخلاف بين أعضاء المؤتمر، لأنه عازم على تنفيذ جميع مبادئه، والا انسحب من المؤتمر!

ويقول التلغراف: ولكن هناك مسائل فى أمريكا استدعت تعجيل عودته.

---

(١) قراءة تقريبية.

(٢) ضمير الغائب يعود على محمد محمود باشا كما يفهم من السياق.

وماكنا لنبحث فى هذا الخلاف، وفيما إذا كانت عاقبته حميدة أو غير حميدة لمصر، لأن الله هو المدبر لشئونها، وليس فوق تدبيره تدبير. وما لمن عوده الله الخير بالاتكال عليه، أن يعمل فكره إلا فى اجتناب الفواحش، ما ظهر منها ومابطن، وإتيان المحامد، ما جل منها وما قل.

وضع ثابت الجرجاوى قصيدة فى مدحنا نحن الأربعة، فيها كثير من محاسن الشعر. وهو سجين فى مالطة فى كامب فيروالة. فأرسلت إليه ورقة بنك نوت بخمس جنيهات، فأخذها شاكراً ـ على ما يقول محمد إبراهيم، الذى كلف بذلك.

قد كلف قلم السجون، الذى استودع نقودنا، أن يوزع على المسجونين من المصريين الفقراء خمسين جنيها، ولكن لم يأتنا خبر منه إلى الآن بأنه نفذ ذلك!

أمس حضر الضابط الذى يتفقد حالنا يومياً، ولبث معنا بعض الزمن ـ على خلاف عادته ـ وتمنى لنا تحقيق آمالنا. ومن ضعف السجناء أنهم يتتبعون حركات السجانين وعباراتهم، ويؤولونها حسب ما شاءت أهواؤهم، مع أنهم لا يعلمون فى الغالب من شئونهم الخارجة عن السجن شيئاً!

ثم حضر اليوم فى نحو الساعة ١١، وبلغنا بأنه: ورد تلغراف من مصر لسفركم إلى لوندرة، مع ثمانية عشر مصرياً منكم، وعدد أعضاء الوفد الذين كانوا فى مصر، وزاد عليهم دومانى

وبـــدر، وويصـــا واصف، والأفوكاتو عزيز منسى[١]. وأن الباخرة قامت من بورسعيد أمس، وتصل هنا يوم الاثنين صباحاً، وإن الحاكم العام حاضر اليوم.

---

(١) اختلفت المصادر فى عدد وشخصيات أعضاء الوفد الذى سافر من مصر. فقد أورد محمود أبو الفتح فى كتابه: «مع الوفد المصرى» أنه عند قرار الافراج عن سعد زغلول ورفاقه والسماح لهم بالسفر إلى باريس ، سارع الوفد إلى تنظيم نفسه، فتقرر أن يسافر الأعضاء الآتية أسماؤهم:

على شعراوى باشا ـ سنيوت حنا بك ـ جورج خياط بك ـ مصطفى النحاس بك ـ الدكتور حافظ عفيفى بك على أن ينضم إليهم فى مالطة المعتقلون الأربعة ـ ومعنى ذلك أن عدد أعضاء الوفد هو: ٩ أعضاء، أضيف إليهم هيئة سكرتارية تتألف من: محمد بك بدر والمسيو جورج دومانى، وويصا واصف، وعزيز بك منسى، وعلى بك حافظ رمضان (وقد جعل ويصا واصف بك بعد ذلك عضوا). فيكون المجموع ١٤ أى ٩ أعضاء و٥سكرتارية.

على أن الرافعى أورد أن الوفد الذى سافر إلى أوروبا كان مؤلفاً من على شعراوى باشا ـ عبدالعزيز فهمى بك ـ أحمد لطفى السيد بك ـ محمد على علوبة بك ـ عبداللطيف المكباتى بك ـ سينوت حنابك ـ جورج خياط بك ـ مصطفى النحاس بك ـ الدكتور حافظ عفيفى بك ـ حسين واصف بك ـ محمد أبو النصر بك ـ هذا بالإضافة إلى المعتقلين فى مالطة وهم أربعة، فيكون المجمـــوع ١٥ عضـــواً. وقد انضم إليهم بعد ذلك عبد الخالق مدكور باشا، فيصبح المجمـــوع ١٦ عضواً + ٥ سكرتارية.

على أن أحمد شفيق باشا أورد أن الوفد الذى تم تأليفه يوم ١١ أبريل كان على النحو الآتى: على شعراوى باشا، عبدالعزيز فهمى بك، أحمد لطفى السيد بك، النحاس بك، الدكتور حافظ عفيفى بك، حسين واصف باشا، محمود أبو النصر بك، مضاف إليهم المعتقلون الأربعة، فيكون المجموع ١١ عضواً. ثم انضم إليهم محمد عبدالخالق مدكور باشا، فيصبح المجموع ١٢ عضواً + ٥ سكرتارية. =

وبعد قليل حضر هذا الحاكم، وسأل عن [١] محمد محمود بقوله: أين الباليولى؟[٢] ـ أى المتخرج من مدرسة باليول بلوندرة[٣] ـ وقوله: إنه استلم من رود سفير إنجلترا فى إيتاليا خطابا بالتوصية عليه. فقال له: إنى أشكره، وقد كان صديقاً شخصياً لى. ثم قال: إنكم أشعلتم النار فى مصر

= ومعنى ذلك أن محمود أبو الفتح يحدد عدد الأعضاء بـ ٩ أعضاء، ويحدد الرافعى عددهم بـ١٥ عضواً، أما أحمد شفيق باشا فيحدد عددهم بـ١١ عضوا. =

وقد أغفل المصدر الأول، وهو محمود أبو الفتح، كلا من: عبدالعزيز فهمى بك، وأحمد لطفى السيد بك، ومحمد على علوبه بك، وعبداللطيف المكباتى بك، وحسين واصف باشا، ومحمود أبو النصر.

أما المصدر الثالث، وهو أحمد شفيق باشا، فقد أغفل كلا من سنيوت حنا بك وجورج خياط بك، وعبداللطيف المكباتى بك، ومحمد على علوبة بك.

ووفقاً لمحمد كامل سليم فإن الذين سافروا إلى مالطة يوم ١١ أبريل ١٩١٩، لينضموا إلى الأربعة المعتقلين كانوا: عبد العزيز فهمى بك، وأحمد لطفى السيد بك، ومحمد على علوبه بك، وواصف غالى بك، وحسين واصف باشا، وسنيوت حنا بك، والدكتور حافظ عفيفى، ومحمود أبو النصر بك، أى ١٢ عضواً، هذا فضلاً عن ويصا واصف بك الذى كان فى السكرتارية وقبل عضوا بعد ذلك، وإذا أضيف الأربعة المعتقلون فى مالطة يكون إجمالى العدد ١٦ عضواً فيما عدا ويصا واصف. ونلاحظ أن هذا العدد يشمل واصف غالى بك، وإسمه لم تتضمنه القوائم الأخرى، كما أنه لا يشمل عبدالخالق مدكور باشا.

(١) فى الأصل: وسئل. وهى سقطة قلم.

(٢) فى المذكرات: البلولى، وصحتها الباليولى.

(٣) فى المذكرات: مدرسة بيلول، وصحتها باليول. كما أنها ليست فى لوندره، وإنما هى إحدى كليات جامعة أكسفورد.

ثم طرتم إلى هنا! فأجابه بلهجة شهمة: كلا، إننا قبضنا على زمام الأمور مدة وجودنا، ولم يشعل النار إلا القبض علينا ونفينا من غير سبب. فلم يحر جواباً! وتمنى لنا طيب السفر. وانصرف.

[ص ١٩٤٥]

عن السرور الذى انصب فى قلوبنا، وترنحت به عواطفنا، وظهر على جوارحنا: فلم نكد نتصور إن كنا فى يقظة أم فى منام! ومن ذلك الوقت لم يحلُ لنا مقام! ويتابع هذا السرور الشعور بثقل الواجب، والفكر فيماذا يكون من أمرنا فى لوندرة، ثم فى مؤتمر الصلح!

وأخذنا نتأهب للسفر. وحضر جندى كاتب إدارة السجون، وقال إنه ليس عنده نقود تفى بمالنا فيه وديعة، وإنه يعطينا جانباً نقداً، والباقى يعطى به تحويلا على بنك الأنجلو إيجبسيان فى لوندرة. فقبلنا ذلك. وانصرف

فى يوم ١٣ منه

لم أنم ليلى إلا قليلاً. ولم يكن عندى فكر شاغل معين، ولكنى كنت أسبح فى خيال لا أضبطه. وأصبحت أكتب إلى مصر خطابات تبين سرورى وتمام صحتى.

أمس واليوم، زرنا المصريين الذين فى الكامبات الأخرى، فاستقبلونا أحسن استقبال، هم والألمان والأتراك. وأكرمتنا كل فئة منهم غاية

الإكـرام. وتعرفنا منهم بشخص يدعى أشرف بك أميرالاى، أجمعت على مدحه ألسنة جميع المصريين هنا. والبرنس هو هنزمير[١]. وخطب موسيو هوسار مرحباً بنا، متمنيا نجاح قضيتنا، مادحاً المصريين مدحاً عظيماً.

شكرت له، ولم أخطب. وكان «هو سار» على رأس النمساويين. وقدم البرنس لنا جملة من الألمان.

وأعد المصريون حفلة شاى، وخطب منهم فيها كل من على أفندى حلمى، والصباحى، والعطار، والجرجاوى. وكان الصباحى أحسنهم بياناً، وخطبته أثرت فينا تأثيرا أسال الدموع، وأنطق الكاتب[٢] بقول وجيز فى أمانينا ومستقبلنا.

وكان كل ذلك بحضور ضابط السجن المدعو «كات»[٣]. ثم تفرجنا على داخل الكامب، وعدنا بعد أن ودعنا إخواننا المصريين وغيرهم.

ومن بين الألمان والنمساويين كثير ممن كانوا فى مصر قبل الحرب، وسألونى عما إذا كان نفيهم بواسطة الحكومة المصرية؟ فقلت: كلا إنها لم تتداخل فى ذلك، بل هذا!

---

(١) قراءة تقريبية.
(٢) أى سعد زغلول.
(٣) هكذا تقرأ.

٣٢٨٦

[ص ١٩٤٦]

محمد محمود:

متكبر، معجب بنفسه، مستخف بغيره، غيور، يأكل بعضه إذا عـلا[١] الغير عليه، ويجهد نفسه أن يخفى فضل غيره ليظهر فضله، يضحى المصلحة العامة للمصلحة الخاصة، يطلب فى كل عمل يعمله شأناً خاصاً، فإن لم يجده، فما أسهل عليه أن يهمله! سيئ[٢] الـظـن، كثير الوسوسة، غير أمين فى الرواية، ولا رؤية عنده!

[ص ١٩٤٧]

فى يوم ٢٠ سبتمبر ١٩١٩ مساء

أهملت كتابة اليوميات من بعد قيامنا من مالطة إلى اليوم! وحدثت حوادث شتى فى أثناء هذه الفترة كان من حقها التقييد، ولكنى أهملتها! والسبب فى هذا الإهمال يرجع ـ فيما أذكر ـ إلى الخشية من أن يكون فيما أكتب ما يخشى من اطلاع الغير عليه! ولكن الزمان أظهر أنها خشية لا محل لها، وأن الأولى استئناف الكتابة، لأن فيها نفعاً كبيراً.

---

(١) فى الأصل: على.
(٢) مطموسة بالحبر.

تقرر اليوم أن أسافر إلى أميريكا، إذا تحصلت على جواز السفر. وقد كانت أغلبية الوفد ترى عدم السفر، لأسباب مختلفة، ترجع ـ عند البعض ـ لخشية خلو مركز الرئاسة ممن يشغله، أو خلو مركز الوفد من رئيسه ـ مثل مكباتى ونحاس[1] ـ وعند البعض، لأن فى سفر الرئيس تعطيلاً لانفراد محمد محمود بالعمل[2]، وإطفاء له ـ كمحمد محمود نفسه ولطفى بيك[3] ـ وعند عبدالعزيز بيك ترجع إلى رعاية محمد محمود وإلى التحكم فى شخصى!

وكان هؤلاء يخفون ما فى أنفسهم، ويظهرون أسباباً واهية جداً، كاحتمال أن تدعونا لجنة ملنر إلى المفاوضة معها، واحتمال أن يريد مؤتمر السلام سماع أقوالنا ـ إلى غير ذلك من الاحتمالات السخيفة التى، على فرض تحققها، فإن فى الوفد من يمكنه أن يقوم بما يلزم فيها خير قيام.

ولكن بعض الجرائد الإنجليزية نشرت أمس ما يفيد عدم احتمال ذهاب لجنة ملنر إلى مصر. فانتهزت هذه الفرصة ـ فى جلسة اليوم ـ وعرضت النظر فى هذه المسئلة، لعل أن يكون فى نفى هذا الاحتمال مايحمل بعض الأعضاء عن العدول عن رأيه. ولم يكن محمد محمود

(١) يقصد أن مكباتى ونحاس هما أصحاب هذا الرأى.

(٢) أى العمل فى أمريكا عند سفره إليها.

(٣) يقصد أن محمد محمود ولطفى السيد هما أصحاب الرأى، وكان هذان يكونان مع عبد العزيز فهمى تكتلا معارضا لسعد زغلول ـ وهو أصل تكوين حزب الأحرار الدستوريين فيما بعد.

حاضراً، فرجع كل من المكباتى ونحاس عن رأيهما، وانضم إلينا واصف غالى - الذى لم يكن حاضراً فى القرار الأول - فخرجت الأغلبية للسفر، ولم يشذ منها إلا لطفى وعبدالعزيز. وأما حمد باشا الباسل فعلق السفر على مايراه محمد محمود عند وصوله أمريكا! ورأيت فى هذا الرأى من عدم الرجاحة ما حملنى على رد عنيف.

[ص ١٩٤٨]

وقد شعرت من لطفى وعبدالعزيز نوعاً من التأثر. وقد كان غياب محمد محمود عن هذه الجلسة متوقعاً، لأن فى الجلسة السابقة تقرر - بعد مناقشة طويلة حادة - استدعاء وليم مكرم[١] للقيام بالأعمال الإنجليزية[٢]، وكان هو[٣] ولطفى معارضين فى هذا معارضة شديدة، انتهت بالأول[٣] منهما أن يقول: إن القصد من هذا الاستدعاء مكايدته هو، لا العمل!

ولكنه مخطئ فى وهمه، لأن الأعمال الإنجليزية فى الوفد كثرت فى هذه الأيام، فالحاجة ماسة إلى ترجمة كثير من الأوراق من إحدى اللغتين الإنجليزية والفرنساوية إلى الأخرى، وإلى قراءة الجرائد الإنجليزية والأمريكية، وإطلاع الوفد عليها، وإلى تحرير المراسلات اللازمة بيننا وبين أميركا وإنجلترا.

---

(١) يقصد: مكرم عبيد
(٢) يقصد أعمال الترجمة وغيرها مما يتطلب دراية باللغة الانجليزية.
(٣) يقصد: محمد محمود باشا.

ومحمد باشا لا يمكنه ـ مهما تفرغ ـ أن يقوم بكل هذه الأعمال! ولكنه غير متفرغ لها من جهة، ولا صبر له على الشغل من جهة، وفى كثير من الأحوال يرفض العمل: إما لأنه ليس من رأيه، أو عنادا لشخص من الأشخاص!

ومع كون هذه الأمور ظاهرة ظهوراً بينا، فإن لطفى بيك لم يترك وسيلة من وسائل المعارضة حتى تشبث بها، ولو كانت فى غاية السخافة!

فمنها، أن استدعاء وليم مكرم يحرم مدرسة الحقوق من معلم فاضل! ومنها أن طلب وليم المذكور تعويض شيء من خسارة مركزه ليس فيه شيء من التضحية، وأن الواجب تعلم[1] الناس أن يضحوا بمنافعهم الشخصية للمصلحة العامة ـ إلى غير ذلك من الأقاويل التى لا عيب فيها إلا أنها فى غير موضعها وفى غير زمانها.

وقد كان ردى إرسال وليم المذكور إلى أميركا، فعارض محمد محمود، وسنده لطفى، وقالا: إنه لا يمكن أن يسافر إليها إلا إذا تعذر سفر الأول[2]!

[ص ١٩٤٩]

فمن هذه الحوادث، وأمثالها، تأكد لى (أولا) أن محمد محمود غيور جدا، وسخيف جدا، ومتكبر جدا، ومعجب بنفسه جداً، وأحمق

(١) قراءة تقريبية.

(١) أى إذا تعذر سفر محمد محمود باشا.

جداً، وأنه يريد أن يحتكر فى شخصه اللغة الإنجليزية، وكل عمل له صبغة إنجليزية! وأن لطفى بك يشايعه فى سخافاته، لميله إليه من جهة، ولإرادته حصر كل العمل فى يديه وأيدى أصدقائه من جهة أخرى!

لما تقرر، فى جلسة سابقة، عدم سفرى، قلت: إنى لا يمكن أن أمتنع عن السفر، لأن ضميرى يدعونى إليه، وذمتى تحملنى عليه، وأعتقد أنى إذا لم أقم به أكن مقصراً أمام وطنى. وأنتم ليس لكم أن تنصرفوا إلى أنه[1] شخصى، ولكن على أن لا استعمل النيابة عنكم، بل أقوم بهذا الواجب بصفتى الشخصية، لا بصفة كونى رئيساً للوفد.

وقد قلت ذلك، عقب مناقشة عنيفة دارت بينى وبين عبدالعزيز بك فهمى، وصدر منه كلام جارح لشخصى، فرددته عليه.

وعند انصرافنا إلى منازلنا، قال لى لطفى بيك: إنه ليس لك أن تخالف رأى الجماعة، وإن المركز الذى وصلت إليه كان نتيجة التفافنا حولك، وعملنا معك. فلا ينبغى أن تتصرف فيه بغير رضانا. والنبى نفسه لم يسعه أن يخالف أصحابه.

ولقد فهم، بعد ذلك، مصطفى النحاس ومكباتى بيك، أن المعارضة فى سفرى لأميريكا، لم تكن نزيهه، ولا للفائدة العامة، فعدلا عن رأيهما، وعادت الأغلبية للسفر كما تقدم.

---

(١) فى الأصل: تنصرفوا أنه، وقد أضفنا «إلى» لتستقيم العبارة.

٢٣ سبتمبر[١]

علمت من نحاس ومكباتى أن تلغرافاً أرسل، عقب القرار بسفرى، إلى فولك[٢] يرجوه أن يجتهد فى استصدار الأوامر من حكومة أميركا بسفرى مع المكباتى.

[ص ١٩٥٠]

وكان لم يتقدم منا طلب لقنصلاتو أميركا بالسفر، فأردنا أن نفعل ذلك، فكتب محمد محمود بالإنجليزية كتابة هذا ملخصها: أشهد أنى ومكباتى بيك مسافران لأميركا للمفاوضة مع المحافظ فولك[٣] فى القضية المصرية التى وكلناه فيها.

ولما كانت هذه الشهادة صادرة من الشخص لنفسه، ولم يسبقها طلب لتقديمها[٤]، ترددت نوعاً فى إمضائها، لمخالفتها للمعقول. فأخذ لطفى يبين وجاهتها. وأخيراً أمضيتها، ودفعتها إلى محمد محمود.

ولكنه نساها عند الانصراف، وعثر عليها مكباتى، فأرسلها إليه مع طاهر بيك. ويقول: إنه تقابل مع أميريكى ذى نفوذ، فأرشده هذا الأخير على أن نكتب طلباً بالسفر للقنصل، ونبين فيه السبب، ونرجو الإسراع

---

(١) فى الأصل: «٢٣» فقط، وقد أضفنا سبتمبر

(٢) المستر جوزيف فولك محام أمريكى كان مستشاراً قضائياً لوزارة الخارجية الأمريكية، وله شأن يذكر فى قضايا دولية مهمة. وقد عهد إليه الوفد بالدعاية للقضية المصرية فى الصحف الأمريكية ومجلس الشيوخ الأمريكى.

(٣) هكذا فى الأصل، ويقصد: المحامى فولك.

(٤) قراءة تقريبية.

في الاذن. فكتبت ذلك بالعربية، ودفعته إلى طاهر ليتوجه به إلى مكباتى حيث يترجم بالانجليزية (....)[١].

وعند انصرافه، قابله محمد محمود بالسلالم، فلم يكن من طاهر إلا أن أطلعه على ذلك المكتوب، فأخذه منه، وصعد الاثنان عندى. فاندهشت من بساطة طاهر، وقلت لمحمد محمود: إن ذلك من تشبثات مكباتى. فأخذها، وترجمها، ودفعناها إلى طاهر حتى تكتب بالآلة، وانتظرنا حتى عاد بها مكتوبة، فأخذناها، وانطلقنا إلى القنصلاتو الأميركانية، فوجدناها مقفلة.

ثم ذهبنا إلى حكيم العيون المدعو بورش Borch الأميريكى[٢]، لكى يبحث وينظر ما إذا كان بعيوننا رمد يمنع قبولنا فى أميريكا، لأنه قيل لنا إنه لا يقبل فى أميركا من بعيونه المرض الحبيبى، وهو المرض المعروف بالمرض المصرى. فلم يحضر الحكيم المذكور، وأخذنا من خادمته ميعاداً اليوم الساعة ٣ بعد الظهر.

وقد أظهرت لمحمد محمود ترددى فى السفر، خيفة البرد وكثرة التعب، فكان يسمع هذا التردد بالارتياح!

ولم يظهر أمس استياء من قرار سفرى، بل كان يتظاهر بالمرض، ولكن ذلك كان تكلفاً! والظاهر أن لطفى وعبدالعزيز أوصياه بأن لا يظهر شيئاً من الأشياء، خشية ظهورهم بمظهر غير لائق بعد تلك المعارضة الشديدة.

---

(١) عبارة غير واضحة لنفاد الحبر من القلم.

(٢) أتبع سعد زغلول هذا الاسم بالشارع الذى يقيم فيه الطبيب بالفرنسية: 10 Rue de la pai

وقال لى: إذا كنت تحمل المسافرين[١]، يعنى ويصا وحافظ، على أن يجتهدوا عند عودتهم فى الإكثار من القنابل؟ قلت: إن هذه السياسة أمقتها، ولا أدعو إلا إلى الشيء المشروع فقط. وكل ما أطلب أن يتحد الناس على محبة الاستقلال، ويظهروا هذه المحبة عند كل فرصة بطريقة سليمة. واعلم أن طريقة الارهاب إذا نفعت مرة فإنها تضر مرات، وإذا كانت اليوم لك، فإنها تنقلب عليك غدا، لذلك يجب التحذير منها والبعد عنها!

[ص ١٩٥١]

فسكت ولونه يصفر![٢].

وقد أخبرنى مكباتى أنه هو[٣] ولطفى طلباً منه أن يطلب من كل من ويصا وحافظ العائدين إلى مصر، أن لا يسعيا فى إرسال تلغرافات من مصر باستحسان سفرى إلى أميركا!

---

(١) يقصد المسافرين إلى مصر.

(٢) كان محمد محمود يشك فى أن سعد زغلول هو الذى يوعز إلى عبد الرحمن فهمي بك سكرتير لجنة الوفد المركزية فى مصر باستخدام القنابل لإرهاب الوزراء الذين يقبلون الوزارة. ففى يوم ٢ سبتمبر ١٩١٩ ألقى سيد على محمد قنبلة على محمد سعيد باشا في الاسكندرية، لم تصبه، وحكم على المتهم بعشر سنوات. وفى ١٥ديسمبر ١٩١٩ ألقى عريان يوسف سعد على رئيس الوزراء التالى يوسف وهبة باشا قنبلتين انفجرتا ولم تصبه إحداهما، وحكم على المتهم بعشر سنوات أيضاً. وفى يوم ١٢ يونيه ١٩٢٠ ، أى بعد شهر واحد من تأليف توفيق نسيم باشا وزارته الأولى، ألقيت عليه قنبلة لم تصبه، وأصابت سائق سيارته، وحكم على المتهم بالإعدام. أنظر: د. عبدالعظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ ـ ١٩٣٦.

(٣) أى محمد محمود باشا.

ذكّرت محمد محمود بما كان منه ـ عقب تأكيدى له بأن مكباتى لم يتكلم معى مطلقاً بشأن تسليف ألف جنيه إلى نحاس ـ من دعوتى إلى المعارضة فى هذا الطلب إذا اقترحه مكباتى فى الوفد، ومن تكرار هذا الطلب بصور مختلفة، مما فهمت منه أنه شاك فى تأكيدى، ومتخوف من تأييدى للطلب المذكور ـ ذكرته بذلك، فلم يرد أن يتذكر، وتجاهله بالمرة! مع أنه لم يمض عليه إلا يومان فقط! وأخذت من هذا التجاهل ما أيد فهمى، وصدق وهمى!

قال لطفى بيك إلى حمد باشا الباسل: ألا تريد أن تسافر أنت أيضاً إلى أميركا؟ وشعرت من هذه العبارة بشئ من التهكم، فقلت غاضباً: إنى ممثل فى هذا السفر الأمة[١] فسكت لطفى باهتاً.

فى ٢٤ سبتمبر ١٩١٩

زارنى أمس رشدى باشا، وترك ما أرسل معه من مصر من بن وخبز! ولم يترك ورقة زيارة. فعزمت أن أرد له الزيارة اليوم.

وأخبرنى حمد باشا الباسل أنه زاره اليوم، وتحدث معه طويلاً، ووجده متألماً من عدم اعتراف الأمة بالخدمات التى أداها، ومن تغلب

(١) قراءة تقريبية.

الغوغاء على أمرها، وأنه يظن الوفد أغرى الموظفين بالاستمرار على الاعتصاب ضد وزارته[١].

يعنى أنه متأثر من معاملة الوفد له بعد أن أعانه بأقصى وسعه[٢] على القيام بمأموريته.

اقترح لطفى اليوم البحث فى أن يعود رئيس الوفد وبعض أعضائه إلى مصر، لاتخاذ مايلزم الاحتياط للجنة ملنر[٣] وأن يسفّر منه جماعة إلى أميركا، وإلى إنجلترا، لترويج الدعوة المصرية.

فقلت: إن كل هذا حسن! بعد تعذر ذهابى إلى أميركا.

---

(١) كانت قد تكونت لجنة خاصة للموظفين أثناء ثورة مارس ١٩١٩ بعد خطبة للورد كيرزن أشاد فيها بموقف الموظفين، لأنهم لم يضربوا مع الهيئات التى أضربت. وقد اتخذت اللجنة قراراً بالاضراب احتجاجاً على ثناء اللورد كيرزن، واشترطت للعودة أن تعلن وزارة رشدى أن تشكيلها لا يعنى الاعتراف بالحماية، وإلغاء الأحكام العرفية، والعفو عن المعتقلين فى أحداث الثورة. فاضطر رشدى باشا إلى تقديم استقالته فى ٢١ أبريل ١٩١٩.

(٢) قراءة تقريبية.

(٣) كانت الحكومة الانجليزية، قد أعلنت فى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١٩ تأليف لجنة تأليف ملنر تحت اسم «اللجنة الخصوصية المنتدبية لمصر» للحصول على اعتراف الشعب المصرى بالحماية. وقد تضمن تفويض اللجنة الذى أذيع فى وقت قريب اليوم بيان فهمتها على النحو الآتى:

«تحقيق أسباب الاضطرابات التى حدثت أخيراً فى القطر المصرى، وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة فى تلك البلاد، وعن شكل القانون النظامى الذى يعد تحت الحماية خير وسفور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء بها، ولتوسيع نظام الحكم الذاتى فيها توسيعاً دائم التقدم والرقى ولحماية المصالح الأجنبية».

على أن الحكومة الانجليزية كانت قد أعلنت عن غرضها على إيفاد لجنة ملنر إلى مصر فى أول أبريل ١٩١٩ ـ أى قبل الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه من مالطه. وفى ١٥ مايو اعترف اللورد كيرزن أن مهمة اللجنة هى «تثبيت الحماية البريطانية على أساس توجب رضا الدولة الحامية وسكان البلاد على نسبة واحدة».

ثم اقترح كتابة شيء بمثابة بيان لأسباب الإضطرابات فى مصر. فعارضه مكباتى ونحاس، وقال عبدالعزيز إن هذا بديهى اللزوم.

وبعد مناقشة خفيفة، تداخلت فيها بأنه تحسن الكتابة، ويكون قبولها وعدمه تابعاً لأسلوبها.

فحصل الاتفاق على ذلك.

وسألنى محمد محمود: على من مصاريف السفر إلى أميركا[١] ؟ فقلت: على الوفد! وقال مكباتى: يحسن النظر فيها غداً.

وقال لطفى ــ عند الانصراف ــ: إنه لا أهمية لأن تكون المصاريف من المسافر أو من الوفد[٢] فلم أقل شيئاً ولقى هو ومحمد معارضة مكباتى والنحاس.

[ص ١٩٥٢]

لقصد العناد، انتقاماً لمسئلة المبلغ الذى طلبه مكباتى لنحاس وعارض فيه لطفى ــ أخبرنى محمد محمود بأن قلم الباسبورتات الأميركانى[٣] أبى أن يسلمه جوازه، وادعى أنه كان سلمه إليه بالأمس، وأنه دفع إليه جوازى بمبلغ المائة فرنك الذى كنت تركته لديه، كما يخابر حكومة الولايات المتحدة فى شأن سفرى. وقال إنه ليس من الممكن أن يعطى لى جواز بالسفر بعد أن أعطى جواز لمحمد محمود!

---

(١) فى الأصل: ممن مصاريف السفر إلى أمريكا؟

(٢) أى لا أهمية أن تكون المصاريف على حساب المسافر أو على حساب الوفد. وقد أضفنا كلمة «المصاريف» لتوضيح العبارة.

(٣) أى قلم الجوازات الأمريكى.

٣٢٩٧

تقرر بجلسة اليوم تكليف قرياقوس ميخائيل، المقيم فى لوندره، بإنشاء نشرة تشتمل على أهم ما تكتبه الجرائد الأميركية عن مصر، وأن يسعى فى استكتاب ما يمكن من الجرائد ضد لجنة ملنر، وفى صالح القضية المصرية. وتقرر أن يعطى الآن مبلغ أربعة آلاف فرنك لهذه الغاية.

كما أرسلت تلغراف أمس «لفولك»، نرجوه أن يرسل إليه وإلى الدوكتور عفيفى بمصر، بواسطة شركة التقطيع[1]، قطع الجرائد الأميريكية التى تتكلم عن مصر.

حضرت أمس جلسة مجلس النواب بفرانسا، وكان يخطب من يدعى «ماران»، وهو، وإن لم يكن خطيباً مفوها، إلا أنه يظهر أنه محيط جيداً بالموضوع الذى خطب فيه، وأن الكلام سهل عليه. وقد حصلت مناقشة فى بعض النقط، وتداخل فى المناقشةبارنو و(..)[2]، وأوجانيور[3]، وبعض الاشتراكيين. وأعجبنى صوت بارنو، وفصاحة عبارته، وبلاغة (..)[4].

فى ٢٦ منه

بعد أن أكد محمد محمود بأنه لم يأخذ جواز سفره مرة[5] ثانية، عاد ـ بعد ذلك ـ فقال إنه أخذه ونساه فى جيب البالطو، ثم عثر عليه

---

(١) هكذا فى الأصل، ولعلها شركة تقطع ـ أى تقص ـ من الجرائد الأمريكية ما يتصل بمصر وغيرها.

(٢) أسماء غير مقروءة، ولعلها: نارابو، وڤيڤان.

(٣) أوجانيور هو وزير بحرية فرنسى سابق.

(٤) كلمة غير مقروءة

(٥) أضفنا كلمة «مرة» لسلامة العبارة.

بعد ذلك! وإن قنصلاتو أميركا أبت أن تسلمه إذن السفر، حتى يؤشر على جوازه من قنصلاتو فرانسا، وأن هذه المهلة إلى يوم الإثنين المقبل!

ورد إلى محمد محمود جواب من «جيبونس»[1] بأميريكا، يفيد بأن الكتاب الأبيض سينتهى بعد أسبوعين من تاريخ ذلك الخطاب، وأنه حذف منه وعود إنجلترا، لأن تواريخها سابقة عن السنة التى وضع الكتاب لها.

وورد خطاب من ولش[2] إلى يفيد أنه يشتغل بهمة لتسهيل سفرى إلى أميريكا بعد الانتهاء من تسهيل سفر محمد محمود.

[ص ١٩٥٣]

أمس أخبرنى مكباتى بأن «روديل» اتفق مع رئيس قومسيون السناتو والوكيل السابق له، أن يؤذن للوفد بأن يُسمع أمام هذا القومسيون، وأعد لذلك طلباً منى إلى هذا الرئيس، وطلبا آخر أيضاً بأن يُسمح لى وبعض إخوانى بمقابلة غير رسمية.

وأطلعت على هذا لطفى، ورجانى أن أطلع عليه محمد محمود. فاستحسن دعوتى بكلمة!

(١) هو: هربرت جيبونز آدامز، وهو صحفى أمريكى.

(٢) يقصد: فرنك ولش، رئيس الوفد الأمريكى الذى حضر فى باريس للمطالبة باستقلال أيرلندا. وهومن كبار الساسة الأمريكيين، وكان الوفد قد قرر تكليفه بالدفاع عن قضية مصر، ولكنه لاعتبارات كثيرة رأى أن يدع غيره يتولى المهمة، واقترح بدلاً منه المستر فولك، الذى قبل المهمة.

حضرت أمس جلسة مجلس النواب، وكانت خاصة بهم وبالحاضرين. وخطب فيها موسيو كلمنسو فى موضوع معاهدة الصلح. وصوته قوى بالنسبة لشيخوخته، والكلام سهل عليه. وله عادة فيه، ويميل إلى المجون. ولكنى لم أفهمه كله، لأنى لم أكن أسمعه كله.

ومما فهمته يمكننى أن أقول إن خطابته غير مرتبة، ولا هى معبرة وليست موضحة. وقد قوطع مراراً، وهاج خصومه كثيراً، وتعب الرئيس فى حفظ النظام طويلاً، وصُفق له بعض المرات، وانتهى بتصفيق أيضاً، ولكنه لم يكن تصفيق إجماع، ولا أغلبية مطلقة.

ثم تلاه (...)[١] وهو سوسياليست[٢]، من أقصى الشمال[٣] قصير القامة، ضخم البطن، مسطح[٤] الجبهة، تظهر الحدة فى كلامه، وصوته الجَهْوَرِى العالى الذى يخرج من دماغه، ولا ترتيب فى كلامه، وإن كانت عبارته فصيحة، ويشعر الإنسان منه بشدة الانفعال، والتحامل المتناهي، وعدم مناسبة النغمة التى يصوت بها للمعنى الذى يريد بيانه. ولم يتم خطابه، فتأجل إلى اليوم. ولم يكن سامعوه فى كثرة سامعى[٥] كليمنصو، لأن كثيراً منهم انصرفوا عقب فراغ هذا الأخير.

---

(١) اسم غير مقروء، وقد يقرأ «رونوديل»

(٢) أى اشتراكى Socialist .

(٣) يقصد من أقصى اليسار، أى متطرف.

(٤) قراءة تقريبية.

(٥) العبارة غير ظاهرة لنفاذ الحبر، وقد فهمت من سياق ما جاء بعدها.

٣٣٠٠

خـــلا[١] محل من الصف الذى أمامى، فأردت الانتقال إليه، فنازعتنى امرأة فيه. فلت لها: ليس لك أن تأخذى محلين! قالت: إنك لقليل التربية! فاحتللت المحل، ولم أجبها!

تكفل لطفى بيك أن يضع مذكرة للسناتو حتى تُقَدم إليه.

إلى الآن لم أطلع على ترجمة كتابية لكل صادر من أميريكا، لعدم وجود من يترجم بالانجليزية.

[ص ١٩٥٤]

نشر «التيمس» من يومين أن صدقى وأبو النصر تركا الوفد، لأنهما نصحاه بالعدول عن خطته المتطرفة، والذهاب إلى انجلترا، فأبى زغلول ذلـك. وزاد[٢] على هذا بأن ستين من أعضاء اللجنة المركزية مستعدون للانفصال عنها!.

فأشّرت بالرد على ذلك فى نفس هذه الجريدة.

زرت أمس مع لطفى بيك:

(أولا) ألبير توما، وأظهر لنا استعداده للتوسط بيننا وبين الانجليز فى القضية المصرية على أساس الاستقلال التام. قال: وإنه تكلم مع ثلاثة من الوزراء الانجليز فى موضوع هذه المسئلة، وأشار إليهم بالبدء فى تسويتها قبل أن يستفحل أمرها.

ودعوناه لأكلة معنا، فاختار أن تكون غداً يوم الأربع القادم.

(١) فى الأصل: خلى.
(٢) أى: التيمس.

(وثانيا) موسيو أوجانيور، ووعد أن يكتب علينا[١] من الليلة التى يتفضل بالعشاء معنا فيها، ووعد بأنه عند إعطاء صوته يشير إلى مسئلة مصر.

فى ٢٨ منه

أمس كان يوماً ماطراً، وغائما لم تطلع الشمس فيه. وغاب من الوفد لطفى، وعبدالعزيز، ومحمد محمود. ولم يكن شئ يستحق الاثبات.

غير أن الكاتب الذى نشر فى مجلة «استعمار الشرق» الصادرة ٥سبتمبر[٢] عن محادثة ذكر أنها جرت معى، وكتبت لمدير هذه المجلة احتجاجاً عليها ـ اعتذر[٣] عما فيها من الخطأ والتحريف، وقال إن المجلة ربما زادت على ما كتبته من عندها نبأ، واعترف بأنه لم يطلعنى عليها، وأن ذلك كان خطأ، وتعهد بأن يصلح خطأه، وكتب لى بذلك خطاباً. واليوم أشعرت مدير المجلة بذلك.

صرح محمد محمود أن البوليس فى باريس، أشر على جواز سفره بالإذن بالسفر إلى أميريكا، وأنه جاد فى استحضار إذن أميريكا، وإعداد لوازم السفر فى الباخرة التى تتحرك من بولونيا يوم الأربع أول أكطوبر.

تلى علينا عبدالعزيز بيك فهمى ترجمة مرافعة مستر فولك أمام لجنة السناتو بأمريكا، التى باشرها هو، إلا قليلاً أبقينا سماعه لغد لضيق الوقت.

فوجدناها مرافعة غاية فى المتانة، وقوة الحجة، ولم نجد فيها إلا قليلاً من الخطأ المعذور فيه. وسنتم قراءتها غداً.

---

(١) قراءة اجتهادية.

(٢) قراءة اجتهادية من السياق لأن العبارة غير واضحة لنفاذ الحبر.

(٣) فى الأصل: «واعتذر».

بحث الحكيم روبان[١] (...)[٢]، ووصف لها الدواء اللازم، كما وصف لى دواء أيضاً. وفى رأيه أنه، فيما عدا مرض السكر، فإن مرضنا واحد فى النوع، ولذلك كان الدواء لنا متشابها.

[ص ١٩٥٥]

قلت للمكباتى أمس، إنى إذا سافرت فعلى مصاريفى، حتى ماعساه أصنعه من الولائم، ولكنى لا أريد أن أصرح بذلك فى الوفد قبل أن يسهل أمر السفر، حتى لا يتوهم أنى أتبرع بالكلام. ويلوح لى أنهم تمكنوا من جديد من استمالته بعض الاستمالة.

• الليلة سيتعشى معنا موسيو برار[٣]، وكيل مجلس الشيوخ الفرنساوى.

زرت فى الساعة عشرة وبضع دقائق، رشدى باشا[٤] فقالت البوابة: إنى ما رأيته خرج. فصعدت الدور السادس حيث مسكنه، ودققت الباب جملة مرات متقطعات. وبعد وقت[٥] طويل، فتح الباب، فخرجت لى فتاة صغيرة القامة، وقالت: إنه بخرج!

---

(١) قراءة اجتهادية للاسم، وقد يكون أوبان. وقد كتب سعد زغلول عنوان هذا الطبيب على النحو الآتى: 18 Rue Beaujan وهى قراءة تقريبية.

(٢) فراغ فى الأصل لاسم سيدة لم يسبق أن أورد سعد زغلول اسمها. وربما كانت تعمل فى سكرتارية الوفد بباريس.

(٣) وهو الكسندر بيرار.

(٤) كتب سعد زغلول عنوان رشدى باشا على النحو الآتى: (120 Rue D'idirous) وهى قراءة تقريبية.

(٥) أضفنا هذه الكلمة لسلاسة العبارة.

ثم رأيت فتى مصرياً أسمر اللون، فهمت منه أنه ساكن مع دولته، وأيد قول الفتاة. فقلت: إنى أريد مقابلة الباشا ـ إذا شاء ـ عندى غداً صباحاً لغاية الساعة ١٠، أو مساء من الساعة ٣، فإن لم يوافقه هذا الموعد، فإنه يسرنى أن يضرب لى موعداً آخر، وإنى فى الانتظار. وأكدت عليــه أن لا ينسى أن يقول ذلك لدولته، وهذا بعد أن فهمت منه أنه كان مع دولته عند حضوره عندى.

فعلت ذلك خروجاً من العهدة، وحتى أكون فى حقى، وهو ـ [١] إذا شاء ـ فى باطله! والبر لا صعوبة فيه، ولا يلحق السوء بفاعله[٢].

ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم.

فى ٢٩ منه

دعوت أمس موسيو برار وكيل مجلس الشيوخ الفرنسى، وموسيو روديل،[٣] شريكه فى تحرير جريدة الاستعمار (....)[٤]، ورأيت الأول داخلاً فى قاعة الأكل، فلم أتعرفه تمام التعرف! وكنت فى صحن الأوتيل «كلاريدج». ثم خرج، وجلس بالقرب منى من غير أن يرانى، وأخذ يقرأ فى جريدته. وبعد قليل حضر روديل، وجلس بجانبه، فتأكدت منه، وسلمت عليه.

---

(١) أى: حسين رشدى باشا.

(٢) لا يلحق السوء بفاعل البر.

(٣) قراءة تقريبية.

(٤) بياض فى الأصل، ولعلها جريدة «الآنال كولونيال».

وكان حضر كل من لطفى بيك السيد، ومصطفى النحاس. ولم يكد يستقر المقام بنا، حتى قال[١]: انتهى الأمر، وتقرر أن تقابل، يوم الأربعاء القادم، أو الخميس حسبما تختار ـ رئيس قومسيون مجلس الشيوخ المعين لبحث معاهدة الصلح.

وقصة ذلك أنه من منذ أربعة أو خمسة أيام، أخبرنى مكباتى ونحاس، بإنهما اتفقا مع ذينك الرجلين أن ذلك القومسيون يسمع أقوالنا بصفة رسمية عن مطالب مصر، وأننا نقدم لرئيسه طلباً لهذه الغاية، ثم طلبا آخر بأن نقابل رئيس هذا القومسيون مقابلة غير رسمية [ص ١٩٥٦] قبل ذلك.

وكانا كتباً كلا من الطلبين فى ورقة واحدة، ولكنا استحسنا ـ بناء على ملاحظة لطفى بيه ـ أن يكون كل واحد فى ورقة. فكلام موسيو برار[٢] يشير إلى تقرير المقابلة الغير الرسمية. وأضاف بأنه سيرد لنا خطاب بذلك، وأنه أصبح فى حكم المقرر سماع أقوالكم فى القومسيون، لأن طلبكم سيتلى فى أول جلسة.

فشكرناه على ذلك شكراً جزيلاً. ولكنى ربت على كتفه وقلت[٣]: إنى قرأت خطبتك، وأعجبت بها (أشير إلى خطبة كتبها هو أو كتبها له روديل على أن يلقيها بمجلس الشيوخ، وسلماها لنا، أو سلمها

---

(١) أى مسيو برار

(٢) فى الأصل: بارير، ولكن السياق يرجح أنه برار.

(٣) قراءة اجتهادية ، لأن الخط غير واضح بسبب نفاد الحبر.

روديل، لمكبــاتى ونحــاس، للإطلاع عليــهــا، وإبداء مــا يعن لنا من الملاحظات فيها، فتجاهلها هو وصاحبه[١].

ثم انصـرفنا إلى قـاعـة الطعـام، فـلاحظ لى مكبـاتى أنه لم يكــن يحـسن بى[٢] الاشارة إلى هذه الخطبة قبل إلقائها، لأن ذلك يخجله! فإنتهز[٣] فرصة لجعل الإشارة إلى خطبة جود التى سبق له أن ألقاها فى مجلس النواب! وفعلاً نفذت ذلك.

وعلى المائدة دار الحديث فى موضـوعات شتى، وأهمـهـا وأكـثرها كـــــان (...)[٤]، ووجـدنا بينه وبين روديل التكليف مـرفـوعـا، وكـانا يتـمازحـان من وقت إلى آخرا والشيخ[٥] كـثير الكلام من غير ترتيب، فخور بمعرفة كبار الرجال، يوهم فى حديثه أن له نفوذا عظيماً.

ولام علينا أننا لـم نقابل كثيراً من الرجال المسئولين، خصوصاً رئيس الجمهورية، وبيتون وليون بورجورا[٦]، وغيرهم من السياسيين، لوما ينم على أنه هو طريق أولئك الأعلام. وبالفعل وعدنا بتنفيذ غالبهم.

---

(١) أى تجاهها مكباتى والنحاس.
(٢) أضفنا «بى»
(٣) فعل أمر ـ أى طلب مكباتى من سعد زغلول أن ينتهز الفرصة.
(٤) كلمة غير واضحة لنفاد الحبر.
(٥) أى السناتور
(٦) قراءة تقريبية لهذه الأسماء.

وقال: إنه يلزم أن تحضروا جمعية الأمم فى (....)[١]، وهى الجمعية التى تتألف من مندوبى الشعوب، لا الحكومات لتبحث فى مساعى الأمم المظلومة، وعلى نوال حريتها.

وفهمنا منه أنه ألف بعض الكتب فى التاريخ، وقال إنه يعرف أن يستخلص الحقائق التاريخية كما يستنتج (...)[٢] النتائج من مقدمتها الصحيحة.

وانتهت السهرة حيث كانت الساعة ١٠. وكان تأثيرها فى نفسى غير حميد، لأنى شممت على الكلام روايح التغرير والايهام!

بعد انصرافهما، جلسنا فى صالون، وحدثت إخوانى بما كان منعنى من تنفيذ ما اتفقنا عليه من الالتجاء إلى رجل خبير بالذوق الفرنساوى والقانون الدولى، لكى يضع مذكرة عن مسئلة مصر ومطالبها، على الطريقة التى توافق هذا الذوق، وتقنعه بصحة القضية المصرية، وتجذبه إلى الإصغاء إليها، والمساعدة بقدر الإمكان على نجاحها.

وحاصل ذلك أنى استشرت الأفوكاتو أولانييه[٣]، وهو من أصدقاء عائلة بطرس باشا، وكنا تعرفنا به من قبل، فأبان لنا أن هناك ثلاثة من علماء القانون الدولى وذوى الرأى النافذ فيه، [ص ١٩٥٧] إن قبل واحد منهم أن يضع تلك المذكرة، كان خيراً عظيماً، وإن لم يقبل،

(١) اسم غير مقروء ولعله: «فى بروميير».
(٢) كلمة غير مقروءة.
(٣) كان «أولانييه» صديقاً لواصف بطرس بك، وكان أبوه موظفاً بالمحاكم المختلطة (أنظر محمود أبو الفتح: مع الوفد المصرى) وكان عرابه بطرس غالى.

يحسن أن تكون المذكرة بقلم ثلاثة من رؤساء نقابة المحامين، ولكل رجل من أولئك بالطبيعة مكافأة على عمل يمكن أن يقدر بعدة آلاف فرنك. فاتفقت معه على أن يشرع فى عرض الأمر عليهم. ولكى لا يضيع الوقت، طالب أن نقدم له جميع الأوراق المتعلقة بالمسئلة المصرية التى تحت يدى، فوعدته بذلك.

قصصت كل هذا على اخوانى، فعارض المكباتى معارضة شديدة فى تكليف الأفوكاتو بهذه المهمه، وقال إن هذا بمثابة استشارة العطار بدل الطبيب!

فدفعت هذا الاعتراض بالحسنى، ولكن مكباتى اشتد فى المعارضة بطريقة جارحة ـ كعادته! ـ وكان كل من لطفى والمكباتى[1] معجبين به، ويضحكان من وقت لآخر ويتغامزان! فانسحبت من المجلس غاضباً، وتبقى مصطفى النحاس مسترضياً، معتذراً عن مكباتى، ثم انصرف.

فى يوم ٣٠ منه

وفى هذا الصباح، رجوت واصف[2] أن يتكلم مع الأفوكاتو أولانييه فى الاقتصار على عرض المسألة على علماء القانون دون الأفوكاتيه، فإن لم يقبلوا راجعنا فى الأمر. فعلت ذلك حسماً للمناقشة، وقرفاً منها!

---

(١) هكذا فى الأصل! ولا معنى لوجود اسم مكباتى مع لطفى فى هذا النص، لأن مكباتى كان هو الذى يعترض، ولا يتأتى أن يكون فى الوقت نفسه مع لطفى يعجبان بكلامه ويضحكان من وقت لآخر! ولعله يقصد عبدالعزيز فهمى صديق لطفى السيد.

(٢) يقصد: واصف بك غالى، وليس ويصا واصف بك، لأنه كان صديقاً لأولانييه.

٣٣٠٨

وقد احتد الجدال بين مكباتى ومحمد محمود حتى أدى إلى التشاتم والتقاذف! وأردت أن أصلح بينهما، فلم يقبلا، وانصرفا على خصام.

وكنا عيّنا، فى الجلسة عينها، مكباتى أمينا للصندوق، مكان محمد محمود. وكان أخبر هذا بأن البنك نصحه بأن يكون الصرف من نقود البنك بإمضائين، احتياطا للطوارئ. فقلت: إن هذا وإن كان صواباً، ولكننا لم نجر عليه من البداية، فيستحسن أن نقر عليه[1] الآن.

ولما عرضت مكباتى أمين صندوق، لم يجد هذا العرض استحساناً من الأغلبية، لأنهم سكتوا! واعتبر سكوتهم رضاء! ولكن السكوت لم يكن فى الحقيقة صريحاً فى الرضا، مما حمل ذلك المكباتى أن يقول: ماداموا ساكتين فلا أقبل. فلم يتكلم إلا بعض من سبق له الكلام، بأن السكوت رضاء!

[ص ١٩٥٨]

وعند انصرافنا مع لطفى ومحمد محمود، قال هذا: إنه لا يمكن تحريره باسم مكباتى، لأنه لا يود أن يكون شريكاً فى هذه الجناية ـ يريد جناية تعيين مكباتى أميناً!

ومما يحسن ذكره، أن محمد محمود ـ يساعده لطفى، وحمد وعبدالعزيز ـ كان يرغب أن يأخذ معه مبلغاً طائلاً، منه: ١٢ ألف جنيه

---

(٣) قراءة تقريبية.

ما قدر بمعرفة الأرلانديين، إلى الأعمال فى أميريكا، ومنه مبلغ لم يعين، على ذمة المصاريف الأخرى.

فعارض فى ذلك مكباتى معارضة شديدة، عمدتها تقلب أسعار النقود. وأيدته فى ذلك. وانتهى الأمر أن يأخذ معه ستة آلاف جنيه، وأن يطلب بعد ذلك ما يلزمه.

وعندما كان يقال: إن استلامه النقود وعد (...)[1]، مادام ما يطلب منها يرسل فى الحال، كان لطفى يقول، ويكرر: نعم، ومن ذا الذى يمكنه أن يأخذ على مسئوليته عدم إرسال ما عساه يطلبه!

وقد عرضت أن أتعشى معهما الليلة فى أوتيل كلاردج، وفعلت ذلك إشهاراً لما عندى من التسامح!

فى أول أكطوبر ١٩١٩

تعشيت معهما. وحضر بعد العشا محمد على، وانصرفت فى نحو الساعة ١١ مودعا. وقلت: إنى كنت أود أن أودعك فى المحطة، ولكنى ربما لا أقدر، لأنه يلزمنى تعاطى بعض الأدوية. فقال: أرجوك أن لاتفعل.

وما فعلت!

وقال لى لطفى اليوم: إننا كنا كلنا فى وداع محمد، وفى انتظار حضورك، لأن الوابور كان تأخر. قلت: لم أستطع، ولم يكن التأخير منظوراً!

---

(١) كلمة غير مقروءة، وقد تكون: «وسياسة».

٢٣١٠

أتم عبدالعزيز فهمى تلاوة ترجمة مرافعة «فولك» أمام لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ، وكان ابتدأها من يومين. فوجدناها فى غاية الأهميـة[١]، وفهمنا منها أن فولك الذى قام بها، رجل محترم لدى اللجنة، واسع الصدر، حاضر الذهن، ملم بموضوعه، سريع الخاطر، دقيق البحث، درس المسئلة كما يجب أن تدرس [ص ١٩٥٩] ولم يخطئ. إلا فى قليل من الوقائع، أهمها قوله: إن للجمعية التشريعية فى مصر سلطة التشريع.

رشدى باشا حضر فرانسا من منذ مدة، وتوجه إلى فيشى[٢]، وأرسلت معه حرم صدقى باشا[٣] إلى أختها جانباً من البن والكعك بواسطة حرمه. ولكنه توجه إلى فيشى تواً وأقام فيها بضعة أيام، ثم حضر إلى باريز من ١٠ أيام تقريباً وعلمت بقدومه، علماً بأنه عارف بعنوانى. وأخيراً أحضر تلك الأشياء فى وقت لم أكن فيه موجوداً عندى، ولم يترك ورقة زيارة، ولكنه كتب اسمه على الربطة التى كانت بها تلك الأشياء.

فرددت له الزيارة فى اليوم التالى، وما وجدته[٤]! وتقابل مع حمد باشا الباسل وخاطبه فى شأن اجتماعنا، فلم يحضر[٥].

---

(١) نظراً لأهمية مرافعة «فولك» فقد ألحقنا نصها بهذا الجزء ليطلع عليها من يريد.
(٢) للاستشفاء كما هو واضح.
(٣) حرم صدقى باشا أى حرم محمود صدقى باشا، وهو عديل سعد زغلول.
(٤) يبدو أن العادة الحديثة بتحديد ميعاد للمقابلة لم تكن موجودة فى ذلك الوقت، ففيما سبق رأينا سعد زغلول يزور حسين رشدى باشا فى بيته، فلا يجده. وهنا يزور حسين رشدى باشا سعد زغلول فلا يجده، ثم يرد له سعد زغلول الزيارة فلا يجده. ولا نعلم إذا كانت عادة مصرية فقط أم عادة عامة.
(٥) قراءة تقريبية.

وأخيراً توجهت إليه من يومين، فلم أجده، ووجدت شاباً بالشقة اسمه عباس، فكلفته بأن يبلغه بأني فى انتظاره.

فحضر أمس صباحاً، وهلل كل منا لصاحبه عند المقابلة على حسب العادة، وشعرت منه أنه كان كسير الخاطر، فطيبت خاطره، وأكدت له أنه من المقرر عندى وعند أغلب إخوانى العارفين بالحقائق، أن له الفضل الأكبر فى الحركة الحاضرة، بما أعاننا عليه فى البداية، وبما أظهره فى النهاية من نوايا الانجليز، وبما عرّض به من مركزه تأييداً للحركة الوطنية.

فارتاح أيما ارتياح لهذا القول، وقبل أن أدعوه إلى حفل وليمة يدعى إليه كثير من الرجال. وستتعشى معه اليوم فى أوتيل كلاردج ولطفى بك السيد.

فى ٢ منه

وقد تعشينا معه أمس، وكان معنا لطفى مدعوا، وجلس معنا مكباتى على المائدة على حسابه! وكان مر بى هو الساعة ١٠ حسب الاتفاق، وقرأت له مقالات مكاتب[1] التيمس، تحت عنوان: «الاضطرابات فى مصر»، فكان كل ما يمر بحسن منها (وكان كثيراً) يقول: إنه هو الذى لقنه إليه، حيث اجتمع به وتحادث معه!

ثم حضر فى السهرة كل من نحاس وحمد باشا، ودار الحديث فى شئون مصر، وما يمكنه أن يفعل [ص ١٩٦٠] هو لصالح البلد.

---

(١) أى: مراسل.

ومجموع ما فهمناه منه، أنه لا يريد أن يظهر بكونه ضد الحماية، وأنه عديم الرجاء في الاستقلال التام! وأنه يميل أن يكون له من الأهالى سند فى طلب ما دون هذا الاستقلال! وأنه ما داموا يشددون فى المطالبة به(١)، ويصفون بالخيانة كل من يسعى فى أقل منه، فلا يمكنه أن يفعل شيئاً.

ويزعم أن الوفد يقوى أملهم، ويعمل على تغذيته.

وقد نفينا له هذا الزعم، وأكدنا له النفى، وبينا له أن شعور الأمة هو الذى يصدر عنها(٢) لا أنه يصدر عنا، وأننا نستمد منه(٣) رجاءنا، وحتى لو أننا ملنا إلى غير ميله، فإنه ينفر منا تمام النفور، وينبذنا جانباً!

وقد رد - مبالغاً - أنه إتهم، هو وعدلى وثروت، عند «ألنبى» بتحريك الناس ضد الحكومة، وأن «ألنبى» استدعاهم الواحد بعد الآخر، وسألهم، فاحتجوا على هذا الاتهام، وتوهموا أنه دسيسة من سعيد(٤). وقد شكى للسلطان من ذلك العمل، وأنه ناقم عليه وعلى اسماعيل سرى(٥)، ويقول: إنه لم توجد وزارة أضر على البلاد من الوزارة الحالية!

ويقول: إن منزل سعيد أصبح فيه الزوار.

وقد أريته أنه لا حرج عليه أن يستطلع طِلْع(٦)، الانجليز فيما ينوون عمله لمصر، ولا يعرضه هذا الاستطلاع لخطر ما، كما أنه لا يربطه بشيء. فأظهر شيئاً من التردد!

---

(١) قراءة اجتهادية لأن العبارة غير واضحة لنفاد الحبر، والمقصود: يشددون فى المطالبة بالاستقلال.
(٢) فى الأصل: عنه.
(٣) أى تستمد من شعور الأمة.
(٤) أى محمد سعيد باشا، وكان رئيساً للوزراء من ٢٠ مايو ١٩١٩ إلى ٢٠ نوفمبر ١٩١٩.
(٥) إسماعيل سرى باشا، وزير الأشغال والحربية والبحرية فى وزارة محمد سعيد.
(٦) طِلْع = باطن.

ولما فهمت منه أن عدلى يرى أن الوفد يحسن به أن يتخابر مع الإنجليز، وأن تذهب منه فئة إلى انجلترا، كما يحسن أن يخابر اللجنة[١] عند قدومها، قلت له: إنه لا يمكن التخابر مع الإنجليز إلا على قاعدة الحماية، وذلك مخالف لمبدأ الوفد ووكالته! وقد حصلت بعض المخابرات، ولكنها لم تأت بنتيجة.

وقصصت عليه ما كان من قصة فنزيلوس[٢] والكولونيل اسميث والجنرال (...)[٣]، وانتهيت بأن الوفد المصرى لا يمكنه أن يتعاقد مع الانجليز على شئ سوى الاستقلال، ولايكف عن المطالبة به، حتى بعد تصديق الدول على معاهدة السلام! لأن حوادث الأيام مجهولة، ولا يعلم إلا الله بما خبأته الأيام.

اليوم ورد خطاب من موسيو (....)[٤] رئيس لجنة معاهدة الصلح فى مجلس الشيوخ، رداً على الطلب السابق تقديمه إليه بالرغبة فى

---

(١) يقصد: لجنة ملنر.

(٢) قصة فنزيلوس (وهو رئيس وزراء اليونان)، أن البعض عرض على سعد زغلول أن يتوسط المسيو فنزيلوس عند الحكومة الانجليزية فى اعطاء مصر حريتها، وكان هذا باتفاق بينه وبين إسماعيل صدقى باشا وحسين واصف باشا، على غير علم الوفد. وقد طلب فنزيلوس من سعد زغلول أن يكتب له كتابا يلتمس وساطته لإعطاء مصر نظاما موافقا تحت الحماية. فرفض سعد زغلول، لأن اجابة هذا الطلب يعد «مخالفا لمبدأ الوفد ولكرامة الأمة التى يمثلها الوفد، ولا يتفق مع الاجابة التى أجبنا بها الى السير وبجت عندما طلب منا أن نقدم طلبات بالكتابة فى دائرة الحماية». وكان هذا الرفض من أسباب غضب اسماعيل صدقى باشا.
(لمزيد من الاطلاع انظر: عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر، الجزء الأول، الفصل الثالث: نضال الوفد فى أوروبا وأمريكا.

(٣) اسم غير مقروء.

(٤) اسم غير مقروء، وقد يقرأ: «ودسليف».

مقابلة غير رسمية قبل الجلسة التى طلبت أن يسمع القومسيون فيها أقوالنا، وهذا الرد يؤذن بأنه مستعد اليوم لمقابلتنا فى الساعة ١٢.

فذهبت إليه مع مكباتى ولطفى، [ص ١٩٦١] فاستقبلنا بالترحاب الجاذب، وقصصت عليه ـ بالاختصار ـ قصتنا، وأبديت له رغبتنا فى أن يسمع القومسيون التى تحت رئاسته أقوالنا.

فتقبل ما شرحته قبولاً حسناً، ووعد بعرض رغبتنا على إخوانه، وأفهمنا أنه سيعمل جهده فى قبوله.

قال: ولكن مسئلتكم تقدمت، وتعذر أن تحل على رغبتكم، ولكنكم تريدون أن يكون الباب أمامها مفتوحاً!

فوافقنا على ذلك، وشكرناه شكراً عظيماً. كما تضمن بيانى بعض عبارات الثناء عليه، والتفخيم فيه وفى عائلته.

ويسرنى أن عبارتى كانت واضحة، مختصرة، وافية، جامعة لأطراف المسئلة المصرية وأهم نقطها.

ولما عدنا إلى الوفد وضح لطفى إليه ما كان، وقال: أحسن ما أقول فى وصف بيان الرئيس، أنه كان مماثلاً لبيانه العربى.

رجانى لطفى أكثر من مرة أن أدعو عبدالعزيز إلى الغدا مع من دعوناهم، وهم(...)[1] ورشدى باشا، ولطفى بك السيد. فدعوته، وأجاب، وكان عند حديث مقابلتنا بذلك الرجل ساكناً بارداً.

---

(١) اسم غير مقروء، وقد يكون: ألبير توما.

وقرأنا فى جريدة مصر حديثاً لعلى باشا شعراوى مع صاحبها، جاء فيه إن الوفد معجب بمحمد فريد وبأعماله! فاستنكر بعض الحاضرين هذه الجملة! فقال لطفى: ربما قالها رعاية لظروف قدرها، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب! أو ربما كانت (...)[١]. وقال عبدالعزيز مثل هذا القول. قلت: ولكن الاعجاب أمر زائد! واستغربت كما استغرب غيرى[٢]!

فى ٤ منه

تغدى معى أمس كل من رشدى، وألبير توما، ولطفى، وعبدالعزيز، فى صالون خاص بأوتيل كلاردج. وفهمنا من توما أنه سكرتير مؤتمر سينعقد فى بروكسل فى شهر نوفمبر المقبل، ويكون عبارة عن جمعية أقوام، تمثل فيه الجمعيات المختلفة للشعوب المتعددة، ويبحث فيه عما يحسن أحوالها، ويكفل لها الحرية والتقدم. وأنه يجب أن تتألف من

---

(١) عبارة غير مقروءة، وقد تكون: «ربما كانت فرية وكذبها».

(٢) بخصوص محمد، كان عبد الرحمن فهمى قد رأى وبعض المشتغلين معه بالحركة الوطنية، أن يضم إليه الوفد محمد فريد رئيس الحزب الوطنى، حتى تظهر وحدة الأمة بأجلى معانيها، ولكن سعد زغلول رد عليه بأن فى ضم محمد فريد إلى الوفد «خطر كبير على القضية الوطنية التى تحتاج على الدوام إلى عطف الحلفاء، الذين الذين اشتهر فريد بك لديهم عموما، ولدى الفرنساويين منهم خصوصا، بممالأة أعدائهم والتدخل مع الخديوى وبولو ممن ساءت سمعتهم كثيرا فى أوروبا. ولا يخفى كم أن الانجليز كانوا يتهمون المصريين بأن حركتهم غير ذاتية، وأنها حاصلة بدسائس من الترك والألمان. فضم مثل محمد فريد إلى الوفد، من شأنه أن يؤيد مطاعن الخصوم، ويشوه جمال نهضتنا»
(انظر: مذكرات عبد الرحمن فهمى، الجزء الثانى).

المصريين جمعية ليكون لها فيها ممثل أو ممثلون. وإن رئيس هذه الجمعية سيكون موسيو «ليون برجوا»[١]، وإنه مستعد لأن يقدمنا إليه، وإلى مسيو بيتون[٢] وزير خارجية فرانسا. فشكرنا له حسن هذا الاستعداد.

وأشار إلى أن الخلاف بين الحكومة الانجليزية وعمال السكة الحديد لا يدوم طويلا، وأنه سينتهى فى صالح الحكومة، [**ص ١٩٦٢**]. وأن زمان الانقلابات فى انجلترا لايزال بعيداً. ووافق رشدى على أن ألمانيا ستنقلب إلى ما يشبه أن يكون ملوكية. ووعد بأن يعرفنا ببعض كبار عمال الانجليز[٣]، وعلى الأخص هندرسون.

ولما انصرفنا، انفردنا فى ناحية مع رشدى باشا، وأعدنا الحديث معه فى شأن أحوالنا. وبعد أن فرغنا منه، أجمعنا على صحة الملحوظات التى سبق إثباتها.

أمضيت اليوم خطابين: أحدهما إلى (...)[٤] رئيس لجنة الأمور الخارجية بمجلس شيوخ فرانسا، نبدى[٥] له الشكر على أن أحسن لقاءنا، وأظهر انعطافه على قضيتنا، وحسن استعداده لمساعدتنا على سماع أقوالنا فى لجنته، ونرجوه أن لا ينسانا، وأن يذكر ما وعدنا به.

---

(١) هكذا يقرأ.
(٢) هكذا يقرأ.
(٣) يقصد بعمال الانجليز زعماء حزب العمال البريطانى.
(٤) اسم غير مقروء.
(٥) قراءة تدريبية.

والثانى إلى موسيو برار السناتور نشكره فيه على حسن الوساطة بيننا وبين الرجل الأول، وأنه بفضل هذه الوساطة قد فزنا بحسن اللقاء، والوعد الجميل بالمساعدة. ونذكره بأن يستمر فى سعيه حتى نصل إلى بغيتنا، وأن يبذل همته فى تعريفنا بمن عرض علينا استعداده لتعريفنا بهم. وقد أبديت شيئاً من التردد فى إمضاء الأول، ولكن فكر الأعضاء غلب، بناء على أنه صادر من فرنساوى يعرف الذوق الفرنساوى وما يناسبه.

وقد أخطأت للمرة الثانية[١]، وكفرت عن الخطأ بعشرة فرنكات! والأوفق الانتباه حتى لا يتكرر الخطأ، فتتضاعف الغرامة. واستعمال العقل أصون للنزاهة، وأحفظ للكرامة، وأوفى للصدق الذى هو أحسن الفضائل.

ليس فى نفسى أثر من الشوق إلى العودة إلى بلادى، وليس فى الأخبار التى تتاح مؤيدة تعلق الناس بى ما يشوقنى إلى رؤية مظاهراتهم لى!

أهذا جحود، أم هو الشعور ببعد الأمل يغطى على الشعور بحسن الرجاء؟[٢]

---

(١) لم يحدثنا سعد زغلول عن هذا الخطأ، لا فى المرة الأولى، ولا فى المرة الثانية.

(٢) هذه العبارة توضح خشية سعد زغلول من العودة إلى مصر خائباً، بعد ما بثه الوفد فى نفوس الشعب من الأمل فى الاستقلال التام، وبعد أن تصاعد المد الوطنى إلى درجة لم يسبق لها مثيل، فتحدث نكسة وطنية لا تحمد عقباها.

٣٣١٨

[ص١٩٦٣]

في ٥ منه

زارني عزت باشا العابد أمس، لأول مرة. وسببها ـ فيما أظن ـ ماأشعرته به من خطأ في معرفة حوادث مصر وتقديرها، وما أظهرته من عدم العناية به، فأراد أن يزيل بهذه الزيارة هذا الأثر من نفسي.

وما أزاله! ولم يزدني حديثه الجديد إلا اعتقاداً بجهله القديم!

اليوم آخَّر الناس ساعاتهم ساعة. فالساعة واحدة جعلت الساعة ١٢!

يرى عبدالعزيز فهمي أنه لا أمل في دولة العمال[١] أن تزهد في الاستعمار! فإذا قامت في انجلترا دولتهم، فلا يتخلون عن مستعمراتهم!

وقلت: إن في الانقلاب[٢]، إذا حصل، ضعف للحكومة، ربما استفادت منه الأمم المغلوبة. ومن المحتمل أن تخف وطأة الحكومة، وأن ترى الأولى بها مجاملة المستعمرات. والله أعلم!

روى بعض القادمين من مصر أن الحكومة وزعت على الأهالي ورقة فيها أربعة عشر سؤالاً، مرغوب الإجابة عليها.

---

(١) يقصد حكومة العمال في بريطانيا.

(٢) كلمة «الانقلاب» هنا لا تعني انقلاب نظام الحكم في بريطانيا، وإنما تعني سقوط حكومة المحافظين ومجيء حكومة العمال.

منها: ما هى أسباب الاضطراب؟ وهل الأفضل أن يكون للبلاد مجلس مختلط أو أهلى[١]؟ وما رأيهم فى مجالس المديريات؟.. إلخ.

وقد اختلفت الآراء فيما عسى يكون من أجوبة الناس على هذه الأسئلة:

فمنهم من رأى أنها ستكون طبق رغبة الحكومة على الأغلب - ومن هذا الفريق عبدالعزيز.

ومنهم من يرى أنها ستكون ضدها على الأكثر.

وسيكشف الاستقبال[٢] حقيقة الحال.

وقد رأينا أنه يلزم - على كل حال - الاحتجاج عليها عند العلم بحقيقتها.

[ص ١٩٦٤]

فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩

انقطعت عن كتابه اليوميات من ٥ أكطوبر، لمرض اعترانى، وأشغال تراكمت فيما بعد على، وكسل لزمنى. ونشطت الآن للكتابة.

---

(١) يقصد: مجلس نيابى مختلط من المصريين والأجانب، أو مجلسا مصريا خالصا. ويلاحظ أن الأجانب فى مصر فى ذلك الوقت كانوا كثرة، وكانت المشروعات النيابية السابقة التى أعدتها بريطانيا تقوم على فكرة المجلس النيابى المختلط.

(٢) يقصد: المستقبل

٣٣٢٠

أخذنى برد شديد، سبب عندى سعالاً حاداً، مصحوباً ببلغم ذى لون مكمد ولزوجة شديدة، وضعف شديد فى القلب، حتى ما كنت أستطيع شرب الماء إلا بعناء، وكانت الجرعة يتعبنى تجرعها. وارتفعت درجة الحرارة إلى ما فوق ٣٨. فأخذت شربة، واحتميت من كل شئ غير ملائم لمرض السكر.

واستدعيت الطبيب روبان[١]، فوصف لى دواء للسكر، وغيره للزكام. وتناولت الاثنين، ثم وافانى التحسن شيئاً فشيئا، إلى أن تم الآن بحمد الله. ولكن الصدر لا يزال سريع التأثر من البرد.

وقد لزمت كل المدة الماضية البيت، ولا أزال لا أخرج منه إلا قليلاً، ولا أمشى إلا أقل، وفى الليل لا أبعد عنه أبداً، وأصبح الوفد[٢] يعقد عندى جلساته.

لاحظت أن مكباتى بيك يستعمل شيئاً من المراقبة على أعمالى! وتوصل إلى هذا بأمانة الصندوق التى تعين لها بعد محمد محمود، حيث نبه على جميع المستخدمين بأن لا يوصلوا شيئاً منى إلى محله ـ كتلغراف إلى مكتب التلغراف، وجواب إلى البوستة ـ إلا بعد إطلاعه عليه[٣]!

---

(١) قراءة تقريبية وقد كتب سعد زغلول – كعادته – عنوان الطبيب 42 Rüe bejain وهى قراءة تقريبية. ويلاحظ أن هذا العنوان مختلف عن العنوان السابق.

(٢) هذه العبارة كتبناها استنتاجا من السياق، لأنها غير ظاهرة بسبب نفاد الحبر.

(٣) يبدو أن سبب هذه المراقبة أن مكباتى بك كان يشك فى علاقة سعد زغلول بعبد الرحمن فهمى وما يجرى فى مصر من عمل سرى مما أوردناه سابقا.

وبلغ به الأمر أن منع ـ أكثر من مرة ـ تلغرافات أردت إرسالها بيد الرجال، وأبدى ملاحظات عليها! وكذلك فتح بعض الخطابات، وأوقف إرسالها، وكتب إلى ملاحظات عنها!

وكلمته فى شأن ذلك أمام حمد باشا الباسل، وبعض إخوانه، وأفهمته أن هذا غير لائق.

حدث بعدئذ فى يوم (...)[١] نوفمبر أن دار الكلام بيننا على مقالة نشرها «التيمس»، وزعم فيها أن من أصحابى الأصليين بباريس من لم يكن متفقاً معى فى طلب الاستقلال التام، فقلنا: من هم أولئك الأعضاء الأصليون؟

قلت: إن كان مراده بهم محمود أبو النصر وصدقى باشا، فهؤلاء لم يكونوا أصليين، بل مضمومين!

ثم دارت المناقشة فى موضوع آخر، لعله ما كان اقترحه مكباتى من إرسال مذكرة للدول، بما فيها تركيا، من أن كل تعاقد معها على مصر لا يضر بحقوق هذه. وكانت الأغلبية تميل إلى رفضه. فلما طلبت من حمد باشا رأيه، قال: إنه لا رأى له مادام هناك فرق ما بين عضو مضموم وأصلى!

قال ذلك متأثراً! فاندهشت من حالته، وقلت: ما هذا؟ إنا لم نفرق بين النوعين، ولكنا نريد أن نفهم ما يقول «التيمس»! ولم يخطر على بالى، وقت أن قلت ما قلت، إن كنت أنت عضواً مضموماً أو أصلى، ولم أرد بما قلت أن أمسك بشىء! فقال: إنى عضو مهم[٢]،

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) فى الأصل: عضوا مهما.

٣٣٢٢

[ص١٩٦٥] والأمة تعرفني. قلت: ذلك لا ينافى أنك عضو مضموم! ولكنا لم نفرق، ولم أقصد أنى أجرحك مطلقاً. وإذا كنت بعد هذا البيان تصر على أنى جرحتك، فقد جرحتك!

فتداخل المكباتى حينئذ، وسمعته يقول لى: إنك اشتديت فى الكلام مع حمد باشا! فلم أرتح لهذا التداخل، لأنى وجدته يزيد فى غضب حمد. وقلت له: إنه ليس لك أن تحكم على أعمالى، ولا أن تبدى لى ملاحظات! فنهض قائماً مستشيطاً غضباً، وانصرف من الأودة مردداً بعض الكلمات الجارحة، مثل ما هذه المعاملة؟ إننا لسنا (....)[1] له، إلى غير ذلك. وتبعه حمد باشا.

فخرج خلفهما كل من لطفى بك ومحمد على[2] والنحاس، لكى يعيدانهما، فأبيا، وأبى مكباتى إلا أن يخرج. وتبعه حمد.

وبعد انصرافهما، عاد الأولون، وأخبروا بأنهم لم يستطيعوا منعهما.

فقلت: سبحان الله! ما أسرع تقلب الأحوال! إنى نبهت على خادمى أن يصنع لنا غدا طعاماً كان طلبه حمد باشا منه، وكان فى نيتى أن يتناوله معنا بعض الإخوان، وكنت أريد أن أقول له ذلك قبل الانصراف، فجاء هذا الحادث وأنسانى!

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) يقصد محمد على علوبة.

فقال إخوانى: إن الوقت لم يفت، وأكتب لهما دعوة بذلك. فكتبت لكل منهما دعوة بعبارة ودادية، قلت لحمد فيها: إنك كنت أمرت الخادم أن يهيئ طعاماً تشتهيه، وانصرفت قبل إخبارك بأنه أعده فى الغد، فأرجوك أن تحضر، وإذا غبت فأنت تعلم جزاء من يتخلف عن الطعام!

وقلت لمكباتى: إنى أرجو أن تشرفنى غدا لتناول الطعام معاً، وإخوانى الحاملين لهذا الخطاب يشرحون لك الحال.

وسلمت هذين الخطابين إلى كل من محمد على ومصطفى النحاس، اللذين دعوتهما أيضاً للغداء!

وبعد انصرافهما بقليل، وصلنى خطاب من حمد باشا يقول فيه: إنه بعد خروجه من بيتى بالصورة التى خرج بها، لا يسعه إلا أن يعتذر عن الحضور!

ثم حضر مصطفى بك النحاس، وقال: إن مكباتى بيك أبى الحضور وكذلك حمد باشا. وإنه ـ بناء على ذلك ـ لا يحضر هو ولا محمد على. فأكدت عليه بأن يحضر، وبأن يخبر محمد علىّ بأنى منتظره.

وحضرا، ثم اجتمع أعضاء الوفد كالعادة، ولم يحضر مكباتى، لا فى هذا اليوم ولا فى اليوم التالى! فقلت لنحاس: إن المكباتى قد أساء إلى[1] [ص ١٩٦٦] فى عدم رده على خطابى، ثم فى عدم حضوره الوفد.

ولكن رغم ذلك، فإن حضرته استمر على الانقطاع لغاية (...)[2].

(١) كتب سعد زغلول عبارة بالعربية والفرنسية فى هامش الصفحة، وهى غير مقروءة.
(٢) بياض فى الأصل.

وبما أنه أمين الصندوق، وهذه الوظيفة لها علاقة مستمرة بالرئيس، وهو يصرف المصاريف من غير قرار من الوفد، ولا إذن من الرئيس، فقد استحسنت أنا واخوانى أن نرجع إلى القانون، ونقرر سلفه مستديمة تكون فى يد محمد على بيك، للصرف منها على الأعمال السنوية[١] واليومية، وأن لا يصرف شئ من مال الوفد إلا بقرار منه، أو بإذن من الرئيس.

اتفق إخوانى على هذا القرار، إلا حمد ومصطفى بيك النحاس.

وكان حمد ألح كثيراً فى تأخير إصداره ثلاثة أيام، فلم نقبل إلا للغد، لأننا تبينا أن هذا الطلب لم يكن إلا اكتساباً للوقت، وأن الثلاثة متفقون معاً ضد الباقى!

وقد بلغت هذا القرار إلى مكباتى بيك فى يوم ١٨ نوفمبر ـ أى يوم صدوره مساء. فما كان منه إلا أن ذهب فى الصباح -على غير علمى- إلى بنك رومه، الذى عنده على ذمة الوفد مبلغ يزيد على مليون وثمانمائة فرنك، كانت مقيدة لديه باسم مكباتى، بصفة كونه أمين صندوقه، وسحب هذا المبلغ منه، ثم أودعه فيه، ولكن باسمه الشخصى!

وذلك من غير أن يعلم أحد بهذا التحويل: لا أنا، ولا أحدا من إخوانى! بل لم نعلم بهذه العملية إلا بعد، من البنك نفسه!

ثم كتب لى خطاباً يعترض فيه على ذلك القرار بكونه مخالفاً للقانون، وبكونه صدر فى جلسة لم يعلم مكان انعقادها! على أنه كان

(١) هكذا تقرأ، وقد تقرأ: «المسئولة».

يعلم كل العلم، لأن الوفد، من يوم مرضى، ينعقد عندى كل يوم، وكان يحضر هو الانعقاد لغاية انقطاعه! ثم إنه كل يوم يجتمع بمكان الوفد مع كثير من الأعضاء، ويعلم منهم جيداً جميع التفاصيل. وليس هناك مخالفة للقانون، لأنه مادام المال مال الوفد، وهو الذى له حق التصرف فيه، والمسئولية الملقاة على عاتق أمين الصندوق بالنسبة للنقود لاتكون إلا أمامه، فمن الطبيعى أن يكون له أن يقرر بأن للرئيس حق الإذن بصرفها. وإذا كان أمين الصندوق، بناء على هذا القرار، ينفذ إذن الرئيس، ويصرف المبلغ المأذون بصرفه، تبرأ ذمته، ويخرج من عهدة المسئولية أمام الوفد، ولا يقال مطلقاً إن هذا الصرف حصل بغير قرار من الوفد، والوفد لم يتعد حدوده بإصدار ذلك القرار.

[ص ١٩٦٧]

ومع كون هذا المعنى واضحاً وجلياً، فإن مكباتى أنكره! وشد النكير على الوفد فى اختياره، واستعمل لهجة شديدة فى اعتراضه لا يليق أن تصدر من زميل لزميله أو زملائه. وقد قال إنه لا ينفذ مطلقاً قرار الوفد، ويعارض فيه بكل قوة!

ثم ثناه بخطاب آخر ملؤه الحقد والسخيمة، والدعوى الفارغة. ثم بكتاب ثالث أخف منهما، أرفق معه تحويلاً بمبلغ ثلاثمائة جنيه لأن يكون سلفة مستديمة! لا تنفيذاً للقرار، ولكن لأنه عول على أن يتغيب عن باريز بعض الأيام، رافضاً أن يسلمه إلى محمد على بيك الذى تعين لاستلام السلفة!

روح غريبة، وتصور عجيب، وحمق لامزيد عليه! كأن هذا المسكين تخيل أن الخضوع لرأى الأغلبية حطة!

فلما أصر على احتقار رأى الأغلبية، وأبى أن يصغى لوساطة إخوانه، الذين أنفذناهم إليه المرة بعد المرة، وهم: واصف، وحمد، ونحاس ــ لم نر بدا من إقالته من أمانة الصندوق، وتكليفه بتسليم محمد على، الذين تعين مكانه، ما بعهدته.

فلم يفعل، وأصر على المعارضة كل الإصرار!

فاضطررت إلى أن نعلن له أن محمد على تعين مكانه، وأعلنا البنوك باعتباره محله، وتقييد ماعندها من المبالغ باسمه.

فورد إلينا من بنك رومه ما يفيد أنه حول المبالغ المودوعة لديه بصفة كونه أميناً للصندوق إلى اسمه الشخصى! وما كنا نعلم بهذا من قبل!

وتكلمت من حمد باشا ومع نحاس بأن ما فعله لا يليق، ولا ينبغى، ولا نريد أن نظهر شيئاً من الانقسام، ولا أن الوفد عزله، ونحن مستعدون لأن نقبل منه استعفاء للسبب الذى يختاره. فلم يقبل!

فعرضت أنا ــ مع ذلك ــ أن أتنازل عن حق الإذن الذى أعطاه لى الوفد. فلم يقبل!

فعرضنا عليه أن يبقى أمينا للصندوق ولكن النقود تكون فى البنك باسمه، ولا يصرف منها شيئا إلا بإمضاء الرئيس وإمضائه ــ كما هو القانون.

فلم يقبل! وأبى إلا أن يستمر فى أمانة الصندوق من غير شرط ولا قيد، حتى الشروط والقيود التى صرح القانون بها!

[ص ١٩٦٨]

عرضت ذلك عليه بواسطة حمد باشا أولاً، وبنفسى ثانياً، فلم يقبل!

وفى هذه الأثناء، كتب إلى بنك «كريديه ليونيه»، يمنعه من التسليم فى النقود التى عنده إلى أحد غيره، وكذلك منع بنك رومه حتى من أن يعيد الحال إلى أصلها! وكل ما عرض أن يفعله، هو أنه عند حضور محمد محمود من أمريكا، يتنازل له عن أمانة الصندوق!

ولما رأينا منه هذا العناد، صممنا على أن نتركه وشأنه، وأن استحضر نقوداً من عندى للصرف منها على الوفد!

فأرسلت تلغرافيا إلى البنك الأهلى ليرسل مبلغ خمسة آلاف جنيه، فأرسل قيمتها فرنكات مائة ثمانية وثمانين ألف فرنك. ثم إن بنك «كريديه ليونيه» أرسل يستعلم من فرعه بمصر، عما إذا كانت النقود التى أرسلها إليه كل من فؤاد سلطان وإبراهيم سعيد، على ذمة الوفد، وتسلم إلى من تعين أميناً للصندوق محمد على؟

فورد عليه الرد بالايجاب.

وقد كنت أرسلت تلغرافا إلى مرقص حنا، وكيل اللجنة المركزية، بأن هذين الاثنين يحسبان كذلك.

فاتنى أن أذكر أن حمد باشا الباسل، ومصطفى بك النحاس، كانا مخالفين لرأى الأغلبية فى إقالة مكباتى. ولم يكتف نحاس بالمخالفة بل خرج عن حده، متهماً الأغلبية بالأغراض الشخصية، وأنها لم تصدر تلك القرار إلا لهذه الأغراض! وأنه لايشترك فيها ويختم عليها، ولا يشترك فى تنفيذها! فلم نقل له شيئاً، وخرج منفعلاً، مردداً هذه العبارات!

ويظهر لنا أن هؤلاء الثلاثة متحدون معاً على أن يكون رأيهم النافذ فى الوفد، وهم الذين يديرون دفته، وأن غيرهم لا يعتد به من جانبهم!

وأنا لا يمكنى أن أقبل هذا مطلقا.

وأخذوا من ذلك الحين يحضرون مرة، ويتخلفون أخرى! وقد تغيب حمد أكثر، وهو يتجنى علينا فى غيبتنا بأننا نخفى عنه الأخبار! وما أخفينا عليه شيئاً.

ولما استمر مكباتى فى عناده، ورأينا سعيه فى البنوك مخالفا كل المخالفة لما يلزم أن يكون بيننا من التضامن، لم نر أن نشترك معه فى عمل من الأعمال، وأعلنت له ذلك فى إحدى الجلسات. فطلب إثبات ذلك فى المحضر.

ثم بعد بضعة أيام، كتب يعترض على عدم الاشتراك معه فى العمل، ويبدى بعض ملاحظات لا محل لها على أعمال الوفد. [ص١٩٦٩] فكتبت اليه رداً بأن عدم اشراكه فى العمل نتيجه طبيعية

لعدم احترامه قرارات الوفد، ومادام مصراً على المعارضة فلا يمكن أن نسمع له قولاً، ولا أن نبحث له رأياً، ولا أن نقبل منه ملاحظة، ولا أن نشترك معه فى عمل من الأعمال. وإذا كان يعرف فى العالم سلطة يمكنها - مع ضمان انتظام العمل - أن تلزمنا بشئ له، وهو معنا على هذه الحالة، فله الحرية فى الالتجاء إليها، ونحن نقبل حكمها بغاية الاحترام.

فكتب يقول إنه يمكنه[1] الجواب، وإنه يعرف هذه السلطة وهى الأمة، ويطلب الهداية إلى الوقت الذى تصدر فيه حكمها! ويزعم - مع ذلك - أنه يخدم الأمة لآخر نقطة من حياته!

إدعاء كاذب! والذى لم يقبل أن يخضع لرأى الجماعة، توهما بأن فيه ما يمس بشرفه! ولايبالى بظهور الانقسام فى جماعة اعتبرتهم الأمة عنوان تقدمها، وحماة حقوقها، ويتخذ من فرط حرص إخوانه على الاتحاد، وشدة خوفهم من ظهور التمزق فى صفوفهم، وسيلة للبقاء فى وظيفة خلع منها، وإمساك مال الوفد عنه، وحبسه أن يصرف إلاّ برضائه- لا يحق له مطلقاً أن يدعى لنفسه خدمة الوطن، ولا يمكن أن يخدم الوطن بتضحية مصلحته فى سبيل ما يتوهم أنه من الشرف والإباء، وما هو إلا حمق وقلة حياء!

أطلعنا حمد باشا الباسل على خطاب[2] ورد إليه من ويصا واصف، وعلمنا منه أن مكباتى كتب إليه بالحادثة، ويظهر أنه أبدى إليه شدة

---

(١) قراءة إجتهادية.

(٢) عبارة: «على خطاب» ساقطة فى الأصل، وقد أضفناها لسلامة العبارة.

غضبه من أن الوفد قرر أن يكون الصرف بإذن الرئيس، فكان قول ويصا إنه يلزم الخضوع لرأى الأغلبية مهما كان الحال، وإنه ما دام الوفد قرر الصرف بإذن الرئيس، فلا داعى لعدم الخضوع. ونصح حمد باشا، وتوسل إليه كثيراً فى أن يتلافى الخلاف بحكمته.

ولكن ويصا لو عرف الحقيقة، لأدرك أن خطة حمد ونحاس هى التى شجعت مكباتى!

وما بى من ضعف فى أن أقابل هذه الحالة بما يلزمها، ولكن المصلحة العامة فوق الشخصيات. فلنتذرع بالصبر.

ولقد رأيت لطفى وعبدالعزيز معاضدين[1] لى فى هذه الحادثة، ولكن لا ميلا لشخصى ـ فقد سبق أن عضدا محمد محمود ضدى، على خلاف ما تقتضيه مصلحة الوفد، فى مسئلة استخدام مكرم، وسفرى إلى أمريكا، وظهرا فى هاتين المسئلتين بمظهر لا يشرفهما ـ ولكن كراهة فى مكباتى، لأنه كثيراً ما تطاول عليهما، ونسب إليهما أشياء مؤلمة، كاليأس[2] فى عبدالعزيز، والغضب والتلون فى الثانى! وكانا فى ابتداء الحادثة ملازمين لى، وفى الغالب يحضران عندى قبل الظهر وبعده، ولكن بعده، ولكن بعد أن اشتد الخلاف وتمكن، خففا، وما واليا الحضور!

---

(١) قراءة إجتهادية.

(٢) قراءة تقريبية، وقد تقرأ: «كالتعالى».

[ص ١٩٧٠]

واتخذ لطفى بيك خطة عدم المبالاة، وعدم الاهتمام بأنباء الوفد، وسمع محمد على يقول لى - بعد انتهاء مسئلة بنك كريدى ليونيه، واتفاقه على صرف النقود إلينا -: إن لى مبلغ خمسة آلاف جنيه يلزم تسليمها إلىّ عيناً! فحضر إلى فى الصباح مبكراً، وقال: إنى أريد الخلوة معك قليلاً لمسئلة هامة!

وفى الخلوة قال: إن مسئلة الخمسة آلاف جنيه ربما حملت هؤلاء ذوى الألسنة السوء، أن يتكلموا فيك!

قلت: بماذا يتكلمون؟ وما عساهم أن يقولوا؟ ألم يكن إحضار النقود بمعرفتنا جميعاً؟ ألم يكن إحضارها للوفد وعلى ذمته؟ إذا كان الجنيه صعدت قيمته أو نزلت، فلا يصح أن يلحقنى ضرر، والوفد ملزم أن يرد لى مبلغ خمسة آلاف جنيه.

قال: وما الذى فعله شعراوى؟ قلت: شعراوى زعم آخر الأمر أنه كان أحضر على ذمة الوفد أربعة آلاف جنيه، باعتبار الجنيه الواحد ٢٧ فرنك! وكان يساوى فى وقت هذا الزعم ٣٦ فرنك![١] وكانت كل القرائن قائمة على كذب زعمه.

قال: ولكنى أعتقد صدقه!

---

(١) ندعو القارئ إلى المقارنة بين قيمة الجنيه المصرى بالفرنك فى ذلك الوقت، وقيمته وقت كتابة هذه الكلمات! فالجنيه المصرى لا يستطيع شراء فرنكين اثنين! لأن الفرنك ٥٨ قرشا.

قلت: هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً، ولكن الأمر فى مسئلتى ليس كذلك، فإن البنك الأهلى أرسل قيمة الجنيهات بالفرنك، والمطلوب أن تدفع بدل الجنيهات جنيهات ليس إلا، ولا نريد أن نغتنى من الوفد، ولكن لا نريد أن نخسر! على أنه إذا كانت هناك خسارة فهى على مكباتى!

فقال: مادامت المبالغ أرسلت فرنكات من مصر، فالحق معك!

ولكن كان كلامه ـ قبل ذلك ـ ينم عن شك، وقصد نكاية، وانتقام لعلى شعراوى. فرد إليه كيده!

ولقد قال لى، ترويجاً لفتوى مستر باركلى[1]، الذى كان اتفق معه محمد محمود أن يحرر لصالح القضية المصرية فى مقابلة مبلغ ألف جنيه، أخذ منه خمسمائة مقدماً، والآخر تأجل إلى مابعد انتهاء العمل-: إن ماكتبه جيد جداً، وإن مذكرة فولك بجانب كتابته كمذكرات أبى شادى.. إلى غير ذلك من المدح!

---

(١) هو السير توماس باركلى، من كبار القانونيين الانجليز ومشاهير المحامين، والوكيل الأول لمعهد القانون الدولى ووكيل جمعية القانون الدولى.

وقد قابل سعد زغلول وبعض أعضاء الوفد مرات للاستعانة به فى الدفاع عن القضية المصرية. وتم الاتفاق على أن يوجه اليه الوفد أسئلة فى شأن الحماية، ويقدمون معها مستندات القضية وتطوراتها، على أن يجيب السير توماس باركلى على هذه الأسئلة فى شكل فتوى. وقد قدمها فى نوفمبر ١٩١٩، ويقضى فيها بأن الحماية البريطانية وقت الحرب كانت «ضرورة حرب، وبقاؤها بعد انتهاء الحرب غير مشروع، وان مصر، بانفصالها عن تركيا نهائيا، تكون مستقلة شرعا».

(المسألة المصرية والوفد. ص ١٥٩ - ١٧١)

ولكن لم أجد شيئاً من ذلك عند قراءتها، بل وجدتها ركيكة، مفككة، وليس فيها مما ذكره[١] إلا القليل، ولا يمكن أن تستميل القارئ إلينا.

ثم قرأناها معا، فكنا كلما قرأنا شيئاً، وأريناه محلاً للنقد، ولا يجد له جوابا، يقول: صبرا، حتى نقرأ ما بعد! وأحياناً يقول: إن هذا كلام حكمي ولا شئ من العلم فيه.

ثم أخذ الكتابة، وردها إلى صاحبها، وعدّل فيها، ثم قرأناها معه ومع عبدالعزيز، وأبدينا فيها كثيرا من الملاحظات، التي إذا عمل بها، خرجت الفتوى مقبولة نوعا، ولكنها ليست هي المنشودة، ولا التي تضاهي فولك[٢] أهمية، فضلاً عن كونها تأتي متأخرة.

[ص ١٩٧١]

وكان لطفي يريد أن تقبل على كل حال، لأن همه أن يستولي ذلك الرجل على باقي الأتعاب، إرضاء لصديقه محمد محمود صديق باركلي الحميم.

ومن هذه الحادثة وغيرها، يمكنني أن أقول: إن هذا الرجل لا يمكن أن يعتمد على صدقه أصلاً.

---

(١) قراءة تقريبية.

(١) في الأصل: فلك.

٣٣٣٤

١٨ ديسمبر

أصبح مركز مصر حيال انجلترا من أدق المراكز وأحرجها، لأن جميع الدول ـ حتى أميركا ـ نفضت يدها من هذا القطر! والتى لم تسلم إلى الآن فيها لانجلترا، إنما تريد المساومة لمصالح لها، فإذا تسوت هذه المصالح ـ ولابد أن تتسوى ـ انتهى الأمر!

والأمة المصرية أصبحت لا تطيق الحكم الانجليزى، وتعتمد، فى إنقاذها منه، على الدول الأجنبية، وعلى سعى وفدها لدى هذه الدول. وهذا السعى إن لم يخب للآن، فمحكوم عليه بالخيبة ـ بالأقل لحد أن يحدث انقلاب فى السياسة العامة!

فما هى الخطة التى يجب أن نسلكها لأنفسنا وللأمة؟

أما أنفسنا، فإنه فضلاً عن عجزنا عن استمالة حكومات الدول، فإننا منقسمون بيننا انقساماً حقيقياً، إذا لا وجود لثقة بيننا! وكل منا له وجهة لا تلائم وجهة الآخر! وفينا من لا يعرف للآن أبسط مبادئ الاجتماع! ومن ليس فيه الذوق السياسى، ولا يشعر أنه مجرد منه، بل يعتقد أنه مملوء منه!

ولم يخلق الله هيئة اشتملت على عوامل التفريق أكثر من هيئة الوفد! ولا مجموعاً أفراده شتى أكثر من مجموعة الوفد!

ولا يتأتى أن يأتى خير على يد مثل هذا المجموع! وإن استمر باق فى استمراره ممثلاً للأمة، نائباً عنها، وهو على هذه الحال من التنافر

والتخاذل، كان[1] غشاً لا يغتفر! ولكن انحلاله فيه انهزام كبير للأمة، وسقوط بها إلى الدرك الأسفل، وإسلام لها إلى الأعداء يسومونها الخسف والعسف والذل والهوان! وهذه جناية لا تغتفر!

وأما الأمة، فالرأى عندى أن لا يعتمد ـ فى إظهار عدم رضائها بشيء من الأشياء على المظاهرات الإيجابية، بل وعلى[2] المظاهرات السلبية، كإغلاق الحوانيت، والاعتصاب عن العمل، حتى التوقف فى دفع الضرائب![3]

---

(١) أضيفت «كان» لسلاسة العبارة.

(٢) فى الأصل: «على»، وقد أضفنا «بل» لأن المعنى يقتضيه.

(٣) نعتقد أن التحليل المؤثر الذى كتبه سعد زغلول يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٩ فى هذه المذكرات، هو أصدق تحليل للموقف، ويبرهن على إخلاصه وزعامته الحقيقية للأمة، وصدق تمثيله لها، وزيف الآخرين من زملائه الذين كشف مواقفهم، وتغلب الأهواء عليهم، ووصولهم فى الخلاف إلى درجة العناد الضار بمصلحة القضية الوطنية. كما حدث من عبد اللطيف المكباتى، الذى حول أموال الوفد فى البنك إلى حسابه الشخصى، نكاية فى الوفد لخلعه من أمانة الصندوق، مما اضطر سعد زغلول الى جلب خمسة آلاف جنيه من حسابه فى مصر للانفاق على نشاط الوفد فى باريس.

والمهم فى نهاية هذا التحليل من جانب سعد زغلول هو ما انتهى إليه من أن الحل يكمن فى المقاومة السلبية، كإغلاق الحوانيت، والاعتصاب عن العمل، والتوقف عن دفع الضرائب، وهذا هو أساس معركة مقاطعة لجنة ملنر! وهى المعركة التى أسقطت الحماية بعد أن نجحت انجلترا فى الحصول على موافقة جميع الدول عليها. كما أنها هى المعركة التى أسقطت فكرة «دولية المسألة المصرية» التى برزت مع معاهدة لندن ١٨٤٠، واستمرت حتى أنهتها معركة مقاطعة لجنة ملنر.

٣٣٣٦

[ص ١٩٧٢]

كان مدير «الديبا»[١] دعى بعض الأعضاء للغداء معه، وفوض إلينا تعيينهم. فرجونا لطفي أن يكون معهم، فقال: إنه سينظر فى المسئلة. وفرض عند وجوده أن لا أجعل العلاقة مع مكباتى وحده، بل تكون مع غيره، وأن تكون هذه فرصة يتعرف فيها على رجل كاتب شهم[٢] نريد أن نستخدمه. فجاء لطفى الليلة، وقال إنه كتب يعتذر عن حضور ذلك الغداء! فلم أقل له شيئاً.

ثم قال: وهل من الضرورى أن نحضر فى الوفد كل يوم؟ وبعبارة أخرى أن ينعقد فى كل يوم مرة؟

وأخذ كلّ يقول فى هذا الموضوع قوله، وأنا ساكت!

فقال لطفى: وما رأيك؟ فقلت: إن من يعتبر الحضور سخرية[٣]، فله الحرية في أن لا يحضر!

قلت هذا، لأنى أشعر بأن شيئاً من الملل والكسل اعترى لطفى، حتى ليكاد يستقر به المكان، حتى تراه قلقاً يريد الانصراف! ثم هو لا يعطى مسألة تطرح للبحث حقها من الاهتمام!

---

(١) صحيفة فرنسية.
(٢) وقد تقرأ مهم.
(٣) يقصد به عملا من أعمال السخرة.

ولاحظت له ذلك مرة، فاستاء من إجابتى، وقال: مادام الأمر كذلك، فإنى أعدل عن كلامى، وأسترد استفهامى!

فلم أقل شيئاً! واستمر هو واجماً حتى الانصراف، فسلم سلام الجفاء.

وحضر بعد انصرافهم مصطفى النحاس. فأوسعته تعنيفاً على موافقته لمكباتى، وبينت له خطأهما فيه!

فلم يجد من جواب سوى أن قال: إن تمسككم بالقانون، شعار يخفى وراءه عدم التعويل على رأى الأغلبية[1]، لأن فيها من خفف(.....)[2] .

قلت: علة أضعف من المعلول! وتفسير قبيح بما هو أقبح!

وقلت: إن هذه الطريقة طريقة عرجاء، خصوصاً وأنكم جعلتمونى ضدكم! ولا يمكن لكم أن تخدموا القضية بهذا الخروج عن حد المعقول!

ثم وصيته أن يوصى حافظ، وويصا، ومكرم، أو من يمكن منهم أن يسافر، وأن يجتهد فى منع المظاهرات فى الشوارع، إلا عند المناسبات الهامة، ولا تتكرر، لأن فى تكرارها ابتذالا، والابتذال يحط من قدرها، ويقلل من أثرها، بل يعكس الأمر، ويجعلها هزءاً، خصوصاً فى أعين الأجانب.

---

(١) أى عدم تعويل المكباتى على رأى الأغلبية.
(٢) كلمة غير مقروءة.

٣٣٣٨

ثم قلت له: إن الوطنية ليست فى الدعوى بها، بل فى التضحية لأجلها! وليس من الوطنية فى شىء أن يتخذ مكباتى فرط محافظتنا عليها ما يرضى به شهواته!

[ص ١٩٧٣]

فقال: إن مكباتى لم يفعل ما فعل، وعاونوه عليه، إلا لأنه لا يريد أن يخضع لأغلبية فيها من لا ثقة له بهم! ومخالفة القانون اتخذت حجة فقط.

فقلت: عذر أقبح من الذنب! إن مخالفة الأغلبية ـ مهما كان أفرادها ـ مخالفة للقانون، وللمبدأ الأساسى فى تكوين الجماعات. وقد فاتكم أنى مع هذه الأغلبية! ولا يمكن للأقلية، مهما كانت قوتها أن تنفذ رأيها على الأغلبية! وإن هذه خطة خرق وحماقة.. إلخ!

فى ٢٠ منه

سافر أمس مساء مصطفى النحاس عائداً إلى مصر، عن طريق مرسيليا. ولم يحضر عندى إلا متأخراً ـ أى الساعة سبعة. فدفعت إليه خطابا إلى سعيد[١]، وخطاباً من الست إلى مدام[٢] طاهر اللوزى، مع علبة فيها صورة هذا الأخير مصغرة.

---

(١) يقصد: سعيد زغلول.

(٢) فى الأصل: مادام.

وقد كان لطفى تأخر عندى حتى حضر، وقبله ـ عند الوداع ـ قبلة الود والإخاء، وامتدحه، بعد انصرافه، مدحاً أشك فى صدقه، وفى أنه يسوقه لسبر غورى من جهته، لا إعجاباً به!

فاتحنى لطفى عاتباً بالنسبة لما صدر منى له فى مسئلة الحضور فى الوفد، فأرضيته، وانصرف راضياً.

ورد تلغراف من محمد محمود أمس، يقول فيه: إن جواب لانسنج وزير خارجية فرانسا[1]، إلى «أون»[2] تضمن العبارة الآتية: «إن اعتراف أميريكا بحماية إنجلترا لمصر، كان مصحوباً بتحفظات. ولا شك فى أن انجلترا ستنفذ ما وعدت به السلطان حسين فيما كتبته إليه بتاريخ ١٨ ديسمبر، ونشر فى التيمس بتاريخ ٢١ منه»[3].

---

(١) لانسنج هو روبرت لانسنج Robert Lansing وهو وزير خارجية الولايات المتحدة، وليس وزير خارجية فرنسا كما كتب سعد زغلول، وهى سقطة قلم.

(٢) المستر أون هو عضو مجلس الشيوخ الأمريكى.

(٣) فى الواقع أن ما وعدت به انجلترا السلطان حسين فيما كتبته إليه بتاريخ ١٨ ديسمبر، لا قيمة له من الناحية الفعلية. فقد وعدت بزوال القيد الذى يحدد عدد الجيش المصرى بـ١٧ ألف جندى، مع أن هذا القيد كان قيدا اسميا، وكانت مصر قبل الاحتلال حرة فى زيادة عدد جيشها كما تشاء. كما أعطت للسلطان الحق فى الانعام بالرتب والنياشين، وكان ولى الأمر فى مصر يتمتع بحق الانعام بها كما يشاء، كما أن هذا الحق لا قيمة له ولا يدل على استقلال. ووعدت بالتدرج فى اشراك المحكومين فى الحكم بمقدار ما تسمح له حالة الأمة من الرقى، وهو استمرار لسياسة بريطانيا بعد الاحتلال فى حرمان الشعب من دستور ليبرالى حقيقى بحجة عدم أهلية البلاد للاستقلال والدستور. والوعد المهم هو ما يختص بالغاء الامتيازات الأجنبية باعتبارها «لم تعد ملائمة لتقدم البلاد». ولكن هذا الوعد اصطحب «بتأجيل النظر فى معاهدات الامتيازات الأجنبية إلى ما بعد الحرب». وقد تبينت مصر بعد الحرب أن انجلترا لا تنوى إلغاء هذه الامتيازات الأجنبية، بل تريد نقلها من يد الدول صاحبة الامتيازات إلى يدها منفردة!

٣٣٤٠

وأضاف محمد محمود بأن هذا الجواب أثر تأثيراً حسناً فى «السيناتو»[١]، وجعل المترددين فى نظام مصر على علم منه، والعبارة الأخيرة منه تضع إنجلترا فى مركز حرج». وقد نشرت «الديلى نيوز» ما يفيد أن تلك العبارة الأخيرة هى أن إنجلترا لابد أن تنفذ ما وعدت به ذلك السلطان من المحافظة على حرية مصر واستقلالها.

وفى تلغراف محمود نقص من عدة جهات:

أنه لم يبين كيفية ذلك الجواب؟ إن كان بناء على سؤال وجه إلى قائله فى مجلس الشيوخ شفاها، أو بالكتابة خارجه[٢].

وثانياً لم يوضح تاريخه.. إلخ.

اجتمع الوفد اليوم، ولم يغب إلا حمداً. ولم يقرر شيئاً يستحق الذكر.

---

(١) أى مجلس الشيوخ الأمريكى.

(٢) كان السناتور أون قد كتب فى الوزير لانسنج بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩١٩ يسأله عن معنى اعتراف أمريكا بحماية انجلترا على مصر، وعما إذا كان المعنى هو أن الولايات المتحدة لم تعترف لانجلترا بسيادة على مصر، ولا بسلب شىء من حقوق المصريين فى السيادة والاستقلال؟.

(مذكرات عبد الرحمن فهمى، الجزء الثانى)

٣٣٤١

وعلمنا من محمد على أن جميع أعضاء «الجمعية المصرية»[١] كانوا فى المحطة لوداعه، وأن مكباتى سلمه خطابا مشتملاً على ١٤صحيفة، يظن أنها تشتمل على حادثته. والخطاب لويصا، وحافظ، ويمكن على ماهر!

[ص ١٩٧٤]

فى ٥ يناير ١٩٢٠

عاودنى من منذ أكثر من أسبوع، انحراف الصحة، وبعد أن كان السعال زال، عاد، ولكن أخف من الحالة السابقة، واشتد علىّ أمس واليوم. وفى الجهة اليمنى أشعر بألم فى الصدر كلما تنفست أو سعلت. وأشير علىّ بكاسات مساء، سأستعملها اليوم عند النوم.

---

(١) الجمعية المصرية هى جمعية نشأت بعد وصول «ولسن» إلى باريس بأيام، وكانت تعمل للدعاية لاستقلال مصر، ولما اعتقل سعد ورفاقه أرسلوا احتجاجات إلى جميع رؤساء الأحزاب والجهات السياسية. وكانت مكونة من الدكتور محمد والى رئيسا، والدكتور شافعى، ومحمد سعيد، وهو دكتور فى الحقوق، وعباس وهبى المهندس، وهو نجل عبد الله باشا وهبى، ومحمد صبرى (الدكتور محمد صبرى السربونى فيما بعد) وصبرى الخولى، وميشيل توما من الحقوق، ومختار النقاش، وأحمد السيد وهو ليسانس فى الحقوق، وخليفة بوبلى وهو مهندس وحقوقى، وطراف، وهو مهندس وأنطون فرح، وهو مهندس زراعى، وعبده جودة، ليسانس حقوق، وغيرهم، وقد انضم إليها محمود أبو الفتح. وكان علم الجمعية يمثل اتحاد وعناصر الأمة الثلاثة. فتضم رقعته الحمراء: الهلال والصليب والشعار الاسرائيلى. لم يكن علم مصر قد نشأ بعد، وانما كان اللون الأحمر لون العلم العثمانى).

٣٣٤٢

فى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩١٩، وردنى تلغراف من عدلى يقول فيه: «أرجوك كل الرجاء أن لاتبت رأياً فى إعلان لجنة ملنر، حتى يصلك خبر مع مخصوص».

وما كان لى علم من قبل بشئ عن هذا الإعلان! ولكن جرائد لوندره أشارت إليه إشارة خفيفة، بأن قالت، فى يوم ٢٨ منه، إنه سيصدر.

ثم وردنى من مرقص حنا، وكيل لجنة الوفد فى مصر، تلغراف بما أبدته اللجنة من الرأى فى هذا الإعلان.

فأرسلت إليه فى الحال تلغرافاً بطلب نصه.

وعقب إرسال هذا التلغراف، ورد النص، وحاصله: إنه لا صحة لما أشيع من أن اللجنة جاءت مصر لكى تحرم المصريين من حقوق كانت لهم من قبل، ولكن الحكومة[١] عينتها بتصديق البرلمان[٢]، لكى توفق بين مصالح انجلترا العامة، وحقوق الأجانب الشرعية، وأمانى المصريين، باتفاق يتم بينها وبينهم. وإنها تريد، للقيام بمهمتها، أن تأخذ رأى الهيئات النيابية، والذين يهتمون بخير بلادهم، من غير أن يكون عند هؤلاء خوف من إبداء ما عندهم من الآراء بكل حرية من غير أن يتقيدوا بشئ خاص، ولا يرتبطون بما يقولون، كما لا ترتبط اللجنة بشئ من سماعهم. وإنه إذا لم يحصل تبادل الآراء بتمام الصراحة، فلا سبيل لإزالة سوء التفاهم، وحصول الاتفاق».

---

(١) يقصد: الحكومة البريطانية.
(٢) أى: مجلس العموم.

فوجدت أن هذا الاعلان لا يختلف عن سابقه، وأنه يفرض تبعية مصر لإنجلترا.

ولافائدة من كونه وسع نطاق المناقشة مع كونه حدد الغاية منها! (وهى الوصول إلى وضع نظام للحكومة وفق الحكم الذاتى)[1].

نسيت أن أدرج فى التلخيص هذه الجملة: «ورد من مرقص أن لجنة الوفد المركزية أجابت بأن توسيع أساس المناقشة لا يفيد، مادام أنها ستكون مع الشعب الذى لا يريد شيئاً سوى الاستقلال التام، وإن المخابرة يلزم أن تكون مع الوفد».

فأرسلت إليه بأن الوفد يوافقه.

حمد باشا كان انقطع عن الحضور من عدة أيام، وانضم إلى «الجمعية المصرية» من غير علم منا!

فبعثت إليه يوم ٣ يناير. فحضر فى نفس اليوم، ولاحظت له غيابه! فقال:

إنه رأى أن أمور الوفد تخفى عليه، ولكنه لم يتبين منها إلا مسئلة جملة فى خطاب من محمد محمود.

وإن رأيه لم يكن نافذاً فى الوفد ولا محترماً! [ص ١٩٧٥] وإن انضمامه [ص ١٩٧٥] للجمعية المصرية لا منافاة بينه وبين كونه عضوا فى الوفد.

---

(١) كلمة: «وفق» قراءة اجتهادية من السياق، وقد كتبت «فق» بدون واو. وكان سعد زغلول قد فهم من عبارة Self governing institution أنها تعنى: الحكم الذاتى.

وأومأ إلى أنهم أعلنوا انضمامه من غير علم منه، وأن اشتغال أخيه عبدالستار فى مصر بها، لأجل مساعدتنا على جمع النقود. وأنها مؤلفة من شبان نابغين يرتاح إليهم.

فأبنت له وجه خطئه[١]! وأن التحاقه بشبان ليس منهم، فى غير محله، وأن لهم عملهم وللوفد عمله، ولكل وسائل[٢] تناسبه، ورأى يكتب به، وما يقبله رجل لا ينبغى لرجل آخر أن يفعله.. وغير ذلك مما يؤثر. ولكنه لم يتأثر!

ومع ذلك، فقد أظهرت فى الآخر الرضا، وقلت له: الأولى أن مكباتى يترك العناد، وينضم إلى إخوانه، لأن الوقت عصيب، والاتحاد خير وسيلة للنجاح.

فأظهر الضجر، ووعد بالعمل. ولكنه وعد غير منجز، ولا منفذ!

وبعد انصرافه، وردت تذكرة من مجد الدين ناصف[٣]، مكتوبة على أسلوب خال من الأدب، ومملوء من الرقاعة، يقول فيه: إن الجرائد والأخبار سارت بأنى سأدخل فى الوزارة، وتفاوضت مع لجنة ملنر على

---

(١) فى الأصل: خطأه.

(٢) قراءة تقريبية.

(٣) هو مجد الدين حفنى ناصف، من شباب الحزب الوطنى ومن المتحمسين لمحمد فريد، وقد ألقى فى تحيته قصيدة حماسية فى حفل تكريم أقامتها له الشبية المصرية بانجلترا يوم ٢١ فبراير ١٩١٤ فى فندق سافواى، تحت رعاية جمعية أبى الهول بلندن. وهو أخو عصام الدين حفنى ناصف اليسارى المعروف الذى لعب دورا مع حسنى العرابى والدكتور عبدالفتاح القاضى فى الثلاثينيات.

قاعدة الحماية، واستقبلت فى بيتى قنصل إنجلترا! وإنه مستعد لتكذيب هذه الأخبار، والوفد يجب عليه أن يحدد خطته إلخ!

وفى اليوم التالى ـ أى يوم ٤ يناير ـ بعد الظهر، وردنى جواب من الجمعية المصرية، بإمضاء رئيسها والى[١] الكبير، مملوء من الوقاحة وقلة الأدب، يتدفق الحقد واللؤم من خلال سطوره.

ومن ضمن ما فيه: أن إشاعات مختلفة مخجلة شاعت عن مركز الوفد فى خصوص ما نشر فى الجرائد الانجليزية والاشاعات، عن مفاوضات لجنة ملنر، وقبولى للوزارة، وسفرى من باريس! وإن الجمعية تريد معرفة الحقيقة، وإن استفهامات تتوارد عليها من مصر ولوندره وغيرهما من الجهات، تستفهم عن هذه المسائل إلخ إلخ.

ولم نتم قراءة هذه الرقعة الرقيعة حتى دخل حمد، فدفعتها إليه، وكذلك تذكرة ناصف! فقرأ الاثنين ولم يفه ببنت شفه! ولم أرد أن أسأله بعد ذلك شيئاً. وبعد هنيهة انصرف.

وتقابل أمس مع محمد على[٢] وكان معه طراف،[٣] أحد أعضاء الجمعية المذكورة، فسأله عما إذا كان لم يحصل تكذيب لهذه الأخبار؟ فقال له: لم يتقرر شئ بعد! واستضعفت هذا الجواب!

---

(١) الدكتور محمد والى، وهو طبيب وشقيق جعفر والى باشا.
(٢) أى محمد على علوبة.
(٣) طراف على باشا فيما بعد، وهو مهندس، وعضو «الجمعية المصرية» بباريس.

٣٣٤٦

نشرت الجرائد الإنجليزية أن ستة من الأمراء المصريين أعلنوا الشعب أنهم منضمون إلى الحركة الوطنية، ومنهم عمر طوسون، وكمال الدين حسين.(١)

فأول ما خطر ببالى، أن ألقى هذا الحمل عن عاتقى إلى عمر طوسون! وذكرت ذلك لحرمى، فاستحسنت! كما استحسن عبدالعزيز [ص ١٩٧٦] فهمى! واستنكره واصف غالى ومحمد على، لعدم أهلية عمر طوسون.

وكتبنا تلغرافاً للجنة المركزية بالسرور من انضمام الأمراء. ثم لم يحضر حمد، لا أمس ولا اليوم!

وحضر لطفى اليوم، وقال: لابد من السفر، طلبنا أو لم نطلب، لأن المكث هنا لا فائدة منه، وفيه خطر، أقله اتساع الانقسام، ثم ظهوره للناس!

وقرأ على مشروعاً وضعه لما بعد السفر، فيه عرض تأييد انتخاب السلطان من العلماء، والرؤساء الروحانيين، وأعضاء الهيئات النيابية. ثم انتخاب إدارة وهيئة تشريعية. وبعدئذ تحصل المفاوضة بالطريقة الشرعية.

---

(١) أما بقية الأمراء فهم: محمد على إبراهيم، ويوسف كمال، وإسماعيل داود، ومنصور داود. وقد ورد فى مذكرة الأمراء للورد ملنر: «إننا نقدم لكم هذه المذكرة لتحيطوا علما أننا لا نقتصر على الموافقة التامة على جميع مطالب الأمة المصرية، بل ننضم إليها ليكون منا جسم واحد للمطالبة بحقوق وطننا والتمسك بالاستقلال التام مصر.

فلاحظت له على القضية الأولى! فقبل حذفها.

وإني أميل كل الميل إلى السفر، ولكنه يكون أحسن إذا كان بناء على دعوة.

١٢ يناير ١٩٢٠

كان ورد تلغراف من مرقص حنا مؤرخ ٣٠ ديسمبر، بأن عضواً من الوفد سافر مع تقرير عن الحالة. ولكن لم يصل هذا العضو إلى الآن.

وذكرت الجرائد الانجليزية أن على بيك ماهر سافر يوم ٨ منه إلى هنا.

عبدالعزيز ولطفى يميلان كل الميل إلى العودة للمفاوضة، ويبذلان أقصى الوسع فى إقناعى بفائدتها.

وحدث أمس نوع من المناقشة الحادة، غضب فيها لطفى، وأظهر غضبه، وأظهرت كذلك غضبى! ولكن عبدالعزيز كان أحلم منى ومنه.

وقد ورد على خطاب من مكباتى مؤرخ يوم ١٠ ، مشحون بالمطاعن على وعلى لطفى وعبدالعزيز!

ويؤخذ منه أنه أخذ، من يوم وقع الخلاف بيننا، يذيع إشاعات السوء عنى وعنهما. فهو يقرر فى الأوهام أنى أميل للإنجليز، وأضمر الميل لهم لكى أكون وزيراً!

وقد أظهر لطفى الاستخفاف، ومنعنى غير مرة من قراءة هذا الخطاب، بحجة كونه لا يشتمل إلا على سخافات! ولكنى على حال من لطفى لا تسمح لى بالركون إلى رأيه دائماً!

وقد خطر ببالى أن أحسن طريقة هى أن يحصل التفاوض بواسطة ثروت وعدلى، ولكن العاصيين ـ على ما يقول مكباتى[١] ـ يرفضان كل رأى لا يرمى إلى السفر.

ولقد عجبت من بلاهتى وعبطى: كيف أبذل ثقتى لمن لا يستحقها؟ وأظن الوفاء فى الغادرين؟ وأعتمد على من لا خلاق لهم مثل مكباتى؟ كيف ساغ لى أن أعتقد فيه الصراحة وسلامة النية، وهو أخبث الناس نية؟ وما مظهر الصراحة فيه إلا فخ يصطاد به عقول الأغبياء أمثالى! إن هذا الرجل لا ذمة له، فإنه يحلل ـ فى قضاء شهوته ـ كل محرم، ويبيح كل محظور! [ص ١٩٧٧] ولا يبعده عن ارتكاب أكبر الجرائم إلا الخوف، ليس فيه شئ من عفة، ولا من وفاء الذمة، ولا من معرفة الجميل، يتجنى على الأبرياء.

كان هذا الرجل، عند قيام الحركة، خاملاً فى بيته، مريضاً فى فراشه، فدللت إخوانى عليه، وعرضت انضمامه إلينا، فقبلوا على مضض من بعضهم.

وفعلت ذلك لكونى كنت أحسن الظن فى إخلاصه، وإن كنت أرى فيه غباوة وعناد!

ولم يصدر منه، فى المدة التى مكثها الوفد بمصر، شئ منفر، ولم يظهر بمظهر القائد لإخوانه، الميال للتغلب على آرائهم. ولم يكن له رأى

---

(١) أى: كما يطلق علهما بكباشى، وهى: أحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى.

مـعـدود، ولا عـمل مـفـيـد، ولكنى أرشـدت عنه لكونه عـضـواً فى الجمعية[١]، ولكونى ظننت أن إخلاصه كاف فى ضمانه!

فلما قدم الوفد إلى باريز، أخذ يظهر نفسه، ويتصدر الطعن على إخوانه، وبيان أغلاطهم! ومازال حاله يبدو يوماً فيوماً، حتى تعين أميناً للصندوق. وكنت أنا الذى اقترحت ذلك وساعدت عليه، لأن العاصيين كانا ضدى، وعاملين على معاكستى، فلم أرد أن أعين منهما أحداً، وتظاهر هذا بتعضيدى فى السفر إلى أميركا الذى كانا معارضين فيه أشد المعارضة!

نشرت «الديبا» أمس محادثة، جاء فيها أنه لم تحصل مخاطبة للآن بينى وبين لجنة ملنر، وأنه لا صحة لما أشاعته الجرائد الإنجليزية من دخولى فى وزارة مصرية، لأنى لا أبغى أى مركز تحت الحماية مهما كان عاليا.

فى ١٤ منه الساعة الثالثة بعد الظهر:

اتفقنا أمس فى غياب واصف، أن يعود الوفد إلى مصر، مهما كانت أقوال الحاضرين من مصر من أعضاء الوفد.

ولقد ورد تلغراف أمس من مرسيليا، بأنهم وصلوها. ولكن لغاية الآن لم نر واحداً منهم. وهم ـ فيما يقال ـ ثلاثة، ولا ندرى من هم؟ ولم نخبر باسم واحد منهم، ولكن الجرائد الإنجليزية ذكرت اسم على ماهر! ولا ندرى لعدم إخبارنا بأسمائهم من سبب!

---

(١) أى الجمعية التشريعية.

٣٣٥٠

ومن رأى عبدالعزيز ومحمد على أن لا ينفق على واحد منهم من نقود الوفد، لأن ذلك مخالف للائحته. وزد على ذلك أنه يجعل بين الأعضاء تمييزاً غير محمود.

ولقد بت أمس وأول أمس مفكراً، فتارة أميل إلى العودة، وأخرى إلى البقاء! وهما أمران أحلاهما مر، وأسهلهما صعب. لأنهما بين فريقين: فريق المتهورين المتفائلين، وفريق المتشائمين القانطين، ولا ثقة لى بواحد من الفريقين!

وقد أصبحت فى الحقيقة وحدى، لا يمكنى [١٩٧٨] التعويل على أحد من صحبى. وأخشى إذا امتد الأمر، أن ينكشف حالنا من الانقسام! وفى هذا ضرر فاضح.

كما أخشى أن يشوش المتهورون أمر العودة، ويتقولوا الأقاويل ـ إذ لا ضمير لهم!

وإذا كان فى العودة ستر للفشل الذى صادفناه، وللانقسام الذى كتمناه لحد الآن، ففى البقاء كل الفشل، وظهور الانقسام!

ولكن الأمر الوحيد الذى يشغل بالى، ويجعلنى أتردد فى العودة كثيراً، هو أنى أرى أن الانجليز الآن فى مأزق حرج من المقاطعة يريدون الخروج منه بأى حيلة، على شرط أن لا يتنازلوا عن شئ من مطامعهم. فمتى حصلت المفاوضة معهم، خرجوا من هذا المأزق، وربما تمكنوا من شطر الأمة! وفى هذا كسب عظيم لهم.

أما إذا استمرت المقاطعة، واستمر الإباء عن مناقشتهم، فإنهم يضطرون، عاجلاً أو آجلاً، إلى التسليم.

إنهم، من الآن، يعدون فوزاً للجنة محادثة عدلى وثروت، مع أنه لم يكن فى هذه المحادثات شئ يرضيهم، فكيف بهم إذا عاد الوفد للمفاوضة؟ إنهم لاشك سيقولون لأمتهم: إن لجنة ملنر نجحت نجاحاً باهرا! وحينئذ يمكن أن ينفذوا ما يشاءون، بدعوى أن اللجنة أخذت رأى الأمة! وربما افتروا علينا الأكاذيب!

ثم حضر على ماهر، دون غيره، ومعه تقرير من لجنة الوفد المركزية، بأن الرأى العام على أن إعلان ملنر لم يغير شيئاً من الحالة، ويجب الاستمرار فى المقاطعة. وعن عدلى وثروت ورشدى، ويرون عودة الوفد كله، أو بعضه، للمناقشة، والتروى فى شروط المفاوضة.

وقد تداولنا ملياً، وقر الرأى على موافقة لجنة الوفد المركزية، وعلى أننا مستعدون للمفاوضة إذا أعلنت لجنة ملنر أنها مأذونة فى مباشرتها مع الوفد «بصفة كونه ممثلاً للأمة» للوصول إلى وضع اتفاق، يضمن استقلال مصر التام ومصالح إنجلترا فيها. وأرسلنا هذه التلغرافات إلى عدلى. ثم أرسلنا بتفصيل رأينا وأسبابه، إلى كل فرد من اللجنة المركزية، وهما مكتوبان بقلمى.

٣٣٥٢

فى ٢٩ منه

انقطع عبدالعزيز فهمى، وقدم استعفاءه بحجة كون على ماهر أخبره بأنهم يعتبرونه فى مصر ضعيفاً. فمزقت الاستعفاء، ورجوته كثيراً فى البقاء، وأكدت اليمين بأنى أتبعه إذا أصر [ص ١٩٧٩] على رأيه.

ثم فى الليلة التالية، سلمنى ورقة تضمنت صورة الاستعفاء، ثم إصراراً على الاعتزال عن إبداء الرأى، والاستعداد للاشتراك فى الأعمال الأخرى، مع تحمل مسئولية ما يصدر منا من القرارات فى الشئون المختلفة.

وبعد ذلك حضر لطفى، وكنا كلفناه بأن يكتب الرد على تقرير لجنة الوفد والوزراء. وقال: إنه لم ير اليوم عبدالعزيز ولا أمس! وهو قول لم يتعوده، ولم يسبق أن كلف بلقاء عبدالعزيز!

ثم قال: إنه رأى ضرورة أن يسافر بعض أعضاء الوفد، للاتحاد مع الوزراء[١] فى اختيار الوسائل للمفاوضة. وأخرج من جيبه ورقات كتبها بالأدلة التى تقنع بهذا الرأى!

---

(١) أى مع عدلى وثروت ورشدى. ونلاحظ هنا بداية الانحياز إلى هؤلاء الوزراء، والذى أدى إلى انشقاق الوفد الشهير فى ٢٩ أبريل ١٩٢١ الذى اعتبر سعد فيه كلا من حمد الباسل، وعبد اللطيف المكباتى، ومحمد محمود، وأحمد لطفى السيد، ومحمد على علوبة «منشقين». وانضم إلى هؤلاء من أعضاء الوفد: عبد العزيز فهمى، وحافظ عفيفى، وعبد الخالق مدكور، وجورج خياط.

فلم أوافقه، ورأيت أن القصد من هذا الرأى انتداب عبدالعزيز لهذه المأمورية! خصوصاً وأنه كان عرضه من قبل. فمزق ورقاته.

ولم نرتح لما كتبه فى اليوم التالى رداً على تلك التقارير.

وانقطع عبدالعزيز من ذلك الحين! ولما فاتحت لطفى فى شأن انقطاعه حتى عنى، دافع عنه، وقال: لاشىء عنده منك أصلاً يحمله على الانقطاع عنك!

ولكنه لم يحضر، مع كونه كان مر بالقرب من المنزل، حيث زار مكباتى وعلى ماهر!

انتهت مسئلة مكباتى وحمد باشا بواسطة على ماهر.

نشرت الجرائد أن موسيو كليمنسو فى نيته أن يزور مصر فى هذه الأيام. وذلك كان تجديداً لإشاعة ذاعت من بضعة أشهر قبل استعفائه.

فتحدثنا فى هذا الأمر، ورأينا أن نكتب له كتاباً مفتوحاً، نلفته فيه إلى أن زيارته ربما أحدثت ما يكره! ووضعت صيغة لهذا الخطاب، كما وضع لطفى صيغة أخرى.

وتصادف أن تكلمنا فى هذا الخصوص مع بعض الفرنساويين كموسيو (.....)[1] وموسيو دى مينزون، على غداء، كنا أعددناه فى أوتيل كلارنج يوم السبت الماضى. وفهمت منهم أن مقابلة هذا الرجل

---

(١)اسم غير مقروء.

بما يكره يسىء الفرنساويين، ولا يجلب لمصر فائدة[١]. وأن الأهــم أن يحمل بطريقة خصوصية[٢] على عدم السفر. وكان هذا الرأى الأخير أبداه لطفى وعلى ماهر، فاستحسناه، وتكفل موسيو دى فاليس[٣] بــأن يكلم فى ذلك مانديل رئيس مكتبة (..)[٤].

ومن طرف آخر، أخبرنى لطفى أن موسيو باركلى يعرف ابراهيم من المقربين إلى الريس. وبعد يوم أخبر لطفى أن الرجل عدل عن السفر.

ولكن موسيو دى فليس[٥] مدير «الدييا»، حضر عندى يوم الثلاثاء ٢٨يناير، وأخبرنى بأنه[٦] يريد أن يقابلنى، ورغب أن أذهب فى الحال معه. فقلت: الأفضل غدا! فانصرف على أن يأخذ لى منه موعداً.

وأخبرنى بالتليفون مساء أن هذا الموعد يكون الساعة ١١ صباحاً.

[ص ١٩٨٠]

وقبل الميعاد ببضع دقائق، حضر، ونزلت معه حيث عربته، وهى جميلة، فقادتنا إلى منزل الرئيس، وهو فى شارع فرنك لاين[٧] بالدور الأرضى. وظهر لى أن دى فاليس ليس من المترددين عليه، وأن فى المنزل

---

(١) قراءة اجتهادية.
(٢) قراءة تقريبية.
(٣) هكذا يقرأ الاسم.
(٤) تكلمة غير مقروءة، وقد تكون العبارة: رئيس مكتبة كان، أو رئيس مكتبه.
(٥) هكذا يقرأ وهو نفسه دى فاليس الذى سبق ذكره.
(٦) أى: كليمنصو.
(٧) فرنكلين.

مساكن غير مسكنه. فدخلت إلى دهليز حيث قابلنا خادمه، وأدخلنا قاعة فيها بليار، وبها بعض أمتعة عادية، وفيها صناديق السفر معدة.

وريثما خلعنا أرديتنا وقبعاتنا، دخل علينا، فسررنا بهشاشته وبشاشته وبساطته. فقدمنى صاحبى إليه، فصافحنى مصافحة الترحاب، وأخذنا إلى مكتبه، وتأخر مقدماً لنا فأبيت. وتقدمنا دى فاليس، ولكنه أبى أن يتقدم علىّ. فجلس على كرسى مكتبه الذى على شكل نصف دائرة، وأجلسنا أمامه على كرسيين عظيمين من جلد، وارتكز على المائدة[1] بيـديه، وأنشأ يقـول: إنى مسرور لمقابلتك، وإنى أريد زيارة مصر، لا لشئ سوى مشاهدة آثارها ونيلها وسودانها، والراحة فيها. وإنى أعرف الجنرال ألنبى، وهو صديقى.

وبيّن أسباب صداقتهما، وبعض الحوادث التى جرت لهما. ثم قال: وأعرف اللورد ملنر من ٢٥ سنة، وقد تلاعب بى فى مؤتمر السلام مدة حكمى! وحكى واقعتها. ولم أفهم جيداً تفصيلها، ولكنى فهمت من مجملها أنها ترجع إلى وعد وعده[2] ملنر ولم يف به.

ونسب مثل ذلك إلى لويد جورج، مما لم أدركه تمام الادراك! وقال ـ فى سياق ماحكاه ـ أن الإنجليز والأميريكان تجار، ولا يهمهم غير تجارتهم! وإنه أتى على فرنسا حين من الدهر كانت وحدها من غير حليف ولا نصير، فاضطرت لأن تتحالف مع إنجلترا، واضطرتها الظروف

---

(١) هكذا تقرأ، والمقصود: المكتب.

(٢) كلمة مطموسة.

٣٣٥٦

لأن تجاملها، ولم يكن فى وسعى فى مؤتمر السلام إلا أن أحافظ على مصالح فرنسا، وأبذل كل مافىّ لتقويتها وتعزيزها. ولم أكن أستطيع أن أصل إلى هذه الغاية لو أنى سعيت فى أن ينظر المؤتمر فى مسألة مصر!

قلت: ولكنه نظر فيها! إذ وضع شروطاً تلزم الألمان أن يعترفوا بحماية انجلترا على مصر!

قال: ولكن ذلك كان بصفة عرضية لا أصلية ولا نهائية، بل كان مؤقتا، وإلى أجل. وإنى أؤكد لك أن فرانسا صديقة مصر، وتحفظ فى قلبها كل ود لها، وإذا كانت الظروف قضت عليها بالتخلى عن مساعدتها، فذلك ليس لأن عطفها عليها زال من قلبها، ولكنها أطاعت فى ذلك حكم الضرورة! وما من دولة فى العالم تهتم لمصر، وتحب مساعدتها أكثر من الدولة الفرنساوية. ومن مصلحتكم أن تحتفظوا بصداقتها، وأن تعتمدوا على مساعدتها عند سنوح الفرصة، وهى لابد سانحة إن عاجلاً أو آجلاً.

[ص ١٩٨١]

قلت: إننا نعترف لفرنسا بالفضل علينا، ونعجب بأثرها عندنا، ونعتمد على صداقتها، ولا نلومها على الاعتراف بالحماية الإنجليزية، لأن الضرورة أكرهتها عليها ــ ولكن مؤتمر السلام، الذى تألف لتطبيق قواعد الحق والعدل، قد استثنى منها مصر وحدها، وأيد الحماية عليها، من غير أن يسمع لها صوتاً، ولا أن يرد عليها خطاباً، واعتبرها كمية مهملة!

قال: إنى تلقيت من مصر الثائرة من ستة أشهر، مذكرة فى غاية الاعتدال وحسن البيان.

ثم قلت: وبمقدار إعجاب المصريين بموسيو كليمنسو، الفرنسى العظيم، وحفظهم على ظهر قلب دفاعه عنهم سنة ١٨٨٢ ، بمقدار نفورهم من رئيس مؤتمر السلام، الذى قضى على آمالهم بالاعدام!

قال: إن كليمنسو هو هو فى الزمانين، وصديق لهم فى الحالين!

وهو، فى مؤتمر السلام، فعل ما فعل تحت مسئوليته، وفعله بصفة كونه فرنساوياً، ومن واجباته أن يحافظ بما فى وسعه على مصلحة فرنسا، التى فى قوتها وعظمتها مصلحة مصر نفسها. فلم أنس بما فعلت مصلحة مصر. ولكنى أجلها، لأنى أود لها الحرية، كما أودها لكل الشعوب. وذاهب إليها للغرض الذى بينته، ومستعد لسماع إخوانك الذين يرغبون فى مقابلتى ومحادثتى فى شؤونهم، وطريقة الحكم فيهم، وبعد ذلك أفعل ما أريد، ولا أقول أزيد من ذلك.

قلت: إن المسئلة ليست مسئلة ظلم أو عدل، بل مسئلة أمة تريد أن تحكم نفسها بنفسها، ولا تريد أن يحكمها أجنبى عنها، ولو كان أعدل العادلين.

قال: كذلك، وأى بلد محكومة بحكم عادل؟

قلت: ولكن لا يخفى عليك أن للجمهور فى كل بلد تصوراً خاصاً، وشعوراً من الصعب ضبطه. وربما سبق فى وهم المصريين أنك، بعد أن أمضيت الحكم عليهم بما أحدث جرحاً بليغاً فى قلوبهم، أردتم

أن تأتوهم لتنزعوا[١] أصابعكم فى جرحهم، وتتمتعوا بآلامهم! ولا نقدر أن نعرف ما ينجم عن مثل هذا الوهم!

قال: كلا ليس قصدى شئ من ذلك، إنما قصدى هو ما بينته، ولا لحقنى شئ من الهون من استياء الجمهور. والمهم أن تعرف أنت أن مصلحة بلدك قائمة على استبقاء صداقة فرانسا!

[ص ١٩٨٢]

ثم قال: هل هناك عوامل حقيقية لبقاء الثورة ودوامها؟

قلت: كل العوامل موجودة! أنظر كيف قاطعت الأمة بتمامها لجنة ملنر؟ فلم يعتبره أحد منها، حتى وجدت نفسها محاطة بالانقطاع من كل الجهات!

قال: إن الإنجليز لا يحسدون!

قال دى فاليس، الذى كان يساعدنى فى أكثر الكلام: إن الباشا قال لى: لو كانت الأحوال غير الأحوال، لسبقنا إلى دعوة الرئيس لهذه الزيارة.

فهش لهذه الجملة!

---

(١) كتب سعد زغلول كلمة «لتضعوا» ثم شطبها وكتب كلمة لتنزعوا، وهى أقوى تعبيرا.

وقلت: إن زيارة رجل كبير مثلكم من الشرف العظيم!

قال: لست كبيراً، ولا أتشبث بأن أكون إياه!

قلت: هذا رأينا، والتمسك به من حقنا!

ثم قمت، فقلت له: ربما أتشرف في مصر بمقابلتكم، لأن هناك مخابرة في عودتي! فإن قُبلت الشروط التي وضعتها، عدت!

قال: أكون سعيداً برؤيتك هناك. والإنجليز ـ عما قليل ـ يرجعون.

وودعنا بنفس الحفاوة التي استقبلنا بها، حتى وقف إلى أن لبست كل ما خلعت من رداء وقبعة وكوفية[1]. وانصرفت، معجباً بقوة الرجل البدنية والعقلية واللسانية، وبساطة بشه، وحسن لفتاته وهشاشته.

٣١ يناير:

عاد عبدالعزيز بك إلى العمل معنا من يوم ٢٩ منه، كالعادة.

على أثر زيارتي موسيوكليمنسو، استحسنت مع إخواني أن نشير إليها في تلغراف نرسله إلى اللجنة المركزية، مع رجائها أن تتخذ ما في وسعها من الوسائل، لامتناع الشعب عن إظهار ما من شأنه جرح عواطف الفرنساويين.

---

(١) قراءة اجتهادية.

وتداولنا ملياً في نصه، ورأى حمد باشا أن يكون نصه بعبارة ذات ترتيب خاص، إن لم يقبل لا يوافق على إرساله! ولكني مللت[١] المسئلة بالصيغة السالف ذكرها.

وتذاكرنا في دعوة بعض إخواننا لمقابلة كليمنسو ومحادثته. فقال لطفي: نكتب، فيمن نلفتهم إلى ذلك، إلى شعراوي. قلت: لا أكتب إليه لأنه انقطع عنا ولم يكتب لنا شيئاً، كما انقطع عن اللجنة المركزية، فلا وجه إلى تكليفه بشئ من ذلك!

وبالطبع لم يقع هذا الجواب موقع الاستحسان من العاصيين!

ورد علينا من بضعة أيام تلغراف من عدلي، بأنه يأمل أن يجيبنا قريباً.

ثم وردنا تلغراف آخر في ١٩ يناير، وآخر في ٢٨ منه، بأنه يرسل الجواب بالبوستة [ص ١٩٨٣]. وقد اتفقت التخامين على أنه ليس هو رفضاً لاقتراحنا، ولا قبولاً! ومنا من خمن أنه تعديل! ومن ظن أنه وعد مكتوم من مثل الوعود التي بذلها إلى الوزراء! وإني من هذا الرأي.

ثم أجمعنا أن تكون خطتنا مؤسسة على القواعد الآتية:

أولاً ـ أن لانقبل أمراً غير صريح ولا غير رسمي علني.

ثانياً ـ أن نفضل أن نُكره على ما لا نريد، على أن نرضى بما يريدون.

ثالثاً ـ (....)[٢].

---

(١) قراءة اجتهادية، ويقصد: «أمليت».

(٢) بياض في الأصل.

في يوم ٤ فبراير

نشرت جريدة التيمس في عدد يوم ٢ فبراير، ما مفاده أن زغلول أجاب الوزراء الثلاثة مشدداً في وجوب عدم المفاوضة، ومعتمداً على أن حزب العمال ينيل مصر مطالبها عندما يتولى زمام الأحكام! ونشرت مثل هذا جريدة الديلى ميل، وأضافت إليه أننى امتدحت وطنية هؤلاء الوزراء!

وقد ساء وقع هذا الخبر لدينا، خصوصاً وقد ذكرت الثانية أن جوابنا لهؤلاء الوزراء قد نشر برمته! ذلك لأنه غير معد للنشر.(١)

ولم نفهم ما أخرج أصحابنا من الحذر، الذى هو عادة من أرسلنا إليه الخطاب منهم، إلى هذه الاباحة!

---

(١) كان نص الخطاب الذى أرسله سعد زغلول إلى الوزراء الثلاثة هو نفس نص الخطاب الذى أرسله ابراهيم باشا سعيد رئيس لجنة الوفد المركزية - كما أوضح ذلك بنفسه فيما سبق فى يومية ١٤ يناير ١٩٢٠، وقد كتبه بقلمه، وفيه قبول الوفد المفاوضة بشروط حدودها فى الخطاب.

وكانت تعبئة الوفد للجماهير وقتذاك تقوم على رفض المفاوضة مع انجلترا، على أساس أن القضية المصرية قضية دولية، وبالتالى كان الوزراء الثلاثة محل سخط بسبب اتصالاتهم بلجنة ملنر. ومن هنا كان حرص الوزراء الثلاثة على نشر الخطاب الذى أرسله إليهم سعد، (وقد أشار إليهم سعد زغلول فى المتن باسم «أصحابنا») لاظهار موافقة سعد زغلول على المفاوضة. ومن هنا أيضا دفاع لطفى السيد عنهم لنشر هذا الخطاب.

ويمضى خطاب سعد زغلول على النحو الآتى من واقع ما أرسله إلى إبراهيم سعيد باشا، رئيس لجنة الوفد المركزية:

« فى الحقيقة أننا لم نجد فى بلاغ ملنر شيئا يخالف التصريحات السابقة عليه إلا خلوه من لفظة «الحماية» وحسن أسلوبه. أما فى الجوهر فقد وجدناه متفقا معها تمام الاتفاق، إذ هو مثلها يعتبر مصر تابعة لانجلترا، ولجنة ملنر لجنة تحقيق، موقف

= المصريين معها موقف المجيب من المستجوب. وغاية أبحاثها الوصول إلى وضع نظام حكومى فى دائرة الحكم الذاتى.

«ونحن لا نعترف بشىء من ذلك، فلا تبعية لانجلترا علينا ولا نعرف لهذه اللجنة سلطة التحقيق فى بلادنا. والغاية التى نسعى إليها هى التمتع بجميع حقنا فى الاستقلال التام.

«نعم ان هذا البلاغ وسع مجال المناقشة، ولكنه ضيق الغاية منها، فجعلها وضع نظام حكومى فى حدود الحكم الذاتى. وبذلك هدم بيد ما بناه باليد الأخرى. وزاد أن اشترط عدم ترتيب التزام على هذا التوسع فحفظ بهذا الاشتراط لانجلترا حرية العمل.

«وهو، مع تحديد الغاية، لا ينقل المسألة من مركزها، فلا ترتفع به حماية بل تتأكد، ولا يتم به استقلال بل يقل، ولا يفيد إلا شيئا واحدا وهو تسهيل مأمورية التحقيق على اللجنة.

وما كان للمصريين أن يعرفوا لها هذه الصفة، ولا أن يسهلوا عليها هذه المأمورية. وأكبر ما تعطيه أو تشير باعطائه هو أقل من حقهم بكثير. زد على أنها جاءتهم رغم أنوفهم وضد اجماعهم، بأن استعملت كل وسائل الشدة معهم تمهيدا لوصولها، وشكلت وزارة لم يرض الرأى العام بها.

« إن عودة الوفد، أو بعض أعضائه على أثر هذا البلاغ، لم يخطر ببالنا للاعتبارات السالف ذكرها، ولأن الانجليز لا يتأخرون أن يتخذوا منها حجة على فوز سياستهم، ويبنون عليها كثيرا من الأقوال التى ينشرونها لتضليل الرأى العام فى أوربا عموما وانجلترا خصوصا.

«ربما كان يسهل علينا أن نتعرض لمثل هذا الخطر ونعجل لهم ذلك الفوز لو أنهم وعدونا بشىء فى مقابله وعدا صريحا يصح الاعتماد عليه، ولكنهم لم يفعلوا، وليس لنا أن نتوهم أنهم سيفعلون بعد عودتنا على غير وعد سابق.

«لو أنهم، مع توسيعهم مجال المناقشة أطلقوا الغاية منها، لصح لنا أن نتجشم أن نقنعهم بالبرهان والحجة الدامغة بصحة مطالبنا. ولكنهم حددوها! ـ مثلهم فى ذلك مثل بعض القوانين الألمانية القديمة التى كانت تقضى بسماع الشهود بعد الحكم فى الدعوى!

«ولهذا رأينا أن العودة، ارتكانا على البلاغ المذكور، لا تكون الا عبثا مقرونا بالخفة والمخاطرة. ويصح للانجليز وغيرهم أن يقولوا إنه كفى أن يغير شكل التصريح، وأن يؤتى العبارات الطلية، حتى تغير الأمة المصرية بتمامها خطتها نحو اللجنة،

= فتخرج من مقاطعتها لها إلى المفاوضة معها! كلا، إن المسألة أكبر بكثير من أن يكون لاختلاف الصور والأشكال تأثير فيها. إننا نقبل العودة للمفاوضة على شرط أن تكون بين متعادلين فى حقوق المناقشة وطرفين كل منهما يمثل أمته، وأن يكون الغرض منها الوصول إلى عقد معاهدة تضمن لمصر استقلالها التام ولانجلترا مصالحها التى لا تتعارض مع هذا الاستقلال التام، وأن تعترف الدول بهذه المعاهدة، وتسجل فى عصبة الأمم.

«فاذا صرح الانجليز بذلك رسميا، هنالك لا نتأخر عن العودة لمباشرة المفاوضة، متى ألغيت الأحكام العرفية، وضمنت لنا العودة لمباشرة أعمالنا عندما نريد.

«أما المفاوضة فى أوربا، فنحن مستعدون لها مع لجنة ملنر أو غيرها، مادامت المناقشة لا يترتب على الدخول فيها الالتزام بشىء ما. ومادام أن العبرة هى بما يتم عليه الاتفاق فى حدود التفويض لنا.

«فاذا كان الانجليز يرغبون حقيقة فى ودنا، وفى بناء علاقتهم بنا على الاتفاق معنا، فلا شىء أسهل عليهم من اتباع احدى هاتين الطريقتين للوصول إلى الغاية.

«وهم لابد أن يفهموا أن الأمة المصرية وصلت من اليقظة والانتباه ومعرفة حقوقها الى درجة لا تركن معها إلى الأقوال، ولا تعتمد فيها إلا على الأعمال، ولا ترضى عن استقلالها التام بديلا.

«نعم ان فى قوتهم ارغامها على النظام الذى يريدون وضعه فيها، ولقد لا يبعد عليهم أن يحملوا كل الدول على الاعتراف بحمايتهم علينا، ولكن حقنا لا يضيع بهذا الارغام ولا بهذا الاعتراف، بل يبقى ثابتا حيا، ونبقى مستمرين على المطالبة به والسعى للحصول عليه.

«وإذا لم يكن فى الحكومات الأجنبية الآن من يمد يد المساعدة الينا، ففى شعوبها كثير من الأحرار يعطفون علينا وينتصرون لقضيتنا بأقلامهم وخطبهم. وما يدرينا أن يظهر غدا المساعد لنا، وللزمان تقلبات تجعل الحليف عدوا والعدو حليفا.

«ولا يصح أن نسقط من حسابنا اتساع ملك بريطانيا وتباعد أطرافه واضطراب الأحوال فى ممتلكاتها وجوارها، وانتشار المبادىء الديمقراطية فى العالم عموما، وفيها خصوصا، وتهديد حزب العمال لحكومتها بالاستيلاء عليها، وقربه من هذه الغاية يوما فيوما ـ كما تؤيده الانتخابات الجزئية، والاعتصابات التى كثر تواليها فى هذه الأيام.

«كل هذا يحملنا على ألا نغامر بحقنا، وأن نبقى متشددين فى التمسك به، = ومقاطعين اللجنة التى حضرت رغم أنوفنا لحملنا على الرضاء بانقاصه، حتى

وأظهرت إخوانى على استيائى، كما أظهره أغلبهم.

ولكن لطفى أخذ الأمر بفتور، وقال: إن مافعلوه لم يكن من السياسة، ولكن لاضرر فيه، وقد وقع، وانقضى .. إلخ العبارات التى من شأنها صرف الأفكار عن هذا الموضوع إلى غيره، والدلالة على عدم اهتمام قائلها بالأمر!

فزدت بهذا الفتور حدة.

ولما خلونا، اعتذر بأنه لم يرد أن يجعل وسيلة إلى مثل مكباتى أن يطعن على هؤلاء الوزراء، تشفياً منهم!

قلت: إنك أسأت إليهم من حيث أردت الاحسان لهم. وفى الحقيقة ليس من الدفاع فى شئ أن تقابل الشدة بما يزيدها! وأن تظهر أنك مغرض فى دفاعك لا مَحْمدَ فيه. وإن أنفع ما يكون عند الدفاع عن شخص طعن عليه آخر ، هو السعى فى إطفاء غليل الطاعن، ولو بموافقته مؤقتاً، لأن ذلك يكون أفيد من مصادرته، ويجرده فى أغلب الأحيان من السلاح الذى يطعن به على صاحبه.

= تعود خائبة، فتعلم الأمة الانجليزية، ويعلم العالم معها، أن مصر متحدة تمام الاتحاد على الوصول الى استقلالها التام، وأن إرغامها على ماتكره مخالف لشرف الوعود التى بذلتها انجلترا، مناقض للعهود التى سجلتها، وغير منطبق على المبادئ التى قبلتها، ومكدر على الدوام لسلمها ومقلق لراحتها. وأن خير سياسة تتبعها هى أن تبر بوعدها، وتتخذ من مصر حليفة صادقة لها، لا تابعة نافرة منها، تترقب الفرص دائما للخروج عليها وتفضل الموت على الاستسلام لها».

(أحمد شفيق: حوليات مصر السياسية)

تمهيد، جـ١ ص ٦٣٤ وما بعدها.

[ص ١٩٨٤]

ولقد أخذنا نُعمل الفكر فيما عساه يكون السبب الذى حملهم على تلك الإذاعة؟ فخطر على بالى أنه بيان خلونا من السند الأجنبى، فيقدرون لدى الكافة فى استحسان الدخول فى المفاوضة.

ولكن استبعدنا هذا القصد عليهم، لما فيه خبث النية، وهم ـ فى اعتبارنا ـ بريئون منها.

وانفصلنا ضجرين!

وألقى فى خاطرى، بعد أن أعدت النظر على ما كتبناه إليهم، أن غرضهم هو إثبات أنهم لم يأتوا بدعاً، بل هم متفقون فى الرأى مع الوفد، إذ هو لم يشترط شروطاً، إلا للعودة، أو للمفاوضة فى مصر أو فى غيرها. فرأى مثلهم أن الإعلان الصادر من لجنة ملنر كاف فيها[1]. وهذا يعذرهم عند الرأى العام الذى تهيج ضدهم.

خطر فى بالى هذا الخاطر، فقبلته كإيضاح لما حملهم على النشر، لا كعذر أحله لهم، لأنه لم يكن يصح لهم أن يوحوا بجوابنا إلا بعد استئذاننا!

وسوف يكشف الاستقبال حقيقة الحال.

---

(١) أى فى المفاوضة.

٣٣٦٦

فى ١٤

لم يأتنا من مصر شئ عن إذاعة جوابنا، ولكن ورد علينا خطابان: أحدهما مؤرخ فى ٢٩ يناير، والآخر بعده بقليل من عدلى باشا. ومعهما مذكرة خصوصية من ملنر.

يفيد مجموع ذلك أن ملنر لم يرد أن يصدر تصريحاً آخر، وأنه لايريد أن يرتبط بوعد، وأنه سمع أنى أريد الذهاب إلى لوندره، ولكنه يظن أن حكومته لا ترضى أن تتخابر مع الوفد وحده. ويطلب عدلى منا رأينا فيمن نريد أن يكون معنا فى السفر إليها.

ثم يقول: إن القصد من عبارة Self governing institutions الواردة فى بلاغه[1]، أن الحكومة الإنجليزية لا تتعاقد إلا مع حكومة دستورية.

وبناء عليه كتبنا برقية إلى عدلى باشا، أنه مادام الأمر كذلك، فاللازم هو البدء بوضع هذا النظام. والسبيل لذلك أن تتألف وزارة موثوق بها، وتعلن بروجرامها الذى يلزم أن يتضمن المفاوضة لأجل وضع اتفاق يضمن استقلال مصر ومصالح إنجلترا، ووضع نظام لإنشاء هيئة تصدق على ما تنتهى المفاوضة إليه.

---

(١) يقصد البلاغ الذى أصدره ملنر يوم ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ بعد وصوله إلى مصر بثلاثة أسابيع، وكان الغرض منه دعوة الوفد للتفاوض.

[ص ١٩٨٥]

وبمجرد أن يعلن هذا البروجرام، يعود الوفد إلى مصر، لكى يسند الوزارة، ويرشح أعضاؤه أنفسهم للانتخاب فى الهيئة الجديدة[١].

وأرسلنا هذا الجواب فى خطاب، ثم فى تلغراف، ثم شرحنا معناه فى خطاب آخر.

وفى يوم الخميس ١٢ فبراير، قدمنا النائب جود إلى موسيو بريان فى نحو الساعة ١٠ صباحاً، حيث كان معى مكباتى.

وهو رجل يبلغ من العمر ستين، قصير القامة، متوسط الحجم، ليس فيه خفة الفرنساويين، ومسكنه متواضع، وليس فيه كثير من الخدم، لأنه هو الذى فتح الباب لنا ولغيرنا ممن دخلوا بعدنا. ولم نجد عنده هشاشة الفرنساويين، ولكنه مع ذلك تبسط فى القول معنا.

وفهمنا منه أنه لا ينبغى لمصر أن تنتظر من الدول معونة، وأن مسئلتها محصورة بينها وبين الإنجليز، وأنه يلزمها أن توجه كل مجهوداتها إلى إنجلترا، لاستمالة الرأى العام فيها، بطرق النشر والخطب وغيرها. وأنه لا ينبغى رفض المفاوضة مع الإنجليز ، ولا عدم إجابتهم إلى الذهاب عندهم. ومادام أنهم أعلنوا بأنه لا يترتب على

---

(٢) يقصد الهيئة التى تصدق على ما تنتهى إليه المفاوضة.

مناقشـاتهم أقل التـزام، فـمن حـسن السـيـاسـة إجـابتـهم، لأن فى الإعـراض عنهم اغضـاباً لهم.

فانصرفنا من لدنه مؤكداً يقينا فى أن الدول لا تفيدنا شيئاً.

وفى هذا اليوم، ورد علينا من محمد محمود تلغراف، بأنه لا ينبغى رفض المفـاوضـة، ولا تصح العودة إلى مصـر، ويلزم الاحـتجـاج بالمرض، وابداء الرغبة فى المناقشة إذا عرج ملنر عند عودته على باريز. وإن عنده أسباب قوية لهذا الرأى ـ ولم يبدها!

اقترح مكباتى من بضعة أيام أن يخصص لكل عضو من الوفد مبلغ أربعة آلاف فرنك شهرياً، من قبيل التعويض نظير المصاريف هنا.

فقبلنا مبدئياً هذا الاقتراح، على شرط أن حضور الوفد[١] إلى هنـا والمناقشة غير متعلقين به، بل بالوفد فهو الذى يقرر لزومه وعدم لزومه. **[ص ١٩٨٦]** فعارض فى هذه الشروط وتبعه حمد. ورغب ماهر تحديد العدد اللازم للأغلبية، ولكن الأغلبية رأت أن تعدل عن الرأى من أساسه!

---

(١) يقصد أعضاء الوفد الذين كانوا فى مصر وجاءوا إلى باريس لمناقشة أعضاء الوفد فى الرأى حول المفـاوضـة مع لجنة ملنر، وكـان يضـم النحـاس وحـافظ عـفـيـفى. وكـان الحديث حول أن هذا الوفد القادم من مصر لا يستحق أن يخصص للفرد منه مبلغ أربعـة آلاف فـرنك اقـتـحـهـا المكبـاتى. وانتـهى الأمـر إلى التـخلى عن فكرة صـرف مـصـاريف لأعـضـاء الوفـد. ويلاحـظ أن أعـضـاء الوفـد فى باريس كـانوا يتكفلون بمصاريفهم الشخصية، فقد كانوا من الأعيان.

وتبين من خلال المناقشة أن مكباتى يريد أن يحضر النحاس وعفيفى بقصد مناقشة الآخرين، والانتصار عليهم ضدهم. ولكن لا أظن أن يتحقق أمله فى حافظ عفيفى، لأن فيه اعتدالاً.

إن لطفى اتخذ المدافعة عن محمد محمود عادة. فهو يصوب خطأه، ويعلل مالا يعلل من عمله، ويحلل ما حرم منه! وهى طريقة تضر الصديق أكثر مما تنفعه، ولا توصل إلا إلى الإكثار من عدد المخطئين، وزيادة نفور العقلاء من ذلك الصديق.

إن مكباتى، مع كونه سمع معنا ما سمع من موسيو بريان، ومع مكثه هنا قربا من العام، ومع كونه لم ير مساعدة من أحد من الدول لنا، بل إن كل الرجال الرسميين ينفرون من مقابلتنا، ولا يحومون حولنا ـ مع ذلك كله يأذن لنفسه أن يقول أمامنا: إن الأبواب مفتحة فى وجوهنا، وإن الأمل قوى فى أن تساعدنا[1] الدول!

إن هذا لشئ عجاب! إن الانسان ليكذب حتى يصدق نفسه فيما كذب فيه! فيثبت الكاذب، وتثبت كلمته، أنه لا ضمير له، ولا حياء فيه، ولا يمكن التعويل عليه فى خبر يرويه، ولا فى رأى يبديه، وهو أهل لكل نقيصة!

أقبح المناظر منظر يد تمتد لمصنوع جميل! ولسان يتحرك بمالا يعرف، ورجل يتصدى لما يجهل، ويتعرض لما لا خبرة له فيه!

---

(١) فى الأصل: تساعد.

٣٣٧٠

من الجهل المطبق أن يستجهل الإنسان غيره!

إن الأزهريين إنما يستجهلون العلم بكونهم علماء[١].

سنقدم الساعة فى هذه الليلة ساعة، فتجعل الساعة ١١ الساعة ١٢ [ص ١٩٨٧]، وذلك طبقاً لحكم القانون. والحكمة فى ذلك توفير الزمن، وحمل الناس أن يوقتوا أمورهم بمواقيت متحدة.

كل عضو فى الوفد أصبح يظن نفسه قائداً للأمة، وأهلاً لأن يرشدها إلى سواء السبيل!

يوم تصيب الأمة استقلالها، يكثر مداينوها، ويكثر الذين يمنون عليها بخدماتهم، والذين يدعون أنهم عرضوا حياتهم للخطر! ويكون الذين تباطئوا عن العمل لصالحها، أسرع الناس إلى الدعوى بخدمتها، وأكثرهم تبجحاً بعبارات التضحية!

إنك لا تسمع الصم النداء! ولا تهدى من أحب العمى على الهدى! وما أنت بمسئول عمن عمى[٢]! وأمثل طريقة، وأحجى أن تنبه بالمعروف عن الخطأ، فإذا أفاد التنبية كفى، وإن لم يفد فما عليك من تردى[٣].

---

(١) هكذا تقرأ فى الأصل.
(٢) قراءة اجتهادية.
(٣) فى الأصل: ارتدى، وهى سقطة قلم، وتردى أى سقط.

٣٣٧١

قد بلغت عمرا زهدت فيه كل ما تعلق غيرك به، فلا تحفل بمحبوب[1] أتى، ولا تحزن لمرغوب مضى، ولا تتردد أن تقول الحق كله غضب من غضب ورضى من رضى، واعلم أنك على نفسك فى الباطل، ومعها فى الحق!

أحب الأشياء عندى أن أرى الناس فى صفاء وهناء!

---

(١) قراءة تقريبية، وقد تقرأ: بمحمود.

ملحق رقم (١)

كتاب الوفد إلى السلطان
٢ مارس سنة ١٩١٩م★

«يا صاحب العظمة

«يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصرى أن يرفعوا إلى مقام عظمتكم بالنيابة عن الأمة مايلى:

«لما اتفق المتحاربون على أن يجعلوا مبادئ الحرية والعدل أساساً للصلح، وأعلنوا أن الشعوب التى غيرت الحرب مركزها يؤخذ رأيها فى حكم نفسها، أخذنا على عاتقنا السعى فى استقلال بلادنا والدفاع عنَ قضِيتها أمام مؤتمر السلام مادام أن حق الأقوى قد زال من ميدان السياسة ومادامت بلادنا قد أصبحت بزوال السيادة التركية حرة من كل حق عليها، لأن الحماية التى أعلنها الإنجليز بلا اتفاق بينهم وبين الأمة المصرية باطلة، ولم تكن فى الواقع إلا ضرورة حربية تزول بزوال الحرب.

«اعتماداً على هذه الظروف، وعلى أن مصر غرمت كل ما قدرت عليه من المغارم فى صف القائلين بحماية حرية الأمم الصغرى، لا يكون لدى مؤتمر السلام ما يمنع من الاعتراف بحريتنا السياسية جرياً على المبادئ التى أسس عليها.

★ منقول عن الرافعى : ثورة ١٩١٩، الجزء الأول.

«عرضنا رغبتنا فى السفر على كبير وزرائكم صاحب الدولة حسين رشدى باشا، فوعد بمساعدتنا على السفر وثوقاً منه أننا إنما نعبر عن رأى الأمة كافة، فلما لم يسمح لنا بالسفر وحبسنا داخل حدود بلادنا، بقوة الاستبداد لا بقوة القانون، وحيل بيننا وبين الدفاع عن قضية هذه الأمة الأسيفة، ولما لم يستطع دولته أن يحتمل مسئولية البقاء فى منصبه فى حين أن الشعب يصادر فى مشيئته، استقال هو وزميله صاحب المعالى عدلى يكن باشا استقالة نهائية، قوبلت من الشعب بتكريم شخصيهما والاعتراف بصدق وطنيتهما.

«ولقد كان الناس يظنون أنه كان لهما، فى وقفتهما الشريفة دفاعاً عن الحرية، عضد قوى من نفحات عظمتكم، لذلك لم يكن ليتوقع أحد فى مصر أن يكون آخر حل لمسألة سفر الوفد قبول استقالة الوزيرين! لأن فى ذلك متابعة للطامعين فى إذلالنا، وتمكينا للعقبة التى ألقيت فى سبيل الإدلاء بحجة الأمة إلى المؤتمر، وإيذانا بالرضى بحكم الأجنبى علينا إلى الأبد.

«وقد نعلم أن عظمتكم ربما كنتم مضطرين لاعتبارات عائلية أن تقبلوا عرش أبيكم العظيم الذى خلا بانتقال أخيكم المغفور له السلطان حسين، ولكن الأمة من جهة أخرى كانت تعتقد أن قبولكم لهذا العرش فى زمن الحماية الوقتية الباطلة رعاية لتلك الظروف العائلية ليس من شأنه أن يصرفكم عن العمل لاستقلال بلادكم، غير أن حل المسألة بقبول استقالة الوزيرين، اللذين أظهرا احترامهما لإرادة الأمة، لا يمكن أن يتفق مع ما جبلتم عليه من حب الخير لبلادكم، والاعتداد بمشيئة شعبكم. لذلك عجب الناس من مستشاريكم كيف أنهم لم يلتفتوا إلى أن الأمة فى هذا الظرف العصيب إنما تطلب منكم - يا أرشد أبناء محررها الكبير محمد على - أن تكونوا لها العون

الأول - على نيل استقلالها، مهما كلفكم ذلك؟ فإن همتكم أرفع من أن تحددها الظروف. كيف فات مستشاريكم أن عبارة استقالة رشدى باشا لا تسمح لرجل مصرى ذى كرامة ووطنية أن يخلفه فى مركزه؟! كيف فاتهم أن وزارة تؤلف على برنامج مضاد لمشيئة الشعب مقضى عليها بالفشل؟!

«عفوا يا مولانا، قد تكون مداخلتنا فى هذا الأمر وفى غير هذا الظرف غير لائقة، ولكن الأمر قد جلّ الآن عن أن يراعى فيه أى اعتبار غير منفعة الوطن الذى أنت خادمه الأمين.

«إن لمولانا أكبر مقام فى البلاد، فعليه أكبر مسئولية عنها، وفيه أكبر رجاء لها، وإننا لا نكذبه النصيحة إذا تضرعنا إليه أن يتعرف رأى أمته قبل أن يتخذ قراراً نهائياً فى أمر الأزمة الحالية، فإننا نؤكد لسدته العلية أنه لم يبق أحد فى رعاياه من أقصى البلاد إلى أقصاها إلا وهو يطلب الاستقلال، فالحيلولة بين الأمة وبين طلبتها مسئولية لم يتحر مستشارو مولانا أمرها بالدقة الواجبة، لذلك دفعنا واجب خدمة بلادنا وإخلاصنا لمولانا أن نرفع لسدته شعور أمته، التى هى الآن أشد ما تكون رجاء فى استقلالها، وأخوف ما تكون من أن تلعب به أيدى حزب الاستعمار، والتى تطلب إليه بحقها عليه أن يغضب لغضبها، ويقف فى صفها، فتنال بذلك غرضها، وأنه على ذلك قدير.

«وإننا نتشرف بأن نرفع عبارات الاحترام إلى مقام عظمتكم الكريم.

«توقيع أعضاء الوفد»

٢/٣/١٩١٩م

ملحق رقم (٢)

دفاع المستر جوزيف فولك
المستشار القضائى للوفد المصرى

(١)

اغتصبت بريطانيا العظمى مصر تحت ستار الحماية، فأخلت بمبادئ جمعية الأمم التى شرع فى انشائها وانتهكت حرمة العدالة. وهى تطلب الآن أن تعترف لها الولايات المتحدة والأمم الأخرى فى معاهدة الصلح بحقها فى هذا الاعتداء، وأن تنتقل مصر بغير رضاء المصريين إلى بريطانيا العظمى كأمة مغلوبة محكومة.

نصت المادة ١٤٧ من القسم السادس من ملحق معاهدة فرساى على ما يأتى:-

«تصرح ألمانيا بأنها تعترف بالحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤، وبأنها تتخلى عن نظام الامتيازات الأجنبية فى مصر[١] وأن هذا التخلى يعمل به من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤».

ومما يسترعى النظر أن هذه المادة ترمى فى ظاهرها إلى مجرد تعيين مركز ألمانيا فلم يأت باشارة إلى الولايات المتحدة والأمم الأخرى الموقعة

(١) قال سدنى لو فى الصحيفة ٢٥١ من كتابه المسمى «مصر فى طور الانتقال» عن الامتيازات الأجنبية اجمالا: «ولكن المقيمين فى مصر هم وحدهم الذين يعلمون =

على المعاهدة والحقيقة أن الغرض الظاهر من ادماج ذلك في ملحق المعاهدة هو الوصول إلى اعتراف الولايات المتحدة والأمم الأخرى بالحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر بمجرد الموافقة على المعاهدة، وبذلك يصبح مركز مصر من المسائل البريطانية الداخلية التى تخرج عن نطاق اختصاص مجلس جمعية الأمم.

ولكن هل يسوغ فى عرف القانون أن يعد اغتصاب مصر وحكمها على غير رضاء المصريين حماية؟ إن الحماية فى القانون الدولى بوجه عام هى علاقة أمة قوية بأخرى ضعيفة تقوم الأولى بموجبها بحماية الثانية من أى غزو أو اعتداء، والحماية تعترف بسيادة الأمة المحمية.

أما الأمر فى مصر فليس بحماية تعترف بسيادة البلاد المصرية، بل هو تعيين سلطان على مصر من قبل بريطانيا العظمى، ورفع الراية البريطانية على الديار المصرية، وادارة شئون البلاد كما لو كانت مصر قد ضمت إلى الامبراطورية البريطانية.

فالمصريون اليوم تحكمهم بريطانيا العظمى على غير رضاهم، وقد انتحلت لنفسها السيادة على بلادهم.

= مبلغ سوء تأثير تلك الامتيازات فانها معاهدات واتفاقات تخول الأوربيين فى الشرق حق الاعفاء من التقاضى أمام المحاكم الأهلية. فاذا ارتكب أجنبى جريمة لا يستطيع البوليس المصرى القاء القبض عليه ولا يسوغ تقديمه للمحاكمة أمام قاض مصرى يحكم بمقتضى القانون المصرى. وليس للبوليس أو للمجنى عليه إلا أن يقدم الجانى إلى محكمته القنصلية التى لا تدينه إلا إذا ثبت أنه أجرم لا ضد القانون المصرى فقط بل ضد قانون بلاده أيضاً أو على الأقل أنه أخل بالقوانين المحلية التى تعترف بها قنصلية بلاده» ..

وقد كانت الحكومة البريطانية تدعى حتى ديسمبر سنة ١٩١٤ أن احتلال الجنود البريطانية للبلاد المصرية لم يكن إلا عملا مؤقتاً الغرض منه قهر «الثوار» أو وفاء الديون المطلوبة للأوروبيين من المصريين، فبعد أن قامت الحرب العالمية أعلنت بريطانيا العظمى فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ حمايتها المزعومة على مصر، وقد نشر الاعلان المتضمن اغتصاب مصر ووضعها تحت العلم البريطانى فى جريدة التيمس التى تصدر فى لندن فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ حيث جاء فى العامود الثالث من الصفحة الثامنة منها مايأتى:ـ

«بناء على عمل سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق الذى انضم إلى أعداء الملك، قد رأت حكومة جلالته أن تخلعه من منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامى، مع لقب سلطان مصر، على سمو الأمير حسين كامل باشا وهو أكبر أمير حى من أسرة محمد على، فقبله. وقد تفضل الملك فوافق على منح الأمير حسين كامل الوشاح الأكبر الشرقى من نشان الحمام لمناسبة ارتقائه السلطنة.

فالسلطان الذى عينته بريطانيا العظمى بهذه الطريقة ليحكم مصر لايمثل سيادة مصر بل سيادة انجلترا. وظاهر من نص هذا الاعلان أن اغتصاب مصر لم يكن سوى عمل من الأعمال التى اقتضتها الحرب، فكيف يمكن الآن تبرير استمرار انتحال السيادة لبريطانيا العظمى على مصر بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وأوشكت جمعية الأمم أن تقوم على المبادئ القائلة بحق الأمم فى بت مصيرها، وبأن الحكومات يجب أن تؤسس فى كل مكان على رغبة المحكومين؟.

قالت «المانشستر جارديان» فى عددها الصادر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ تعليقاً على اغتصاب مصر: إن عمل بريطانيا إزاء مصر هو بمثابة الضم، وإنه لا يختلف فى أية نقطة جوهرية عن اتخاذ السيادة المطلقة عليها. وقد جاءت وقائع الحال مطابقة لهذه الأقوال.

ونشرت التيمس فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ مقالا تحت العنوان المكتوب بالحروف الضخمة.

«مصر تحت العلم البريطانى»! على أن التيمس هيأت إلى الدهاء البريطانى المألوف، وذكرت فى مقالها الافتتاحى فى عدد ذلك اليوم بعينه مايأتى :ـ

كل ما يطلب الآن هو حماية مصر من كل اعتداء، والمحافظة على الادارة الداخلية الحسنة فيها، أما المسائل الأخرى فلا بأس من إرجائها إلى أن يعود السلام إلى نصابه ـ كما أشار إلى ذلك اللورد كرومر فى رسالته التى نشرناها اليوم. فالعمل الذى عملناه هو مجرد خطوة ادارية وعملية رسمها لنا ظهور تركيا بين صفوف أعدائنا.

فالعمل على تبرير هذا الاغتصاب انما قام على دعوى حماية مصر من اعتداء تركيا، والحقيقة أن الحماية إنما اتخذتها بريطانيا العظمى غشاء تستتر به اغتصاب مصر، والقضاء على كل أثر لحرية المصريين واستقلالهم.

على أن الشعب المصرى لم يدرك فى ذلك الوقت كل معنى هذا العمل من جانب بريطانيا العظمى، فقد قيل له ان هذا العمل كان

خطوة فى سبيل استقلال مصر، وقال جلالة الملك جورج فى كتاب وجهه الى السلطان الذى عينه لحكم مصر ـ وقد نشر هذا الكتاب فى جميع أرجاء البلاد المصرية، كما نشر فى جريدة التيمس الصادرة فى ٢١ ديسمبر ـ ما يأتى:

اننى على يقين أنكم بمؤازرة وزرائكم وحماية بريطانيا العظمى ستتغلبون على كل المؤثرات التى ترمى إلى القضاء على استقلال مصر.

فصدق المصريون حينئذ ما أعلن على رءوسهم من أن اغتصاب بلادهم على هذه الصورة لم يكن سوى عمل وقتى اقتضته الحرب، وحاربوا إلى جانب الحلفاء ببأس وشجاعة، وهم يعتقدون أنهم يشتركون فى نصرة الديمقوقراطية، ويعملون لاقامة حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها.

فلما آن وقت وضع شروط الصلح وانشاء جمعية للأمم، ظن الشعب المصرى أن «حماية» بريطانيا العظمى ـ تلك الحماية التى قامت على دعوى صيانة مصر من كل اعتداء خارجى ـ سترفع عن كاهله، لأنه سيصبح فى أمن من ذلك الاعتداء تحت اشراف جمعية الأمم ولكن تلك الآمال كان نصيبها الحبوط فإن انجلترا لم تكتف برفض التخلى عن مصر، بل طلبت إلى الأمم الأخرى أن تقر استبقاءها تلك البلاد فى قبضة يدها، وإن كان عملا غير شرعى.

فإن كان المقصود من جمعية الأمم أن تهيئ للأمم سبيلا غير الحرب لفض منازعتها، والاحتفاظ بحق الأمم الصغيرة فى تقرير مصيرها، ومنع

أية أمة من الاعتداء على أية أمة أخرى، فبأى منطق يسوغ أن يقال إن المعاهدة التى تنشأ بموجبها جمعية الأمم للأغراض المتقدمة، هذه المعاهدة بعينها هى التى تعترف لبريطانيا بحق على مصر ينافى مبادئ جمعية الأمم كل المنافاة ولا يتفق إلا مع نظرية القوة الحربية خلافاً لمبادئ الحق والعدالة.

(٢)

عندما احتلت بريطانيا العظمى مصر قطعت على نفسها عهوداً صريحة لمصر وللعالم على أن احتلالها لا يكون إلا مؤقتاً.

مصر وحدة تامة لا تتجزأ، تسكنها أمة واحدة، والشعب والمصرى واحد فى خلقه وطبائعه وعوائده ومشاعره وأمياله فى جميع أنحاء البلاد.

على أن مصر بسبب موقعها الطبيعى كانت على الدوام مطمحاً للدول المستعمرة أكثر من أى بلد آخر فى العالم. فانها واقعة مابين أفريقيا الجنوبية والبحر الأبيض المتوسط وبين العالمين الشرقى والغربى، ولذلك فهى مفتاح الباب الذى تلجه انجلترا فى سبيل نظامها الاستعمارى الواسع المدى بل هى فوق ذلك عامل هام من الوجهة الدولية فى شئون معظم بلاد أوربا وآسيا وأمريكا، فلا عجب أن اتجهت إلى مصر أنظار الطامحين إلى سعة الملك من حكام الأرض. وليس مثل قيصر ونابليون وبريطانيا العظمى ببعيد.

مصر بلد واسع الثراء، فيه ملايين من الأفدنة من الأرض الزراعية التى تفوق فى الخصب وقوة الانتاج أغنى أرض فى ولاية ايلى نويس الأمريكية المشهورة.

فاغتصاب مصر يضيف إلى مقتنيات بريطانيا العظمى مساحة سعتها ٣٥٠ ألف ميل مربع يقطنها ١٣ مليونا من الناس، وتربو قيمة مواردها عن كل حصر.

غزا الفرنسيون مصر تحت قيادة نابليون سنة ١٧٩٨ ، وفى سنة ١٨٠١ أخرجهم الترك بمعونة بريطانيا العظمى. وحاول البريطانيون غزو مصر فى سنة ١٨٠٧ فطردهم منها الجيش المصرى. ولبثت مصر ولاية تركية حتى سنة ١٨٣١ عندما نشبت الحرب بينها وبين تركيا، وفازت الجيوش المصرية فيها بالظفر، ولولا تداخل الدول العظمى لحفظ «ميزان القوة» لكانت الآستانة فى قبضة المصريين. ولكن المصريين أرغموا على التنازل عن ثمار نصرهم الكاملة، فكسبوا استقلال بلادهم الداخلى بمقتضى معاهدة لندن فى سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١ ، بشرط أداء جزية سنوية لتركيا يبلغ مقدارها (٦٥٠ ألف جنيه) وأصبح فيما بعد لقب حاكم مصر معادلا للقب ملك بلا قيد، وأصبح لحكومة مصر حق تجييش جيش، وعقد القروض، وإبرام الاتفاقات الدولية مع الدول الأجنبية.

وظلت أمور مصر تسير وفق المرام حتى عهد الخديو إسماعيل من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩ ، فانه كان بطبيعته ميالا إلى الانفاق عن سعة فى أعماله، وأحاط به لسوء الحظ عصبة من المرابين الأوربيين، الذين كان جل همهم المسارعة إلى اقراضه المال بالربا المؤذن بالخراب، فازداد دين البلاد فى سبع سنوات من ٣,٢٩٢,٠٠٠ إلى

٩٤,١١٠,٠٠٠، فمهد دين المصريين لانجلترا ولغيرها من الأمم سبيل التداخل فى شئون مصر، فعينت وكلاء للاشراف على إيرادات البلاد بدعوى ضمانة وفاء القروض التى عقدها الخديو إسماعيل. على أن بريطانيا العظمى لم تكتف بمحاولة مراقبة الشئون المالية، بل تعدتها إلى المراقبة السياسية أيضاً. وفى سبتمبر سنة ١٨٨١ استعر لهيب الثورة فى مصر قصد تحريرها من المؤثرات الأجنبية.

وفى مايو سنة ١٨٨٢ ألقى الأسطول البريطانى مراسيه فى ميناء الاسكندرية. وفى يونيه سنة ١٨٨٢ وقع شغب فى الاسكندرية، وفى ١١ و١٢ يوليه سنة ١٨٨٢ ضرب الأسطول البريطانى مدينة الاسكندرية، وشرعت الجنود البريطانية فى احتلال مصر.

وقعت بريطانيا العظمى على نفسها عهداً للحكومة المصرية وللعالم بأن هذا الاحتلال لا يكون إلا مؤقتاً، وهاك بيان العهود الصريحة التى صدرت من انجلترا نقلا عن المستندات الرسمية الآتية:

١ - جاء فى رسالة اللورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا حينذاك المؤرخة فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١، المنشورة فى الكتاب الرسمى المعنون مصر نمرة ١ سنة ١٨٨٢، انظر صحائف ٢ و٣ ما يأتى:

إن سياسة حكومة جلالة الملكة نحو مصر لا ترمى إلى غرض غير رفاهية تلك البلاد وتمام تمتعها بالحرية التى كسبتها يمقتضى الفرمانات العديدة الصادرة من السلطان. ومما لا يفتقر إلى ايضاح أن انجلترا لا تريد

وزارة حزبية فى مصر، فان حكومة جلالة الملكة ترى أنه اذا أقيمت فى مصر وزارة حزبية تستند إلى تأييد دولة أجنبية أو إلى نفوذ شخصى لبعض الوكلاء السياسيين، فان مثل هذه الوزارة لا يمكن أن تخدم مصلحة مصر ولا مصلحة الدولة التى تريد تأييدها.

٢ - نصت العهود التى وقع عليها اللورد دفرين مع ممثلى الدول الخمس العظمى الأخرى فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٨٢ «مصر نمرة ١٧ سنة ١٨٨٢ صحيفة ٣٣» على مايأتى:-

«إن الحكومات التى يمثلها الموقعون على هذا، قد تعهدت بأن لا تطلب من وراء عملها المشترك لتسوية المسائل المصرية أى توسيع لأملاكها، أو أى احتكار لامتياز خاص بها دون سواها، أو أية منفعة تجارية لرعاياها تختلف عما يمكن لرعايا الأمم الأخرى الحصول عليه».

٣ - قال السير بوشان سيمور فى رسالته إلى الخديو توفيق بالاسكندرية فى ٢٦ يولية سنة ١٨٨٣ نشرت فى الجريدة الرسمية فى ٢٨ يولية من تلك السنة:-

«أنا الأميرال قائد الأسطول البريطانى أرى من المناسب أن أؤيد لسموكم مرة أخرى بغير توان أن حكومة بريطانيا العظمى لا تنوى فتح مصر، أو أذى المصريين بأية صورة فى دينهم وحريتهم ولا غرض لها سوى حماية سموكم والشعب المصرى من الثائرين».

٤ - صرح السير تشارلس ذلك فى مجلس العموم البريطانى فى ٢٥ يوليه سنة ١٨٨٢ بما يأتى:

«ان رغبة حكومة جلالة الملكة موجهة إلى انقاذ مصر من الاستعباد العسكرى، وترك الشعب المصرى يدير شئونه بنفسه. واننا نعتقد أن الأوفق لمصلحة بلادنا ولمصلحة مصر، أن يكون حكم مصر بواسطة الأنظمة الحرة لا بواسطة النظام الاستبدادى. واننا لا نرغب فى إرغام مصر على قبول أنظمة نختارها نحن لها، بل نفضل أن نترك لها حرية الاختيار. وواجب الشرف يقضى على هذه البلاد أن تعمل بمقتضى مبادئ عظمتها الحرة التى تفخر بها».

٥ – صرح المستر غلادستون رئيس الوزارة الانجليزية فى مجلس العموم البريطانى فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ بما يأتى:–

«اننى أجيب العضو المحترم الذى سألنى عما اذا كان فى نيتنا إطالة احتلال مصر الى أجل غير مسمى.

«فأصرح له: مهما فعلنا، فان إطالة الاحتلال الى أجل غير مسمى ليس مما نفعله، فان ذلك إنما يكون على تمام التناقض مع مبادئ حكومة جلالة الملكة ومقاصدها والعهود التى قطعتها مع أوروبا نفسها».

٦ – جاء فى رسالة اللورد دوفرين المؤرخة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٣ (مصر نمرة ١٨٧٣ صحيفة ٣٠) مايأتى:–

«إننى فى حديثى مع الأشخاص المختلفين الذين استطلعوا رأيى فى المسألة المصرية، صرحت بأنه ليس لدينا أقل نية فى الاحتفاظ بالسلطة التى آلت الينا، ولكننا نريد تنظيم علاقتنا مع الشعب المصرى بحيث ينظر

الينا نظراً طبيعيا كأخلص أصدقائه ومشيريه، ولا رغبة لنا بناء على ذلك في قهر المصريين على الرضوخ لرأينا، أو الرضوخ لوصاية منغصة».

٧ – صرح اللورد جرانفيل رسمياً في رسالة مؤرخة في سنة ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٨٢ (مصر نمرة ٢ سنة ١٨٨٢ ص ٢٢) بما يأتي:

عليك أن تحيط الحكومة المصرية بأن حكومة جلالة الملكة ترغب في سحب جنودها من مصر بمجرد سنوح الفرصة، وان هذاالجلاء سيتم على الراجح تدريجياً من وقت الى آخر كلما سمحت ذلك حالة أمان البلاد، وان حكومة جلالة الملكة تأمل من الوقت الذى تستبقى فيه القوة الحاضرة بكامل عددها سيكون قصيراً جداً».

جاء في رسالة اللورد دوفرين المؤرخة في ٦ فبراير سنة ١٨٨٣ «مصر نمرة ٦ سنة ١٨٨٣ صحائف ٤١ و٤٣» مايأتي.

«قد اعترف بأن بلاد الخديو تخرج عن نطاق الحروب الأوروبية والمنافسات الدولية، ولا سبيل إلى إدارة الأحكام في وادى النيل من لندن، فإننا إن حاولنا مثل هذا العمل أصبحنا لا محالة محل كره المصريين وريبهم، وأصبحت القاهرة مركزاً للدسائس والمؤامرات الأجنبية ضدنا، فنضطر حينئذ أن نتخلى عما ادعيناه لأنفسنا تخليا شائنا أو أن نجنح إلى امتلاك البلاد امتلاكا تاما.

٩ ـ وقال اللورد دوفرين أيضاً في رسالته المتقدمة صحيفة ٨٣ مايأتي.

لو كلفت بتنظيم شئون مصر على أساس يشبه حالة الايالات الهندية الخاضعة لنا، لكان الأمر على خلاف ما نحن فيه، وكانت يد الوكيل الانجليزى القوية تخضع كل شيء لارادتها القاهرة، فتستطيع فى خمس سنوات أن تزيد ثروة البلاد ورفائها زيادة عظيمة، لتوسيع نطاق الأرض المزروعة ومايترتب عليه من زيادة الايراد، وابطال السخرة والرقيق ابطالا جزئيا إن لم يكن تاماً، وباقامة العدالة والاصلاحات المفيدة الأخرى، ولكن لو كان الأمر كذلك لحق للمصريين حينئذ أن يعدوا هذه المنافع غالية الثمن لإضاعتهم فى سبيلها استقلال بلادهم. على أن حكومة جلالة الملكة قد استقر رأيها على ماينافى هذه الخطة.

١٠ – صرح المستر غلادستون رئيس الوزراء الانجليزية اذ ذاك فى مجلس العموم البريطانى فى ٦ أغسطس سنة ١٨٨٣ بما يأتى:

«إن دول أوروبا الأخرى على تمام العلم بنيات الحكومة البريطانية، تلك النيات التى قد تكون بطبيعة الحال محلا للنظر المترتب على الظروف الا أنه لم يقصد بها مجرد الأخبار، فهى بمثابة العهود والمواثيق.

١١ – صرح المستر غلادستون فى مجلس العموم فى ٩ أغسطس سنة ١٨٨٣ بمايأتى:

«قد قام فى أذهان بعض الناس شيء من الشك، مبعثه أميال الراغبين فى دوام احتلال مصر وضمها الا الامبراطورية، وهذا مقصد قد عقدنا النية وصممنا كل التصميم على مقاومته، وعلى أن لا يكون لنايد

فى تحقيقه. إننا أضداد فكرة الضم وأضداد كل شيء يشبهها أو يقرب منها وأضداد كل قول يؤدى الى توقعها. نحن أضدادها لأنها لا تتفق مع واجبنا نحو مصر، أضدادها لأنها لا تتفق بسبب العهود والمواثيق التى قطعناها على أنفسنا على صورة صريحة معينة فى ظروف شديدة الحرج، فأكسبتنا ثقة أوروبا كلها إبان الأعمال الصعبة الدقيقة التى قمنا بها، وهى عهود ومواثيق يتعين علينا الارتباط بها وتقديسها كل التقديس. ونحن لا نخفى على أنفسنا أن الاحتلال وإن أطيل أجله الى ماوراء حد معين قد يؤدى الى الضم، ولذلك فان غايتنا بذل منتهى العناية لمنع الاحتلال من أن يتخذ بالتدريج شكلا دائما. نحن لا نستطيع أن نعين يوما ولا نأخذ على أنفسنا أن نعين يوما لجلائنا النهائى، ولكنا سوف لاندخر جهداً فى التعجيل بهذا الجلاء قدر المستطاع. أما الشروط التى تمكننا من الجلاء فهى، على ماوضعها اللورد جرانفيل، عودة استتباب النظام فى البلاد، وتدبير الوسائل اللازمة للاحتفاظ بسلطة الخديوى».

«قد عاملنا السير نوربكوت كما لو كنا ننوى البقاء فى مصر الى أن يتم فيها وضع الأنظمة التى تليق بأوتوبيا[١] على أننا لا نرى شيئاً من ذلك، ونحن بصريح العبارة نريد أن نهيئ لمصر بداية حسنة، فاذا ضمنا لها استتباب النظام، وتدبير القوى المدنية والعسكرية الكافية للاحتفاظ بذلك النظام، وكان على عرشها رجل نثق بعدالته وبحبه، وتهيأت لها

---

(١) أوتوبيا (Utopia) مكان خيالى بلغ فيه كل شيء نهاية الكمال وضربت به الأمثال.

الادارة اللازمة لإقامة العدل تحت اشراف مستنير، وعهد بها إلى قوم أكفاء ـ اذا أدركنا كل ذلك وبدأنا بداية معقولة فى سلوك سبيل الهيئات التشريعية التى تنطوى على بعض بذور الحرية، فانه يمكن حينئذ أن يقال بأن المهمة الواجبة علينا قد تمت».

١٢ – جاء فى رسالة اللورد جرانفيل المؤرخة فى ١٦ يونية سنة ١٨٨٤ (مصر نمرة ٢٤ سنة ١٨٨٤) صحيفة ١٣ ما يأتى:

«إن حكومة جلالة الملكة مستعدة لسحب جنودها فى بداية سنة ١٨٨٨، بشرط أن يكون رأى الدول حينئذ أن هذا الجلاء يمكن حصوله بغير خطر على السلام والنظام».

١٣ – صرح اللورد دربى فى مجلس اللوردات فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٥ بما يأتى:

«قد وضعنا نصب أعيننا من بادئ الأمر أن الاحتلال لا يكون الا وقتياً، وليس فى عزمنا أن نستبقى مصر فى قبضة يدنا على الدوام، وإننا قد قطعنا العهود والمواثيق على ذلك مع هذه البلاد وهى أوروبا، فان اتبعت سياسة أخرى فانها لا تصدر منا».

١٤ – صرح اللورد سالسبورى فى مجلس اللوردات فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٧ بما يأتى:

«ليس فى وسعنا أن نأخذ على عاتقنا حماية مصر، لأن حكومة جلالة الملكة قد تعهدت غير مرة بأن لا تفعل ذلك، وقد أشار اليوم اللورد

الخطيب المتقدم الى هذا العهد، فأنصفنا بقوله بأن هذا العهد ماثل فى أذهاننا على الدوام. ومما لا مشاحة فيه أن وجودنا فى مصر وجودا لاتعترف به الاتفاقات قد بعث فى نفوس رعايا السلطان من الريب فينا ما لا نستحقه».

١٥ - صرح اللورد سالسبورى فى مجلس اللوردات فى ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٩ بما يأتى:

«إن صديقى اللورد المتكلم قبلى، الذى يطلب الينا أن نستحيل من حراس الى ملاك، وأن نعلن دوام بقائنا فى مصر، لم يعلق -على ما أرى- الأهمية الكافية على العهود المقدسة التى قطعتها حكومة الملكة فارتبطت بالوفاء بها. ونحن فى مثل هذه المسائل لا ننظر الى أوفق الخطط أو أربحها بالنسبة الينا، بل نرمى الى الخطة التى تقيدنا بها عهودنا والشرائع الأوربية».

١٦ - صرح المستر جلادستون فى مجلس النواب فى أول مايو ١٨٩٣ بما يأتى:

«لا يسعنى إلا الإعراب عن اتفاق رأيى اتفاقاً عاماً مع القول بأن احتلال مصر إنما هو بمثابة حمل ثقيل، وان احتلال تلك البلاد احتلالا دائماً لا يطابق تقاليدنا السياسية، ولا يتفق مع الاخلاص للدولة صاحبة السيادة على مصر، وهو يناقض شرائع أوروبا. ومن المحقق أننى لا أستطيع أن أدعو الى النظرية القائلة بأننا اكتشفنا واجباً يمكننا من نبذ

العهود التى ارتبطنا بها بمحض ارادتنا، الا اذا أنكرنا أننا مقيدون بعهودنا فى فكرة اطالة الاحتلال إلى أجل غير مسمى، أو فسرنا ذلك الاحتلال تفسيراً مبنياً على اعتبارات فرعية من شأنها الاخلال بهذه العهود. اذا فعلنا ذلك. فانما نأتى بما لا يتفق مع الشرف التام».

١٧ — نص الاتفاق الانجليزى الفرنساوى المعقود فى ١٨ ابريل سنة ٩٠٤ على ما يأتى:

«تصرح حكومة جلالة الملك بأنه ليس فى نيتها تغيير مركز مصر السياسى».

١٨ — جاء فى تقرير اللورد كرومر المؤرخ فى ٣ مارس سنة ٩٠٧ (مصر نمرة ١ سنة ٩٠٧ صحيفة ٤) ما يأتى:

توجد اعتراضات يتعذر تذليلها فى سبيل بسط الحماية البريطانية على مصر، فان ذلك يستوجب تغييراً فى مركز البلاد السياسى، فى حين أن المادة الأولى من الاتفاق الإنجليزى الفرنساوى المعقود فى ٨ ابريل سنة ٩٠٤ نصت على أن الحكومة البريطانية تصرح تصريحاً قاطعاً بأنها لا تنوى تغيير مركز مصر السياسى».

١٩ — حديث للسير إلدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر مع الدكتور نمر رئيس تحرير جريدة المقطم بتاريخ ٢٣ أكتوبر سنة ٩٠٨، وهو حديث اعترف به رسمياً وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد جراى فى مجلس العموم الانجليزى:—

اسمحوا لى يا جناب السير إلدون غورست أن أسألكم: هل من صحة لما قيل من أن بريطانيا العظمى عازمة أن تعلن حمايتها على مصر قريباً أو أنها تفكر فى ضم مصر إلى أملاكها؟».

فأجاب السير إلدون غورست بما يأتى:

«لا صحة لهذه الاشاعة على الاطلاق، ولك أن تكذبها كل التكذيب، فان بريطانيا العظمى قد عاهدت الدولة العلية والدول الأوربية، عهوداً رسمية على احترام سيادة السلطان على هذا القطر. وهى مقيمة على عهدها هذا، وقد كررته حكومتها سنة ٩٠٤ حين عقد الاتفاق الإنجليزى الفرنساوى، فانها ذكرت فيه انها لم تقصد تغيير مركز مصر السياسى. فلا الحكومة البريطانية ولا الأمة البريطانية ترومان أن ترجعا فى عهدها هذا.

٢٠ – جاء فى تقرير السير إلدون غورست المؤرخ ٢٧ مارس سنة ٩٠٩ (مصر نمرة ١ سنة ٩٠٩ صفحة ١) ما يأتى:

«يوجد بين طبقات الأمة، التى تفوق سواها فى مضمار التعليم، فريق قليل العدد ولكنه آخذ فى الزيادة.

جاء فى تقرير رسمى مؤرخ فى أول نوفمبر سنة ١٩١٤ ما يأتى:

أرسل جلالة سلطان تركيا منشورا الى الدول العظمى يلفت نظرها الى أن وجود الجنود الانجليزية فى مصر لا يسمح له بممارسة حقوق سيادته، وبناء على ذلك طلب خديو مصر من الحكومة الانجليزية أن تجلى جنودها عن بلاده.

وجاء أيضاً فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ مايأتى:

قدم توفيق باشا سفير تركيا فى لندن الى وزارة الخارجية الإنجليزية بلاغاً نهائياً من خديو مصر، يطلب فيه جلاء الجنود الإنجليزية عن مصر فى الحال.

بناء على ذلك أعلنت انجلترا فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ خلع خديو مصر الشرعى وتعيين الأمير حسين عم الخديو سلطانا على مصر، فسلطان مصر الذى عينته انجلترا باق على العرش اليوم بتأييد قوة انجلترا الحربية.

القسم الرابع

الآن وقد وضعت الحرب أوزارها، هل تسلّم مصر إلى بريطانيا العظمى كغنيمة من غنائم الحرب، خلافا لأحكام وثيقة جمعية الأمم وللمبادئ التى خاضت أمريكا لأجلها الحرب؟

اذا وضعنا وعود انجلترا المبنية على فكرة الايثار الى جانب فعالها بمصر، وقارنا بين القول والفعل، هالتنا نتيجة هذه المقارنة التى ينبو عنها الذهن الديموقراطى.

لقد كانت بريطانيا العظمى وأمريكا أصرح البلاد بيانا فى إيضاح أغراضها من الحرب، ففى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٤ خطب مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية فأشهد العالم على تجرد بريطانيا العظمى من الأنانية التجرد التام فى هذه الحرب، حيث قال:

«اننى أقسم بالله أن انجلترا لا تطلب شبراً من الأرض» وقال «واننا خضنا غمار هذه الحرب لا لسبب غير محض المروءة ونصرة الضعفاء».

وصرح فى ٢٧ فبراير سنة ٩١٥ تصريحا مفرغاً فى قالب من الحماسة الشديدة قال فيه:

«ان الدعوى بأن انجلترا تطلب سعة الملك أو غير ذلك من أسباب بسط الجاه، انما هى محض افتراء شنيع من جانب الأعداء».

أما أمريكا فانها أعلنت أنها اشتركت فى الحرب لتجعل حياة الديموقراطيات فى مأمن من كل عادية، ولتأييد ما لكل أمة خاضعة للنظام من الحق فى حكم بلادها، ولتنصر حقوق الأمم الصغيرة وحريتها».

قال الرئيس ولسن فى الخطاب الجليل الذى ألقاه فى ٤ يولية سنة ٩١٨ على جبل ترنون موطن واشنجتون:

«ليس هناك سوى محل واحد للخلاف لا محيص من حله حلا قاطعا لأنه لا يقبل تسوية ولا حلا وربطا.

«تحارب أمم الأوض المتحدة من أجل أغراض لا يتم الصلح إلا اذا تحقق منها: أن تسوية جميع جميع المسائل، سواء أكانت متعلقة بالأراضى أم بالسيادة أم بالاقتصاد أم بالعلاقات السياسية، لا يجب أن تقوم إلا على أساس قبول تلك التسوية قبولا اختياريا محضاً من جانب الشعب ذى الشأن مباشرة، لا على أساس المصلحة المادية أو المنفعة التى

تعود على أية أمة أو شعب آخر يرغب فى تسوية أخرى لفائدة نفوذه وسيادته. نحن لا نبغى سوى سيادة القانون القائمة على رضى المحكومين أنفسهم، تلك السيادة التى يؤيدها الرأى العام المنظم».

* * *

فهل يجوز تسليم مصر بغير رضى المصريين الى انجلترا اكراما لخاطر نفوذ انجلترا وسيادتها؟ إذا تصفحنا مبادئ ولسن الأربعة عشر ألفينا المبدأ الأخير منها ينطبق كل الانطباق على ما نحن بصدده، وهذا نصه:

«تنشأ جمعية عامة للأمم بموجب وثيقة صريحة لغرض ايجاد الكفالات المتبادلة لضمان الاستقلال السياسى وسلامة الأملاك لجميع البلدان صغيرها وكبيرها على السواء».

هذا المبدأ ان طبقناه على مصر كانت النتيجة على نقيض الاقرار الذى تطلبه انجلترا على اغتصابها مصر وهدم استقلالها.

وان طبقنا المبدأ السابع من مبادئ ولسن على مصر، مع وضع كلمة «مصر» محل «البلجيك» أصبح هذا نصه:

(أجمع العالم على أن مصر يجب إخلاؤها وردها لأهلها، من غير محاولة تحديد السيادة التى تتمتع بها كبقية الأمم الحرة، وليس هناك عمل آخر يصلح وحده لإحياء ثقة الأمم فى الشرائع التى شرعتها لنفسها واتخذتها ضابطا لعلاقاتنا بعضها ببعض. وبغير هذا العلاج الشافى يعتل جسم القانون الدولى اعتلالا أبديا».

لعمرى كيف يمكن الادعاء بأن مصر تخرج عن نطاق المبادئ الأربعة عشر، وان لإنجلترا أن تنكر على مصر حق تقرير مصيرها؟.

وإن كانت الادارة التى تقضى على الاعتداء الدولى، هى بعينها التى تقر انجلترا على اغتصاب مصر بالقوة، أفلا يعتل جسم القانون الدولى اعتلالا أبديا؟؟ أولا تصبح الوثيقة التى تضمن لجميع الأمم حقها فى تقرير مصيرها والأمن من اعتداء غيرها محض هزء وسخرية؟ أو يجوز أن تمتهن فى القسم السادس من ملحق المعاهدة تلك المبادئ الديموقراطية السامية التى نصت عليها وثيقة جمعية الأمم؟.

انتهكت بريطانيا العظمى حرمة العهود التى قطعتها على نفسها لمصر وللعالم، وأعلنت «الحماية» على مصر. ولكنها أشارت ضمناً الى أن تلك الحماية قاصرة على مدة الحرب تنتهى بنهايتها، فارتكن الشعب المصرى الى شرف بريطانيا العظمى، واقتحم الحرب ضد الدول الوسطى، ووضعت مصر جميع مواردها رهن مشيئة الحلفاء، وحارب أكثر من مليون مصرى على حدود مصر الشرقية، فجاهر الجنرال اللنبى، فى خطاب ألقاه على جمعية الشبان المسيحيين بمصر الجديدة، بأن الجانب الأعظم من الفضل فى نجاح الحلفاء فى فلسطين وسوريا إنما يرجع الى مصر. بالرغم من ذلك فان بريطانيا العظمى تغتصب مصر كما لو كانت أمة مغلوبة مقهورة!

. أولا يكون من النفاق أن نصرح بحق جمع الشعوب فى تقرير مصيرها، وأن نعترف لكل شعب بحقه فى العمل لمستقبله مطلقاً من كل

قيد من جانب أية قوة خارجية، ثم لا نلبث أن نقر لإنجلترا بتولى السيادة على مصر، خلافا لإرادة المصريين ورغباتهم، واخلالا بجميع مبادئ الحق والعدالة.

ان كانت بريطانيا العظمى لا تنوى البقاء فى مصر الا ريثما تنشأ جمعية الأمم فتكون تلك الجمعية واسطة لدفع كل اعتداء خارجى عنها. قلنا هذا شيء آخر. ولكن كيف يكون هذا مقصدها وهى تطلب من الدول الأخرى أن تعترف لها باغتصاب مصر واستبقائها فى قبضة يدها؟. ان انجلترا تبغى صراحة أن تحتفظ بمصر احتفاظاً دائماً كجزء من مستعمراتها، وأن تفعل ذلك بموافقة أمم الأرض المتمدينة ان استطاعت ــ وهو مقصد واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار.

لقد حلت مبادئ جمعية الأمم محل تلك الفكرة البالية القائلة بتوازن القوى بين الدول، فقضت على كل معذرة تلتمسها انجلترا من هذه الوجهة لتستند اليها فى البقاء فى مصر. وفضلا عن ذلك فليس لبريطانيا العظمى، بموجب وثيقة جمعية الأمم، أن تطلب استبقاء مصر فى قبضة يدها لتحميها من كل اعتداء خارجى وهى ــ الدعوى التى استندت اليها التيمس فى بيان سبب اغتصاب مصر.

وجلى أن المبادئ التى اشتملت عليها وثيقة جمعية الأمم، اذا نفذت بغير محاباة، لوجب الاعتراف بأن تسوية مركز مصر تدخل فى اختصاصها متى شرعت فى أعمالها.

القسم الخامس

ليس لانجلترا حق البقاء بمصر

ماذا يكون ظن الناس بالولايات المتحدة اذا اغتصبت أحد البلاد، وأبقته فى قبضة يدها بمثل الأسلوب الذى انتهجته انجلترا لاغتصاب مصروالبقاء فيها؟وهل تستطيع انجلترا أن تحتفظ بمصر وباحترام الجنس البشرى فى هذا العصر عصر حقوق الانسان؟ وهل لإنجلترا أن ترينا حقها على مصر، وهى لم تكتشفها ولا هى اشترتها أو فتحتها فتحاً، بل احتلتها لتطمئن على وفاء الدين، ووعدت المصريين والعالم أجمع وعوداً صريحة بالجلاء بعد احتلال مؤقت، ثم لم تلبث أن اغتصبتها محتجة بضرورة الحرب بسبب انضمام تركيا الى صفوف الأعداء؟

أما الآن وقد وضعت الحرب أوزارها وأوشكت جمعية الأمم أن تنشأ، وقد تقرر أن لا تقوم الحكومات إلا على رضى المحكومين، فهل يجوز الاعتراف لأمة بحق اغتصاب أخرى؟ لو تم ذلك لعدنا بالخيبة فى سبيل تحقيق أسمى أغراض الحرب، وفقدنا أثمن جوهرة فى اكليل الانتصار.

يقال لنا إن جمعية الأمم ستنفذ على الأمم نفس المبادئ التى مابرحت تقضى بها القوانين العامة على أفراد الناس من عهد بعيد. والقانون العام يزج فى أعماق السجون ذلك الرجل الذى يمتهن حرمة دار رجل آخر، فيدخلها قهراً بحجة تحصيل دين، ثم يتخذ لنفسه صفة المالك فيأمر وينهى فى تلك الدار، على نظرية أن ذلك خير وأبقى

لصاحبها ثم يطلب أن يعترف له بحق الاستيلاء لسيطرته عليها. اذا صح مايقال لنا، فلا مندوحة أن تقضى جمعية الأمم على بريطانيا العظمى بالجلاء عن أرض مصر التى اعتدت عليها قهراً بغير حق.

لقد قوبل إعطاء اليابان شانتونغ (بمقتضى القسم الثامن من ملحق المعاهدة) بأشد مايمكن من المقاومة لحصوله بغير رضى أهل شانتونغ. على أن لليابان بعض الحقوق على شانتونغ، وليس لبريطانيا العظمى حق على مصر. فان الحقوق المترتبة على شانتونغ منحتها الصين لألمانيا، وإن كان منحتها نتيجة ضغط شديد. فاليوم ينحل بمقتضى المعاهدة ما لألمانيا من الحقوق والامتيازات على شانتونغ أيا كانت، فتنتقل الى اليابان. أما بريطانيا العظمى فلا حق لها على مصر ولكنها باقية فيها بقاء اغتصاب!

وقد صرحت حكومة اليابان بأن لا تبقى فى شانتونغ انتهاكا لحقوق أهلها، وأنها ستعيدها الى الصين. أما بريطانيا العظمى فإنها لم تصرح بمثل هذا التجرد من الأنانية إزاء مصر. والواقع أن احتلالها أرض مصر، تحت ستار الاطمئنان على وفاء الدين وحماية الحكومة المصرية من غائلة الثوار، ثم اطالة أجل الاحتلال إخلالا بوعود الجلاء، ثم اغتصابها مصر اليوم انتهاكا لحقوق الشعب المصرى ـ كل ذلك لا يبعث على الأمل فى صدور أى عمل متجرد من الأنانية من بريطانيا العظمى نحو مصر.

وعدت بريطانيا العظمى، عندما احتلت مصر فى بادئ الأمر، أنها إنما اندفعت الى ذلك بداعى الضرورة لحماية حقوق السلطان والخديوى من اعتداء «الثوار» القائمين تحت ثورة عرابى سنة ١٨٨٢ . فلما هزم

الثـوار وطلب من بريطانيـا العظمى أن تجلو عن مصـر، انعكست الآية، وانقلبت الحجة الى نقيضهـا، فقالت بريطانيـا إن عليهـا واجب حماية الشعب المصـرى من بطش السلطان واستبداد الخديوى، واتخذت هذه الدعوى ذريعة لإطالة أجل الاحتلال، فى حين أن الشعب المصرى لم يطلب منبا حماية، ولم ينتهج سبيلا يتطرق منه الشك الى مقاصده.

واليوم اغتصبت بريطانيا العظمى مصر بدعوى حمايتها من اعتداء تركيا، وهى تبقيها فى قبضة يدها رغم ارادة المصريين، مع أن جمعية الأمم هى التى ستقوم بمهمة حماية الأمم من كل عدو خارجى.

القسم السادس

هل نؤيد الحق أم القوة

ان اغتصاب انجلترا مصر واحتفاظها بها لا عن حق بل بمحض القوة، لا يتفق مع الروح السارية مع العالم، فنظرية القوة هى وحدها التى يمكن الاستناد اليها فى تمسك انجلترا بمصر. ولعمرى أن المصريين، الذين اقتحموا غمار الحرب فى صف الحلفاء للقضاء على الاتوقراطية وتأييد الديموقراطية فى جميع بقاع العالم، ثم أنكر عليهم كل حق فى تلك الثمار التى حاربوا وحاربت أمريكا من أجلها.. ان المصريين الذين وضعوا تحت أقدام الأتوقراطية العسكرية الانجليزية، لتفيض نفوسهم مرارة ما أبعدها عن ذلك الصفاء، الذى من شأن جمعية الأمم أن تنتشر ألويته على البسيطة، وهى الداعية الى الحق والعدل، القائلة بألا يحكم شعب على غير رضاه.

وقد كانت النتيجة المرتبة على الاغتصاب ما قرأناه فى الصحف من مثل ماياتى:- جاء فى جريدة «سنت لويس ريببلك» الصادرة فى ٢٥ يوليه سنة ١٩١٩ هذا العنوان بالحروف الكبيرة ٨٠٠ قتيل و ١٦٠٠ جريح من المصريين فى سبيل اطفاء البريطانيين للثورة المصرية.

فاذا كان الأمريكان فى محل المصريين، هل يمكنهم أن يتخلفوا عن النضال فى مثل هذه الظروف؟ وهل كان الإنجليز أنفسهم يمتنعون عن فعل ما فعله المصريون؟ وهل تكون الأداة التى تكفل لجميع شعوب الأرض حق تقرير مصيرها هى التى تقضى بحرمان مصر من ذلك الحق؟ وهل سيستمر العالم على الخضوع لحكم القوة، أم ترانا قد أشرفنا حقيقة على فجر يوم جديد تشرق فيه شمس الحق والعدالة فتنير جميع أرجاء السيطة.

القسم السابع

العدالة لا تخشى الحق والصراحة

حارب المصريون فى صفوف الحلفاء وهم معتقدون أنهم يحاربون فى سبيل حق تقرير مصيرهم، ويؤدون المبدأ القاضى بألا تحكم الشعوب على غير رضاها، فلما عقدت الهدنة ابتهج المصريون لظنهم بأن وقت خلاصهم قد آن، ولم يخالجهم شك فى أنهم سينالون حق تقرير مصيرهم وان زمان حكمهم على غير مشيئتهم قد حان انقضاؤه، فندبت الأمة المصرية وفداً ليقدم قضية مصر الى مؤتمر السلام فى باريس، وهو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول

باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب الذى يشغل أسمى منصب نيابى في مصر. وقد كان كبير قضاة مصر وكان قبلا وزير التعليم فيها.

وأعضاء الوفد نخبة من خيرة أبناء مصر ذوى الصفات النيابية.. ندب الوفد للذهاب الى باريس على انتظار تأليف جمعية للأمم تكون مصر من أعضائها. على أن ثقته فى بريطانيا لم تلبث أن تضمحل، فانها حالت دون سفره، وألقت القبض على أربعة من أعضائه واعتقلتهم فى مالطة فاشتد غضب الشعب، وكان ذلك مبعث الثورة.

وقيل إن الجنرال ألنبى أشار على الحكومة البريطانية بالإذن للوفد بالسفر الى فرنسا، فلما وصل أعضاء الوفد الى باريس، هالهم ماعلموه من أن معاهدة الصلح اشتملت على الاعتراف «بالحماية الانجليزية» على بلادهم، فطلبوا أن يسمح بسماع أقوالهم، فرُفض طلبهم، فزاروا قنصل أميركا وسألوه الاذن بإرسال مندوب يمثلهم فى أميركا، ليروى حكايتهم فى بلاد الأحرار، فأخبرهم القنصل فى بادئ الأمر أن طلبهم محقق الإجابة، ولكنهم مالبثوا أن قوبلوا بالتسويف من وقت الى آخر، الى أن بلغهم قنصلا انجلترا وأمريكا أنه لم يسمح لهم بالذهاب الى أمريكا أو بارسال من يمثلهم فيها. وأعضاء الوفد اليوم فى حكم المسجونين فى باريس، لا يستطيعون بفضل النفوذ البريطانى أن يحصلوا على جواز للسفر الى أى بلد آخر.

القسم الثامن

النتيجـــــة

بالنيابة عن الوفد المصرى، بصفتى مستشاره القضائى، أطلب أن ينص صـريحاً فى المواد من ١٤٧ الى ١٥٤ فى القسم السادس من معاهدة فرساى على أن مركز مصر يدخل فى اختصاص مجلس جمعية الأمم، فان تسليم مصر الى بريطانيا العظمى كغنيمة من غنائم الحرب لا يمكن أن يكون من مسائل بريطانيا العظمى الداخلية.

ما برحت أمريكا ملجأ للمضطهدين من جميع البلدان، ومابرحت منها حرية البحث فى شكاوى الاعتداء من الأمور الطبيعية. فالقضاء على مصر بالبقاء فى أسر الاستعباد البريطانى لا يفيد سوى استمرار حصد المدافع البريطانية هذا الشعب الطامح فى الحرية، الذى حارب مع الأمريكان ليجعل العالم فى مأمن من الأتوقراطية العسكرية، أما اذا ضمن للمصريين سماع قضيتهم لدى مجلس جمعية الأمم أو أية محكمة أخرى دولية، فهناك يبسط السلام جناحيه على مصر، ويستقر فيها الهدوء، لاطمئنانها على تقرير مركزها، ورفع مظلمتها أمام العدالة الدولية، وبذلك تكون جمعية الأمم قد حققت غرضاً من أسمى الأغراض المقصودة، وهو يهيئ سبيل العلاج للأمم الصغيرة، وتمكينها من الوصول الى حقها فى تقرير مصيرها القومى بالتجائها الى الحق والقانون دون القوة.

جوزيف فولك

المستشار القضائى للوفد المصرى

تحريراً فى سنت لويس بولاية مسيورى فى ١٥ أغسطس سنة ١٩١٩

☆ الكشــــافات ☆

١ـ كشاف الأعلام

٢ـ كشاف الهيئات

٣ـ كشاف البلاد والأماكن

٤ـ كشاف الحوادث

٥ـ كشاف الدوريات

★ قام بإعداد هذه الكشافات الأستاذ / سـامى عـزيـز فــرج
والسيده / استيرة غالى تاوضروس

١ ـ كشاف الأعلام

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ن -

- هـ -

- و -

- ى -

٢ ـ كشاف الهيئات

-

٣٤١٨

١٤٨ـ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦ـ١٥٩،

١٦١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩ـ١٨٢،

١٨٤، ١٨٧ـ١٨٩، ١٩١، ٢١٦ـ٢١٨.

٣ ـ كشاف البلاد والأماكن

- م -

- هـ -

- و -

- ى -

٤ ـ كشاف الحوادث

- م -

- ن -

٥ـ كشاف الدوريات

الجرائد

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦)
(القاهرة: دار الكاتب العربي ١٩٦٨ـ الطبعة الأولى) .

- تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦)
(مكتبة مدبولي ١٩٨٣ـ الطبعة الثانية) .

- تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦)
الجزء الأول ـ (١٩١٨ ـ ١٩٢٤)

الجزء الثاني ـ (١٩٢٤ ـ ١٩٣٦)
(الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٨ الطبعة الثالثة) .

٢ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات (بيروت : دار الوطن العربي ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات فـى مصـر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ - الفكر الثـورى فـى مـصـر ، قـبل ثورة ٢٣ يوليـو . (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) :

الطبعة الأولى (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

١٠ - الاخـوان المسلمـون والتنظيم السـرى . (القـاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ - الصـراع بين العـرب وأوروبا ، من ظهـور الاسـلام إلى انتـهـاء الحـروب الصليـبـيـة . (القـاهرة : دار المعـارف ١٩٨٣) .

١٢ - حـرب أكـتوبر فى مـحكمـة التاريخ . (القـاهرة : مكتـبة مدبولى ١٩٨٤).

١٣ - مذكرات السياسيين ، الزعماء فـى مصـر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القـاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ – الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ – مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ – مصطفى كامل فى محكمة التاريخ:

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين سنة ١٩٩٤).

١٩ – أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان :

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦).

٢٠ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ – مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ – الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٠) .

٢٥ – حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء– ١٩٩٠) .

٢٦ – العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ – ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٢٩ – تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، سلسلة تاريخ المصريين عدد ٦١).

٣٠ – تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٣) .

٣١ – أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج. (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٢ – قصة بناء المواطنة الخليجية. (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣).

٣٣ – الصراع الاجتماعي والسياسي فى عصر مبارك، الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٤ – الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٥ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السادس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٦ – الصراع الاجتماعي والسياسي فى عصر مبارك، الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤)

٣٧ – الصراع الاجتماعي والسياسي فى عصر مبارك، الجزء الرابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).

٣٨ – الصراع الاجتماعي والسياسي فى عصر مبارك، الجزء الخامس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٣٩ – جماعات التكفير فى مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٠ – مصر قبل عبدالناصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤١ – أوراق فى تاريخ مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٢ – هيكل والكهف الناصرى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٣ – مصر فى عصر مبارك «الجزء السادس» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٤ – مصر فى عصر مبارك «الجزء السابع» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٥ – رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٦ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٧ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الأول» من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧].

٤٨ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثانى» من تسوية مؤتمر ڤيينا إلى تسوية مؤتمر ڤرساى [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧].

٤٩ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثالث» من من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧].

٥٠ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الثامن (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧).

٥١ ـ الوثائق السرية لثورة يوليو الجزء الأول (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٩٧ .

٥٢ ـ حرب الاستنزاف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) سنة ١٩٩٧.

٥٣ ـ مصر والحرب العالمية الثانية (معركة تجنيب مصر ويلات الحرب) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) سنة ١٩٩٧.

٥٤ ـ مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء التاسع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨).

مع آخرين :

٥٥ – مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٥٦ – تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٥٧ – تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود.رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

كتب مترجمة :

٥٨ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢)
تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦).

الفهرس

ـ تحرج سعد ورفاقه من مقابلة الأسرى الألمان والنمسويين فى مالطة، بسبب ما أشيع من أصبع الألمان فى أحداث ثورة مارس.
ـ صدى ثورة مارس فى نفس سعد زغلول بسبب إبعاده ورفاقه، سعد يكتب قائلا: «كادت تحبب السجن إلينا»!
ـ إستياء سعد لما أسماه بتدخل الأشرار فى أحداث الثورة.
ـ سعد يصف الثورة بأنها «جاءت قارعة شديدة فوق ما كان يقدر المقدرون»!
ـ تشكك سعد فى استعمال الحكومة الإنجليزية لحسين رشدى باشا وعدلى باشا!
ـ دهشة سعد زغلول لما نشرته التيمس من إعلان الجمهورية فى الزقازيق.
ـ نشوب النزاع بين محمد محمود باشا وإسماعيل صدقى باشا فى المعتقل.
ـ إستياء سعد زغلول لتصرفات محمد محمود باشا فى المعتقل، ويكتب كشفا مطولا بسيئاته وحسناته!
ـ سعد يحلل أسباب الثورة، ويقول: «الفضل فى ذلك لا يرجع إلى مهارتنا، ولكنه يرجع فى الحقيقة لسوء السياسة الإنجليزية فى مصر».
ـ سعد يرجع سقوط الدولة العثمانية إلى فسادها، ويقول إنه لقى الكثير من الأتراك بين الأسرى، «ولم يكن لديهم من متانة الأخلاق والمعارف ما يكفى لحفظ الدولة، بل ضرب فيهم الفساد»!.
ـ تزاور سعد مع إبراهيم باشا متصرف جدة.
ـ شك سعد زغلول فى أن ثورة مارس سوف تحمل مؤتمر الصلح على إعلان استقلال مصر.
ـ قلق سعد من الأنباء التى وردت من مصر بقتل المتظاهرين باشمهندس إنجليزى فى السكة الحديد ووزير اليونان المقيم.
ـ سماح الجنرال ألنبى بسفر كل المصريين إلى الخارج، وسعد يعلق على ذلك قائلا: «هذا أول انتصار للحق فوق القوة».
ـ اعتقاد سعد أن سفر الوفد سوف يكون إلى انجلترا، ويطلب من رفاقه عدم قطع النظر عن انجلترا «فإن لنا فيها نصراء من ذوى الحرية والنفوذ».
ـ تشكك سعد فى فائدة السفر إلى مؤتمر الصلح، وقلقه من أن يكون الاذن بالسفر قد حدث بعد الاتفاق على مستقبل مصر!.
ـ ثابت الجرجاوى، المعتقل بكامب فيرواله فى مالطة، يدبج قصيدة فى مدح سعد زغلول، وسعد يرسل إليه ورقة مالية بخمسة جنيهات!.

- سعد زغلول يوزع على المصريين الفقراء فى مالطة خمسين جنيها!.
- سفير انجلترا فى ايطاليا يوصى حاكم مالطة على محمد محمود باشا، لزمالته له فى مدرسة باليول!.
- زيارة وداع يقوم بها سعد ورفاقه للمصريين والألمان والنمسويين والأتراك الأسرى فى معسكرات مالطة.
- حفلة شاى يقيمها المصريون المعتقلون فى مالطة لسعد ورفاقه، بمناسبة الافراج عنهم، يخطب فيها كل من على حلمى والصباحى والعطار والجرجاوى.
- سعد زغلول يكتب تحليلا لشخصية محمد محمود باشا.
- إمتناع سعد عن كتابة مذكراته حتى يوم ٢٠ سبتمبر ١٩١٩ خشية إطلاع الغير عليها، ويندم على ذلك.
- نشوب الخلاف بين أعضاء الوفد فى باريس حول سفر سعد زغلول إلى أمريكا.
- اختلاف أعضاء الوفد حول استدعاء مكرم عبيد إلى باريس للقيام بأعمال الترجمة من الإنجليزية، واعتراض كل من محمد محمود ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى على ذلك، اعتقاداً بأن الغرض من الاستدعاء مكايدة محمد محمود باشا!
- سعد يصف محمد محمود باشا بأنه: «غيور، ومتكبر، ومعجب بنفسه، وأحمق».
- قرار الوفد سفر سعد وعبد اللطيف المكباتى إلى أمريكا.
- تشكك محمد محمود باشا فى صلة سعد زغلول بالتفجيرات التى كانت تحدث فى مصر وبالتنظيم السرى الذى كان يقوده عبدالرحمن فهمى لمنع تشكيل الوزارة، وإنكار سعد زغلول هذه الصلة.
- زيارة رشدى باشا لباريس واعرابه عن اعتقاده بأن الوفد كان وراء إضراب الموظفين ضد وزارته.
- اقتراح لطفى السيد عودة سعد وبعض أعضاء الوفد إلى مصر لاتخاذ مايلزم من الاحتياط للجنة ملنر، وارسال جماعة أخرى إلى أمريكا، وإلى انجلترا للقضية المصرية.
- تكليف الوفد قرياقوس ميخائيل المقيم فى لندن بعمل نشرة تشتمل على أهم ماتنشره الجرائد الأمريكية عن مصر.
- حضور سعد بعض جلسات مجلس النواب فى فرنسا، واستماعه لخطبة كليمنصو.

- «التيمس» تنسب خروج صدقى وأبو النصر من الوفد إلى خطته المتطرفة، وتقول إن ستين من أعضاء اللجنة المركزية فى طريقهم إلى الإنفصال عنه.
- ألبير توما يبدى استعداده للتوسط بين الوفد والانجليز على أساس الاستقلال التام.
- مرافعة مستر فولك أمام لجنة السناتو الأمريكى.
- سعد يصرح لعبد اللطيف المكباتى بأنه إذا سافر أمريكا للدعوة للقضية فسيكون ذلك على حسابه!.
- سعد يزور رشدى باشا فى باريس.
- نشوب معركة بين عبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود باشا يتبادلان فيها الشتائم.
- سعد زغلول يعين عبد اللطيف المكباتى أمينا للصندوق.
- محمد محمود باشا يطلب ١٢ ألف جنيه على ذمة المصاريف فى أمريكا، ويسانده لطفى السيد وعبد اللطيف فهمى وحمد الباسل.
- سفر محمد محمود باشا إلى أمريكا.
- وصول رشدى باشا إلى باريس من فيشى ومعه بن وكعك لصفية زغلول أرسلتها شقيقتها فى مصر!.
- لقاء سعد بحسين رشدى باشا فى باريس، وتصريح رشدى باشا بأنه عديم الرجاء فى الاستقلال التام، وأنه لايريد أن يظهر بكونه ضد الحماية. وسعد يكلفه باستطلاع رأى الانجليز فيما ينوون عمله لمصر.
- قصة وساطة فنزيلوس رئيس وزراء اليونان بين الوفد والانجليز.
- لقاء سعد ومعه المكباتى ولطفى السيد برئيس لجنة معاهدة الصلح فى مجلس الشيوخ الفرنسى.
- استنكار أعضاء الوفد حديثا لعلى شعراوى باشا فى جريدة مصر ينسب فيه إلى الوفد إعجابه بمحمد فريد، نظرا لصلة محمد فريد بالألمان أثناء الحرب وبالخديو عباس حلمى.
- اعتقاد سعد زغلول بأن مجىء حكومة عمالية فى انجلترا قد تستفيد منه الأمم المغلوبة.
- إنقطاع سعد زغلول عن كتابة مذكراته من ٥ أكتوبر إلى ١٧ ديسمبر ١٩١٩ بسبب مرضه.
- سعد زغلول يفصل بين العضو الأصلى فى الوفد والعضو المضموم.

ـ حدوث مشادة بين سعد زغلول وعبد اللطيف المكباتي بسبب حمد الباسل باشا.
ـ انقطاع عبد اللطيف المكباتي عن اجتماعات الوفد، وتحويله أموال الوفد في بنك روما باسمه الشخصي، دون علم أو إذن الوفد!
ـ الوفد يقرر سلفة مستديمة في يد محمد علي علوبة، وعدم صرف شيء من مال الوفد إلا بقرار منه أو بإذن سعد زغلول.
ـ عبد اللطيف المكباتي يصر على بقائه أمينا للصندوق بدون قيد أو شرط!
ـ سعد زغلول يحل الأزمة المالية عن طريق جلب خمسة آلاف جنيه من حسابه في مصر للانفاق منها على مصاريف الوفد!.
ـ إنقسام أعضاء الوفد حول إقالة عبد اللطيف المكباتي.
ـ الخلاف حول استرداد سعد زغلول مبلغ الخمسة آلاف جنيه التي دفعها من جيبه للوفد.
ـ طعن سعد زغلول في فتوى المستر باركلي.
ـ سعد يصف أحمد لطفي السيد قائلاً: «هذا الرجل لا يمكن أن يعتمد على صدقه أصلاً» !
ـ تعنيف سعد لمصطفى النحاس لموافقته للمكباتي.
ـ سفر مصطفى النحاس إلى مصر.
ـ المراسلات بين سعد وعدلي حول إعلان لجنة ملنر يوم ٢٩ ديسمبر ١٩١٩.
ـ إنقطاع حمد الباسل عن اجتماعات الوفد وانضمامه للجمعية المصرية.
ـ مجد الدين ناصف يرسل رسالة إلى سعد زغلول يصفها سعد بأنها «خالية من الأدب» !
ـ سعد زغلول يفكر في التخلي عن رياسة الوفد للأمير طوسون! ويلقى ترحيب صفية زغلول وعبد العزيز فهمي، واستنكار واصف غالي ومحمد علي علوبة.
ـ انضمام الأمراء إلى الحركة الوطنية.
ـ سعد يلوم نفسه لثقته في عبد اللطيف المكباتي، ويقول إنه كان يحسن الظن بأخلاقه، وان كان يرى فيه «غباوة وعناد» !.
ـ سعد بين العودة إلى مصر والبقاء في باريس، ويقول: إن العودة إلى مصر ستر للفشل والانقسام، وفي البقاء كل الفشل وظهور الانقسام!

٣٤٤٢

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٥٩١٤

ISBN — 977 — 01 — 5671 — X